

جامعة الجزائر-2- أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم الفلسفة

التوظيف الإيديولوجي للفكر الفلسفي و العلمي
داروين و نيتشه نموذجان

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في العلوم

إشراف أ. د:

نوال بورحلة

إعداد الطالبة:

شهرزاد عمري

السنة الجامعية

2020/2019

الإهداء

إلى كل من دفعوا أرواحهم فداء للوطن

إلى اللذين وهباني الحياة بعد خالقي: "أمي وأبي"

إلى أخي وسندي "الحاج عمري" الذي أثار لي درب العلم و الإيمان

إلى زوجته "زينب" وولديهما "يحي وبلقاسم ومريم"

إلى أخي "بلقاسم عمري" وزوجته بختة وابنه "محمد"

إلى زوجي العزيز "أحمد مختاري" لمساندته وتشجيعه لي، وإلى

عائلة الكريمة إلى إبني "أنيس و رضا"

إلى إخوتي، أصدقائي، وزملائي في العمل، إلى أساتذتي منذ المرحلة

الإبتدائية إلى مرحلة الجامعة، إليكم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع.

شكر وعرفان

أَتوجّه بجزيل الشكر إلى أستاذتي "توال بورحلة" على تفضّلها بالإشراف على هذا العمل، وعلى ما قدمته من نصائح وتوجيهات قيمة في سبيل إتمامه على أفضل نحو، كما لا يفوتني أن أشكر أعضاء اللجنة الموقرة على تشريفهم لي بقبولهم مناقشة هذه المذكرة، ولا يفوتني أن أقدم أيضا شكري و إمتناني إلى إدارة قسم الفلسفة بجامعة بوزريعة وللأساتذة الكرام الذين تولّوا تأطيرنا، وإلى كل من ساعدني على إنجاز هذه المذكرة.

فهرس المحتويات

إهداء

كلمة شكر

03	فهرس المحتويات
07	مقدمة

الفصل الأول

السياسة والفلسفة

13	1/ وظيفة السياسة
14	أ- تأطير المجتمع وتنظيمه
16	ب- توفير الحماية والأمن
18	ج- قراءة الواقع السياسي وتشخيصه
21	2/ وظيفة الفلسفة
24	أ- الفلسفة شمولية تساؤلية
25	ب- الفلسفة نقدية تحليلية
28	ج- الفلسفة توجيهية تنويرية
35	3/ جدلية السياسة والفلسفة

الفصل الثاني

تأثر السياسة بالفلسفة عبر التاريخ

46	1/- تأثر السياسة بالفلسفة عبر المراحل التاريخية
46	أ- المرحلة اليونانية : أفلاطون و أرسطو نموذجان
48	أ-1- أفلاطون

أ-2- أرسطو	54
ب- المرحلة الوسيطة	59
ج- المرحلة الحديثة: ميكافيلي و فلاسفة العقد الاجتماعي نموذجان	64
ج-1- تأثر الحكام بفلسفة ميكافيلي	68
ج-2- الأبعاد الميكافيلية في سياسة الأنظمة.....	73
ج-3- تأثر الفكر السياسي المعاصر بنظرية العقد الاجتماعي	77
ج-3-1- تأثر الفكر الفرنسي السياسي بنظرية العقد الاجتماعي.....	77
ج-3-2- تأثر الفكر الأمريكي السياسي بنظرية العقد الاجتماعي	81

الفصل الثالث

أدلة داروينية

01/ تأثر السياسة بالفلسفة في العصر المعاصر : هتلر نموذجاً	88
أ - دوافع قراءة هتلر للفكر الفلسفي	89
أ-1- من الناحية النفسية.....	89
أ-2- من الناحية العلمية	95
أ-3- من الناحية الفكرية الثقافية	97
02/ تأثر هتلر بفلسفة داروين.....	102
أ- فلسفة داروين التطورية.....	102
ب- نظرية النشوء الذاتي	106
ج- التنازع من أجل البقاء	111
3/- قراءات نقدية لنظرية التطور.....	117
4/- إسهام النظرية الداروينية في نشر ثقافة العنف عن طريق الزعيم الألماني هتلر	124

الفصل الرابع

أدلجة فلسفة نيتشه

135	1- تأثر هتلر بفلسفة نيتشه.....
135	أ- فلسفة نيتشه.....
140	أ-1-العدمية في فلسفة نيتشه.....
144	أ-2- إرادة القوة عند نيتشه
154	أ-3- الإنسان الأعلى عند نيتشه
161	أ-4- أسلوب نيتشه في الكتابة
167	2- إسهام فلسفة نيتشه في نشر ثقافة العنف عند طريق الزعيم الألماني هتلر.....
186	3- كيف نقرأ فلسفة داروين و نيتشه بعيدا عن التأويلات الإيديولوجية.....
194	الخاتمة
199	قائمة المصادر و المراجع.....

مقدمة

مقدمة:

لا يغيب عن العديد من المهتمين بالفلسفة مدى أهمية هذا الفكر على مجمل المعارف الإنسانية من إقتصاد، وفن، وقانون، و سياسة إلخ ذلك أن الفلسفة كانت ومازالت ملهمة ومبدعة في أفكارها و عليه أصبح هذا الفكر -الفلسفة- بما يحتويه من خصائص كالحجاج والإقناع و التفكير النقدي منهاجا لا مفر، منه يسلكه أهل العلم في أبحاثهم العلمية، والإقتصاديون في ممارساتهم الإقتصادية و المحامون و القضاة في مرافعاتهم و محاكماتهم والسياسيون في حملاتهم و مناظراتهم و خطاباتهم .

لقد إستقطبت الفلسفة هذا الإهتمام على الرّغم من المحطات الصعبة التي مرّت بها عبر المراحل التاريخية المتعاقبة ،فقد تعرّضت الفلسفة إلى التّهميش تارة ممّن ينكرون فضلها ،فحوربت تارة من طرف الدّين حيث أنّهم من يشتغلون بالفلسفة بالكفر والزندقة و الخروج على تعاليم الدين، وتارة أخرى أسند الحكم بنهايتها إلى العقل بحجة أنّ في التقيّد بالعقل و الإحتكام إلى الممارسة النّقدية إغراقا في التّأمل و إبتعادا عن الحلول العلمية، حوربت الفلسفة أيضا بإسم العلم و التقدم العلمي و ذلك مع نجاح العلم في القرن العشرين وإكتساحه مجالات الحياة ، الأمر الذي جعله - العلم - يحتلّ المقام الأول من الإهتمام وهذا على حساب باقي الفروع المعرفية والفكرية .

و إضافة إلى هذا كلّه تعرّضت إلى سوء الفهم و التّأويل الخاطئ ،ولكن رغم هذا الإجحاف و النكران بقيت الفلسفة صامدة وفاعلة غير منفصلة تقدّم للإنسانية فكرا مستثيرا و الدليل على هذا حسب إعتقادنا من خلال حاجة المعارف كلها إلى الفلسفة ولاسيما المجال السياسي في علاقته بالفلسفة و الذي هو موضوع بحثنا .

لقد أعجب الساسة بالفلسفة في طريقة طرحها للمواضيع ورؤيتها للأشياء إلى حدّ اعتماد بعض الأفكار الفلسفيّة و العلميّة في مخططاتها السياسية، و أكثر من هذا أصبحت هذه الفلسفات ترضي حالات نفسية مكبوتة و لعلّ تاريخ الفكر السياسي و الفلسفي حافل بقيادة سياسيين إستغلوا بعض الإنتاج الفلسفي لدوافع إيديولوجية كما هو الحال مع الزعيم الألماني هتلر الذي وجد في الفلسفة ولاسيما فلسفة داروين و فلسفة نيتشه الدعامة في إستراتيجيته التوسعيّة حيث إستعار من فلسفة داروين قانون البقاء للأقوى و فكرة نيتشه عن الإنسان الأعلى أو السوبرمان ، بالإضافة إلى أفكار أخرى مزجها حسب رؤيته و أهدافه و صنع منها إيديولوجيا عنصرية مناسبة للغايات المرادة ، ورافضة بالتالي كل ما عداها فكان لابدّ أن تنتهي إلى ممارسة العنف على نطاق واسع ، و إن تعارض ذلك مع المضامين الفلسفية العميقة للأفكار التي تحوّلت إلى ضحية الأدلجة في النهاية.

ألهمت نظرية داروين و فلسفة نيتشه الزعيم السياسي هتلر حيث تمسّك بتعاليمها وإنصاع لمبادئها و قوانينها و عمل على تطبيق بعض أفكارها ، و إنطلاقا من هذا قام بتأسيس سلطة قائمة على مبدأي القهر والإلزام ، وهذا يدلّ على انحطاط المعايير الأخلاقية وتدنيها كونه أخضع الضعفاء من المجتمعات لإجراءات تعسفية لا تمتّ للإنسانية بصلة ، بل تجاوز ما جاءت به النصوص الدينيّة و الضوابط الاجتماعيّة ، بل و حتى أرقى القوانين الإنسانية ونقصد هنا "ميثاق حقوق الإنسان" الذي يدعو في بنوده الأولى إلى ضرورة حفظ كرامة الإنسان والحذر من تحقيره و إهانته أو المساس بإنسانيته، فأسوأ تهمة ألصقت بهذه النظريات العلميّة و الأفكار الفلسفيّة أنها هي المروج و المحرّك لكل الإتجاهات السياسية المتسلّطة "النازيّة و الفاشيّة" بالرغم من كونها بريئة من كلّ التّهم الموجّهة إليها ، كما أنها لم تنتج فضاءات تعمل داخلها هذه الحركات السياسيّة و تمارس فيها أشكال التّعنيف و التّعسف ، بل اللوم يلقى على هذه الحركات وزعمائها السياسيين الذين أولوا هذه النظريات تأويلا خاطئا .وحرّفوا مضامينها وشوهوها كما أفقدوها معانيها الحقيقية وذلك فقط لتجسيدها على مجتمعاتهم وتطبيق قوانينها

على شعبهم من أجل تحقيق ما يصبون إليه من تقدّم عسكري وتوسّع جغرافي والظفر بما يخدم مصالحهم السياسيّة و الإقتصاديّة والإجتماعيّة و عوض أن تكون نظرتهم منزّهة عن كل الغايات الضيقة، بعيدة عن أي إنتماءات مذهبية إيديولوجية و أن يكون مسعاهم الوحيد إرساء العدالة و الديمقراطية كمطلب أساسي لكنهم بدل ذلك تخلّوا عن المسؤولية التي يحملوها على أعناقهم مسؤولية حماية الأرواح و الوطن وجسّدوا بأعمالهم كل معاني اللا إنسانية، حيث تفنّوا في مسارح الحروب بكل أنواع التعذيب و النّقّيل ونشروا الرعب و الدمار و نتيجة لهذا تكبّد العالم ملايين الخسائر المادية و البشرية و تحوّلت المجتمعات إلى جحيم محرّكه الأساسي العنف و التطرف .

على هذا الأساس وبناء على ماسبق ذكره تتحدّد معالم الإشكالية التي يتضمّنها بحثنا حول علاقة السياسة بالفلسفة من خلال الزعيم الألماني هتلر، و على ضوء ذلك تمركزت تساؤلاتنا المتعلقة بهذه الإشكالية ضمن الأسئلة التالية :

- ماهي علاقة السياسة بالفلسفة ؟

- كيف قرأ هتلر الفلسفة - فلسفة داروين و فلسفة نيتشه ؟

- كيف وظفهما توظيفاً إيديولوجياً سياسياً ؟

تقودنا هذه الأسئلة إلى البحث عن مدى خطورة إستغلال الفلسفة إستغلالاً سياسياً بصفة عامّة ومن قبل هتلر بصفة خاصّة ؟ وعن الطريقة المثلى لقراءة النص الفلسفي المتمثل في فلسفة داروين و نيتشه ؟

و محاولة منا للإجابة عن الإشكالية المطروحة ، وضعنا خطة بحث قائمة على أربع فصول ، مقدمة و خاتمة ، الفصل الأول معنون ب السياسة و الفلسفة ، وقد قسمناه إلى ثلاث مباحث ، المبحث الأول معنون ب وظيفة السياسة ، والمبحث الثاني معنون ب وظيفة الفلسفة و المبحث الثالث معنون ب جدلية السياسة و الفلسفة . نحاول من خلال هذه المباحث تقديم

فكرة عن أهمّ الوظائف التي تقوم بها السياسة في المجتمع من تأطير و تنظيم ونقد للواقع السياسي ونبرز الدور التوجيهي و التّوحيدي للفكر الفلسفي في السياسة و سنعمل أيضا على توضيح فكرة مفادها أن العلاقة بين الفلسفة و السياسة علاقة تداخل و ترابط كما أكدنا وجود حوار مستمر بين المجالين .

وقد جاء الفصل الثاني الذي حمل عنوان تأثر السياسة بالفلسفة عبر التاريخ ،وقد قسمناه إلى ثلاث مباحث ،المبحث الأول معنون بـ **المرحلة اليونانية** و المبحث الثاني معنون بـ **المرحلة الوسيطة** و المبحث الثالث معنون بـ **المرحلة الحديثة** ،عملنا على تتبع كيفية تأثر السياسة بالفلسفة عبر العصور ،بداية من العصر اليوناني مع فلسفة أرسطو و أفلاطون والعصر الوسيط مع فلسفة أوغسطين و توما الإكويني و العصر الحديث مع ميكافيلي وفلاسفة العقد الاجتماعي ،كما عملنا على إبراز مختلف أشكال الإستغلال و آليات الإستغلال التي مارسها الساسة على الفلسفة .

أما الفصل الثالث الموسوم بـ **أدلجة الداروينية**، و قد قسمناه إلى أربعة مباحث المبحث الأول معنون بـ **تأثر السياسة بالفلسفة في المرحلة المعاصرة : هتلر نموذجا** و المبحث الثاني معنون بـ **تأثر هتلر بفلسفة داروين** والمبحث الثالث معنون بـ **قراءات نقدية لنظرية التطور** والمبحث الرابع معنون بـ **إسهام النظرية الداروينية في نشر ثقافة العنف عن طريق الزعيم الألماني هتلر** حاولنا من خلالها تقديم فكرة عن دوافع و أسباب قراءة هتلر للفكر الفلسفي من الناحية النفسية و العلمية والفكرية الثقافية ثم حاولنا تقديم نبذة عن فلسفة داروين وأهمّ الأسس التي بنى عليها فلسفته مع قراءة نقدية لها مع إبراز الكيفية التي تمّ بها تطبيق الأفكار التطورية في السياسة .

أما الفصل الرابع الموسوم بـ **أدلجة فلسفة نيتشه** ،فقد قسمناه إلى ثلاث مباحث ، المبحث الأول معنون بـ **فلسفة نيتشه** و المبحث الثاني معنون بـ **إسهام فلسفة نيتشه في نشر ثقافة العنف عن طريق الزعيم الألماني هتلر** و المبحث الثالث معنون بـ **كيف نقرأ فلسفة**

داروين و نيتشه بعيدا عن التأويلات الإيديولوجية ،حاولنا من خلال هذه المباحث تقديم نبذة عن فلسفة نيتشه و أهم الأسس التي بنى عليها فلسفته ،مع إبراز الكيفية التي تم بها تطبيق الأفكار النيتشوية في السياسة ،وحاولنا تبيان أهم الطرق التي تمكننا من قراءة الفلسفة بعيدا عن التأويلات الإيديولوجية .

ولقد قمنا باستخدام المنهج التحليلي النقدي الذي هو أنسب إلى تحليل كيفية إستغلال الفكر الفلسفي إستغلالا إيديولوجيا و في الأخير سنحاول أن ننهي هذا البحث بخاتمة نحصل من خلالها مجموعة النتائج التي ستدعم صحة الأطروحة التي ندافع عليها و نعرض أهم الإستنتاجات التي إستخلصناها أثناء عملية البحث .

و في الأخير نود أن نشير إلى جملة من الصعوبات التي واجهناها أثناء إنجاز البحث و نذكر منها :

- لا نجد بصفة مباشرة قولاً لهتلر يصرح فيه علانية بأنه أخذ من الفلسفة وإستلهم منها، فلسفة داروين و نيتشه تحديدا ولكن إستخلصنا ذلك من خلال قراءتنا المتكررة لكتاب هتلر ،فقد تبيننا بالأدلة المأخوذة من نصوصه على أنّ هذا الأخير يستخدم عبارات و جملا تؤكد تأثره الشديد بالفلسفة نظرا لتأثيرها البالغ و قوة حجتها .

- عدم توفر قراءات تركز بطريقة واضحة و مباشرة على إستنتاجات تؤكد أنّ السياسة تأخذ من الفلسفة ولكن قمنا كخطوة أولى بالبحث في هذا المجال لنثبت أن كل العلوم تستعين بالفلسفة وتستفيد منها خاصة السياسة .

الفصل الأول: السياسة والفلسفة

1/ وظيفة السياسة :

- أ- تأطير المجتمع وتنظيمه .
- ب- توفير الحماية والأمن .
- ج- قراءة الواقع السياسي وتشخيصه .

2/ وظيفة الفلسفة :

- أ- الفلسفة شمولية تساؤلية .
- ب- الفلسفة نقدية تحليلية .
- ج- الفلسفة توجيهية تنويرية .

3/ جدلية السياسة والفلسفة .

السياسة والفلسفة :

1/- وظيفة السياسة :

جبل الإنسان منذ نشأته على العيش في مجتمع مع الآخرين ، لأنّ الإجتماع البشري ضروري لحياة الإنسان ،ونظرا لأنّ به " نزعة طبيعية إلى العدوان قد احتاج إلى حاكم يقوم بتنظيم المجتمع الذي يطلق عليه إسم الدولة"¹ ، ينشأ الإنسان ويستمر بفعل شعور أفراد به بأنّ هناك قيمة مشتركة وهدفا موحّدا يجمعهم ، إذا كانوا يستمرون بالعيش ضمن جماعات منظمة فهذا يعني أنهم يجدون بذاك خيرا ومصلحة مشتركة .

يعمل الإنسان عامة بهدف تحقيق مصلحة ما ، والمصلحة المشتركة لا تعني مصلحة الأفراد ولا الجماعات المكونة للمجتمع ،ولا مصلحة الدولة كونها دولة ،إنما خير المجتمع بكامله ،أي " المجتمع الذي ينصهر في إطاره الأفراد والجماعات بصفتهم أعضاء مكونين لمؤسسة الدولة"² ، لكن إدراك أعضاء المجتمع للمصلحة المشتركة ووعيهم بأهميتها لا يكفي بل يجب إيجاد ضامن موضوعي لهذه المصلحة وهو لا يتأمن إلا بالوظيفة السياسية .

هذه الأخيرة تسهر على الحفاظ على وحدة المجتمع السياسي وتماسكه وهذا لا يكون إلا بالتأكيد على وجود قيمة مشتركة للمجتمع تتعدى أهداف كل من الأجزاء المكونة للمجتمع ،هذه القيمة لا يمكن أن تكون إلا بوجود المجتمع نفسه وعندما يعي الجماعة ذلك يظهر المجتمع السياسي ،لأن "السلطة التي تعبر عن حقيقته عائدة لغاية مجتمعية تعلوا الغاية الخاصة لكل من الجماعات الثانوية"³ .

وهنا تصبح الغاية الأساسية للسياسة هي الحفاظ على وجود المجتمع الشامل أي المجتمع السياسي،والحفاظ على المجتمع السياسي لا يتم إلا إذا قامت السياسة بأهم وظائفها

¹ بطرس غالي ومحمود عيسى ،المدخل في علم السياسة ،ط3،(القاهرة ،المكتبة الانجلو مصرية ،1922) ،ص 129.

² عصام سليمان ،مدخل إلى علم السياسة ،ط2،(بيروت ،دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع ،1919) ،ص 10.

³F reyer (A) .Einteilung in die soziologie ،1931 ,p136 ,in budeau (G) traité de (3)science politique ,paris L.G.D.J

3° ed , 1980, Tome 1 volume 1 , p. , 143 .

والتي نذكر أهمها فيما يلي :

أ- تأطير المجتمع وتنظيمه :

إنّ السياسة في جوهرها هي السعي إلى التآليف بين البشر وجمعهم على المحبة والإحسان والمودة وإستمالة المتنافرين إلى كلمة سواء ، وإرادة أقصى قدر من الإصلاح ويراد بالتآليف تحقيق إجتماع كلمة الأمة وإرادتها ، " يكمن دور السياسة في الإصلاح القائم على التآليف بين قلوب البشر وتحقيق الأخوة بينهم"¹ .يدور المحور الحقيقي للسياسة حول الإنسان والنشاطات الإنسانية داخل المجتمع وخارجه لأنها تحاول في الواقع أن تقرب الإنسان من تحقيق النظام العادل والقانون والحق والحرية والسعادة الإنسانية والحياة والدولة الفاضلة ، " والحكم الصالح والمساواة بين الأفراد وأسباب الأمن والسلام والإستقرار وغير ذلك من التطلعات المثالية السياسية"².

كما تسهر السياسة على حماية كل فرد من أفراد المجتمع من مختلف الأخطار ، التي يمكن أن تحيط به والتي يمكن أن ينزلق فيها حيث تحميه من التطرف والجشع بمعنى أنها تحميه أولا وقبل كل شيء من نفسه ،ومن أطماعه ومن أغراضه الدنيئة أيضا التي تضره وتضر المجتمع الذي يعيش فيه ،وتقوم إذن الدولة بوظيفة حماية المصالح العليا ،كما تحمي الأفراد من أنفسهم ومن بعضهم البعض، تهتم السياسة بالفرد وتتنظر إليه كعضو من أعضاء الدولة وتهتم به من زاوية حياته السياسية ،هذه الأخيرة إذا إختلّت تفشل حياته الإجتماعية ،لأن حياته السياسية تشكل جزءا هاما من حياته الإجتماعية .

تهتم السياسة إذن بالمعضلات الموجودة داخل المجتمع وأنظمة الحكم التي يواجهها الإنسان وتحاول إيجاد حلول لها تبين كيف تحافظ على الأمن والسلام بل وتحاول هي المحافظة عليه وذلك عن طريق محاولة إيجاد الوسائل اللازمة لمراقبة التوسع في ممارسة

¹ حسام محي الدين الألوسي ،مدخل إلى العلوم السياسية ،ط1،(الإسكندرية ،دار الفكر الجامعي ،2012) ،ص30.

² علي الخليل ،تطور الفكر السياسي ، دون ط ،(لبنان ،كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية ،مكتبة المطبوعات،دون تاريخ النشر)، ص2.

السلطة الاقتصادية المراقبة التي تقتضيها المصلحة العامة بحيث لا تشل المبادرة الفردية ولا تتناقص الإنتاجية، كما تبين الطرق التي يمكن للحكومات أن تعتمد لها لرفع مستوى المعيشة وتقادي البطالة وضبط الدورات الاقتصادية لتلبية التطلعات إلى المساواة الاجتماعية دون التخلي عن الحريات المكتسبة، يعزز العمل السياسي الحس المشترك بين المواطنين "ويشجع الأفراد على مضاعفة جهودهم في سبيل خير الجميع الأكبر، كما يسعى إلى التفريق عن المجتمع من خلال إنتشاله من التخلف والحرمان إلى الإزدهار"¹.

إنطلاقاً من هذا تساعد السياسة الفرد على فهم وتنظيم شؤونه الاجتماعية وتزوده بالوسائل التي يستطيع من خلالها السيطرة على الوضع، "لكي يفسر من خلالها وعن طريقها ما يدور حوله ليستطيع فهم العالم والتحكم فيه"²، كما تختص السياسة بتوزيع القيم وإعطاء الأولوية للطاقت البشرية والثروات الوطنية التي تمكن أي مجتمع من تحقيق آمال أفراد وإشباع حاجاته الأساسية "تستهدف بهذا تحقيق الإستقرار والإنسجام في المجتمع الإنساني"³، لا يقتصر دور السياسة على إصلاح المجتمع بل على إصلاح الفرد أيضاً من خلال إعدادة ليصبح إنساناً سياسياً يتحمل المسؤوليات والتحديات، وللمشاركة في نشر الحرية والعدالة والرفاهية وجعلها حقائق فعلية في حياة جميع البشر.

إن مسؤولية السياسة إذن "تقتضي هداية الإنسان السياسي الذي يمضي به إلى الحياة السعيدة في ظل الحرية والعدالة والكرامة والسلام"⁴، رجل السياسة المحترف هو الذي لا يمارس العمل السياسي بدعوته ودعواه ورسالته بالضبط بل يجب عليه أن يمارسها بحسب ما تقتضيه متطلبات المجتمع ومشاكله وقضاياها ولا يعيش من السياسة ويعتبرها مصدر دخل دائم ويمارسها باعتبارها دعوة لأهداف شخصية نفسية واجتماعية بل يعيش من أجل السياسة ومن أجل إدارة الشأن العام، وإنطلاقاً من هذا تصبح السياسة مجمل الجهود المبذولة بهدف

¹ حسن صعب، علم السياسة، دون ط، (بيروت، دار العلم للملايين، 1996)، ص 12.

² إسماعيل عبد الفتاح، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، عربي - إنجليزي، ص 246-247.

³ عمار بوحوش، تطور النظريات والأنظمة السياسية، ط1، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1977)، ص 11-19.

⁴ حسن صعب، علم السياسة، ص 34-35.

المشاركة بالسلطة أو التأثير في توزيعها سواء بين الدول أو بين مختلف المجموعات بداخل الدولة نفسها ، " وهكذا إنّ السياسي هو كل إنسان يمارس العمل السياسي لتحقيق أهداف سياسية مثلى"¹.

بالإضافة إلى أنّ دور السياسة هو تحقيق الإزدهار وشروطه تكمن في نمط التنظيم الاجتماعي الذي هو بدوره حصيلة خيار سياسي ،ومن هنا كان دور السياسة إيجاد نظام كفيل يضبط سلوك الفرد فالنظام بصفته نظاما ليس هو هدف النشاط البشري فقط ،إنّما هو الشرط الأساسي لوحدة وإستقرار الجماعة الطامحة طبيعيا لأن تكون كلا مجتمعا متماسكا أي " لتكون أنا مشتركة ومصلحة مشتركة ،على قاعدة اللغة والعرق والدين والتقاليد التاريخية والواقع الإقتصادي والإدارة المشتركة وغيرها ولا تكون مجرد تراكم كمي لكائنات حية"² .

تلعب السياسة أيضا دورا قياديا في المجتمع وهذا الدور القيادي هدفه الأول هو تحويل الجمهور إلى جماعة سياسية عبر التنظيم ،فالجمهور لا ينتظم لوحده إنّما بتدخل إرادة أعلى منه ،إرادة فرد أو أكثر يمتلك رسالة القيادة ويتمتع بقدرات شخصية وإمكانيات بالنسبة للاتباع ،ومهمة القيادة هي الحفاظ على تماسك المجتمع والوفاق والسلم المجتمعيين وتوفير الحماية أيضا ،وهي من أهم الوظائف التي تقوم بها السياسة من خلال حفظ الأمن الداخلي والخارجي للبلاد .

ب- توفير الحماية والأمن:

إنّ توفير الحماية والأمن من كل تهديد داخلي أو خارجي من أهم وظائف السياسة وأعقدها حيث لا يمكن للقيادة القيام بهذه المهمة إلا بواسطة توفر القوة ،تصنع القوة الوحدة وعندما تفقد القيادة القوة تفقد مبرر وجودها ،" لأنّ كل إنحسار للقوة يترجم إنحسارا للسلطة ويفتح الباب واسعا أمّا التجاوزات والصراعات العنيفة التي تؤدي إلى التفسخ والفوضى التي

¹ ماكس فيبر ،العلم والسياسة بوصفهما حرفة ،تر: جورج كتورة ،مراجعة رضوان السيد ،ط1،(بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية ،2011)، ص 18.

² عصام سليمان ،مدخل إلى علم السياسة ،ص 15.

تقضي على وحدة المجتمع"¹، لذلك دور السياسة هو اللجوء إلى منهجية سليمة ذات غايات ومفترضات ومبادئ معينة، لأنّ السياسة هي الفض السلطوي للخلافات بطرق سليمة أو بعبارة أخرى هي الحل المطاع للمنازعات، الحل الذي يقدر إذا ما تحدّاه أحد المتنازعين أو جميعهم معا على فرض احترامه عليهم، بتعبير آخر للفكرة ذاتها هي " التسويات المسموعة للخصومات"².

وما هو جدير بالذكر أنّ حماية المجتمع من الاعتداءات الخارجية لا يقلّ أهمية عن التماسك الداخلي هناك تكامل وترابط بين الأمن الداخلي والخارجي، لأن حماية المجتمع من الإعتداءات الخارجية وظيفة سياسية أساسية " وهي تقضي بجعل الآخرين يحترمون إستقلال الوحدة السياسية وذلك للحفاظ على وجودها، والتماسك المجتمعي هو أحد العوامل الأساسية في السياسة الخارجية"³.

إنّ السياسة الداخلية والسياسة الخارجية هما في الحقيقة وجهان لسياسة واحدة غايتها الحفاظ على المجتمع كونه مصدر الخير لكافة أعضائه، وتعتبر السياسة بهذا جهدا دائما من أجل إزالة العنف الجسدي والمعنوي من أجل إمداد التعارضات الاجتماعية والفردية بوسائل أخرى من وسائل التعبير، وسائل أقل قسوة ووحشية ودموية لأن السياسة هي إستمرار الحرب الأهلية بوسائل أخرى، " أي هي نفي الحرب الأهلية، هي إستعمال وسائل غير عنيفة، أو قل هي إستعمال وسائل أقل عنفا"⁴.

حين تستوي الصراعات بين طبقات والخصومات بين عروق والعداوات بين مناطق والمنازعات بين أفراد بواسطة السلاح والدم إن هذا يكون خارج نطاق السياسة بمعنى من المعاني، تميل السياسة إلى أن تحل محلّ الأيدي والخناجر والحرب والبنادق بوسائل أخرى

¹ عصام سليمان، مدخل إلى علم السياسة، ص 17.

² ملحم قربان، المنهجية والسياسة، ط2، (بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1969)، ص ص 65-66.

³ عصام سليمان، مدخل إلى علم السياسة، ص ص 19-20.

⁴ موريس دوفرجيه، مدخل إلى علم السياسة، تر: سامي الدروبي، جمال الأتاسي، دون ط، (سوريا، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دون تاريخ النشر)، ص 167.

من وسائل القتال كسلاح العلم والتتوير والتحرر والعدالة والأمن والسلام ، للسياسة دور حيوي في الحياة البشرية هي تسعى جاهدة لبناء مجتمعات متحضرة حيث تؤثر لمسألة التنظيم وتوزيع القيم السلطوية داخل الجماعات بشكل يسمح بتجاوز مستويات المسؤولية، وهي تهدف بالدرجة الأولى إلى تحسين عيش الأفراد على جميع الأصعدة والميادين ، لا يعيش الإنسان من أجل العيش فقط بل يعيش ليحيا حياة فضلى تتميز بشتى مظاهر التقدم والتطور ولا يتم هذا التطور إلا إذا قامت السياسة بوظيفة لا تقل أهمية عن وظيفة الحماية والتنظيم و هي قراءة الواقع السياسي و تشخيصه .

ج- قراءة الواقع السياسي و تشخيصه :

إنّ النقد السياسي ملازم للحكم السياسي الذي ينهض بطبيعته على الحرية بصفتها ضرورة لا غنى عنها خاصة في مجالات التصحيح والتغيير والتحليل والحذف والإضافة وإعادة الصياغة، إنّ السياسة بالدرجة الأولى عملية نقاش لكل المعطيات والتوقعات والإحتمالات وقد كان الإغريق روادا في الوسط بين النقاش والحوار الجدلي أو الديالكتيك، فالديالكتيك هو دراسة محتوى الفكر نفسه لا شكله ، يسلّم السياسي بداهة بأنّ التناقض نسيج الأشياء إذ يحتوي كل شيء في داخله على جانب إيجابي وآخر سلبي وفي كل شيء جانب ينمو وآخر يموت ،وهي النظرية التي تحكم كل ما في الوجود ،حتى الحراك السياسي نفسه الذي لا يثبت على حال .

مهمة السياسة هي نقد وتمحيص المجتمع بكل معطياته وتخطيها وتجاوزها أي الانتقال إلى مرحلة أرقى مع الإحتفاظ بكل ما هو متقدّم وإيجابي من المرحلة السابقة في سياق التطور وهذه هي المهمة الملقاة على عاتق النقد السياسي على وجه التحديد " ويمكن أن يصل إلى قمة الفعالية والإيجابية إذا إتّسمت السياسة بمناهج النقد البناء"¹ الذي يجنبها كل أنواع التشتت والحوار العقيم وإهدار الفكر والوقت فيما لا يجدي ،إذ أن النقد هو جوهر

¹ نبيل راغب ،علم النقد السياسي، دون ط،(عمان ، الأردن ، دار المنهل ناشرون ،2014) ،ص ص 64-65.

العملية الفكرية برمتها والعملية السياسية ليست إستثناء من هذه القاعدة ،وهذا يعني أن السياسة هي إدارة الآلة الإجتماعية وقيادتها نحو الأهداف المنشودة لإزدهار المجتمع ،وقد أثبتت " السياسة قدرتها العملية الممتدة على المدى الطويل بصفقتها طريقة أكثر جدوى وعملية في حفظ الأمن والنظام والاستقرار من أي طريقة أخرى لممارسة الحكم"¹، تقول **حنة أرندت** في هذا السياق :

"إنّ السياسة التي تصبو إليها الإنسانية هي السياسة المتميزة بالأداء الحر والقول الطليق ،تلك التي تشغل المواقع البينية للبشر وتملاً الأمكنة العمومية ولم يقصد بها المؤسسات المنتخبة أوالمجالس الموضوعية أو البروتوكولات المسنونة ،هذه فقط التجليات الممكنة للسياسة أو الغايات العملية والتنفيذية ، لكن المبادئ الأساسية للسياسة تتبدى في الإجتماع البشري والتواصل الإنساني عبر التفاعلات الأدائية واللغوية والرمزية والمعجزات العقلية ،معنى السياسة هو الحرية"² .

تحقق السياسة الحرية عندما يصل السياسي إلى مقاصده ، تقوم السياسة على واقعة التعدد البشري و بقدر ما تكون ثمّة شعوب بقدر ما يكون هناك عالم يجتمع في مجموعات أساسية ومحدّدة في شكل فوضى كلية من الإختلافات ، من هنا تأتي السياسة لتدرس المجموع البشري من حيث هو مجموعة من الكائنات المختلفة والمتكاملة ، و مهمّتها تتمثل في " تشييد عالم شفاف تنتظم فيه كائنات مختلفة تأخذ بعين الإعتبار مساواتهم الحقوقية عندما تجرّدهم من تنوّعهم النسبي"³ ، لأنّ الإنسان لا يوجد في السياسة إلا إذا حصل على الحقوق نفسها التي يضعها له الأفراد الآخرون الأشد إختلافا عنه ،"ورغم التعدد والاختلاف

¹ نيبيل راغب ،علم النقد السياسي،ص 52.

² حنة أرندت ،ما السياسة ، تر : زهير الخويلدي ، سلمى الحاج مبروك ، ط 1،(بيروت ، منشورات ضفاف ، 2014) ، ص 64.

³ مجموعة مؤلفين ،الفعل السياسي بوصفه ثورة ، دراسة في جدل السلطة والعنف عند حنة أرندت ،ط1،(بيروت ،دار الفارابي ،2013) ،ص 101-102.

إلا أنّ هناك حالة من الرضا بهذه الوضعية القانونية ، تقوم السياسة على واقعة واحدة هي التعدد الانساني¹.

بعبارة أخرى السياسة هي النشاط الوحيد الذي يصبح الناس مباشرة فيه جنبا إلى جنب ،ولا أحد ممن هو موجود ،موجود بمفرده ،وأن يحي الإنسان هو أن يوجد في قلب أشباهه وفي حضن المدينة وأن ينقطع عن الناس بمعنى الموت ،موضوع الإنسان ليس الإنسان لوحده بل وجود الإنسان في العالم حيث أن قدرة الإنسان على الفعل هي التي تجعله كائنا سياسيا وهي التي تمكنه من أنّ يلتقي بأمثاله من البشر وأن يفعل معهم بشكل متناسق وأن يتوصّل إلى تحقيق أهداف ومشاريع ما كان من شأنها أبدا أن تتسلّل إلى عقله لو أنه لم يتمتّع بتلك الهبة هبة السباحة نحو آفاق جديدة للحياة أي أنه " يأخذ وبتعددية الأفراد كهيئة للتفاعل بهيئة نقد لكل أشكال القسر التي يتضمّنها معنى سيطرة شخص على الآخرين بشكل الحكم"².

إنّ رجل السياسة هو من يكيّف قدراته العقلية والنظرية حتى يتّظم بها واقعه الاجتماعي من أجل أن تتخذ العدالة طابعها العملي لا كوسيلة وإنما كقيمة تقصي كل أشكال التطبيقية الاجتماعية وحتى لا يتحوّل الواقع الاجتماعي إلى فضاء لدكتاتورية تطلب العدالة في خوض الصراع الاجتماعي ، يكون دور السياسي هنا موجها لكلّ الأحداث فيه و تكون له رؤية إستشرافية تبني علاقة ثقافية وسياسية تحدّد تباعا العلاقة بين الأفراد والأمم على أساس المبادئ ، " وعلى أن ينحوا السياسي منحى إنسانيا كونيا في سلوكه مهما كان يفعل وكأنه يراعي الإنسانية في سلوكه كغاية لا كوسيلة وأن يرتقي بالفعل المحلي إلى فعل كلي شمولي كحب المساواة والعدل والحرية"³.

¹ زهير الخويلد ،معان فلسفية ،ط1،(دمشق ،دار الفرق ،2009) ،ص 176.

² حنة أرندت ،في العنف ،تر: إبراهيم العريس ،ط1،(بيروت ،دار الساقى ،1992) ،ص 74.

³ مجموعة مؤلفين ،الفعل السياسي بوصفه ثورة ، ص 140

هذه المبادئ تجعل من الفعل السياسي إذا ما إلترزم بها السياسي طريقا للنجاح وهذه القيم التي تبني عليها الحياة المدنية هي التي تجعل الهوية السياسية أساس التعايش والتسامح والقبول بالمختلف وإقصاء كل أشكال التطرف وإن كل إلترزام بهذه المبادئ في سلوك السياسي يطيل أمد الدولة ويبعث برسائل كونية مفادها " أن إنسانية السياسي مستمدّة من إلترزامه بروح الثورة والتاريخ الذي تحمله الأمم والمواثيق الكونية وأن الإخلال بها يعجل في تفكك الدولة" ¹ .

إنّ نطاق السياسة هو العالم وليس الحياة كما هو شأن العمل ،إذ من خاصية العمل الحفاظ على النوع البشري وضمان الحياة العضوية لكن تشتغل السياسة في العالم بوصفه فضاء التلاقي بين الأفراد وأداتها هي الحكم الذي يبيده هؤلاء "الأفراد بشأن قضايا يشتركون في صوغها وإستثمارها هي لا تقصد الإنسان في ذاته كجوهر فحسب بل العالم كأفق" ² ،أي أنها تقصد العلاقات التي تحاك بين الأفراد في تشكيلهم للعالم وسنّهم للقوانين وإثباتهم للنواهي والأعراف، هذا الإستقراء الموجز لوظائف السياسة يقودنا إلى الجزم بأن السياسة "علم يختص بتدبير الشؤون والمصالح العامة التي يشترك فيها مجتمع إنساني معين سواء كانت تمس أمور السيادة أو علاقات المجتمع الخارجية أو شؤونه الداخلية وسواء أكانت مصلحة أو أمنية أو مسائل حقوقية أو منافع مشتركة أو أمور معاشية إنتاجية" ³ .

2/- وظيفة الفلسفة :

تتحدّد وظيفة الفلسفة في ضوء نظرة كل مذهب إليها ،أو في ضوء إتّجاه معيّن في عصر من العصور ، ووظيفة الفلسفة في العصر اليوناني تختلف مثلا عن وظيفتها في العصور الوسطى ،أما في العصر الحديث تختلف وظيفتها تماما عن وظيفتها فيما سبقها

¹ مجموعة مؤلفين ،الفعل السياسي بوصفه ثورة ، ص 151

² علي عبود المحمداوي ،محمد شوقي الزين ، إسماعيل مهنانة ،الفلسفة السياسية المعاصرة من الشموليات إلى السرديات ، ط1،(بيروت ،وهران ،ابن النديم والروافد الثقافية ،2012) ،ص 178.

³ عبد الغني بلوط ،في الفكر السياسي ،نقد الفكر الوطني ،ط1،(مراكش ،المطبعة والوراقة الوطنية ،2000) ،ص 25.

من العصور* لكن هذا الاختلاف في الوظيفة دليل على ثراء الفلسفة وتنوعها وأهميتها حيث لعبت الفلسفة دورا مهما وبارزا من خلال تأثيرها في جميع المجالات والميادين وعلى مختلف العلوم من أدب وفن وسياسة ،لا يمكن أن نفهم الفلسفة باعتبارها مجرد لذة عقلية تشبع عند صاحبها دافعا فكريا إلى حب الإستطلاع كما ذهب قدماء اليونان ،أو مجرد دراسة عقلية تتصل بالدين وتحاول التوفيق بين العقل أو الوحي أو تؤكد صلة الحقائق التي نزل بها الوحي كما ذهب فلاسفة العصور الوسطى ورجال اللاهوت فيها ،هي قريبة من العلوم قريبة من الواقع ومحايثة له ملامسة لمشاكله ،وهناك العديد من الأدلة التي تثبت صلتها بالحياة ، نحن مثلا نكتسب فلسفتنا بدراسة دقيقة للوجود ،للإنسان ومكانه من الوجود ،ونستغل فلسفتنا في الترقى بمستوى تجاربنا وتصحيح نظرتنا للحياة ،تمكّن الفلسفة " الإنسان من أن يشرف من علّ على الأهداف البعيدة التي تجاهد البشرية من أجلها وتحقّقنا على أن نساهم في تحقيقها ما إستطعنا"¹.

إنّ الغاية المباشرة للتفلسف هي خدمة البشرية ورفاهية أبنائها ،الفلسفة ليست نظرية خالصة أو مجرد تأمل بل هي دراسة للوجود ،وإذا كان فلاسفة اليونان ومن تابعهم يرون أن الغرض من التفلسف هو مجرد كشف للحقيقة لذاتها بباعث من اللذة العقلية وبغير نظر إلى ما يحتمل أن يترتب على هذه الحقيقة من وجوه النفع في الحياة فإن " الذي لا شك فيه أن الحقائق التي يتوصل إليها الباحث قد أثرت في حياة الدين وقفوا عليها جهودهم وإستمسكوا

*لقد كان هدف المعرفة الفلسفية في العصر اليوناني هو الوصول إلى تفسير عام للكون والذي يجعل من الفلسفة علم الوجود الكلي وكان التأمل العقلي هو منهجها لتحقيق تلك الوظيفة ،قد عرفها سقراط بأنها البحث بواسطة النظر العقلي عن حقائق الأشياء وعن الخير والفضيلة ،وعرفها أفلاطون بأنها كسب وتحصيل والفيلسوف هو الشخص الذي غايته الوصول إلى معرفة الأمور الازلية ومعرفة حقائق الأشياء ،وهنا تصبح الفلسفة مرادفة للعلم ونجد تعريفا أدق عند أرسطو بأن الفلسفة هي كل بحث علمي يراد به الوصول إلى الحقيقة أيا كان نوع هذا البحث ،أما العصر الوسيط مثل موقف رجال الدين من الفلسفة وتجمع كتب تاريخ الفلسفة على أن الفلسفة اليونانية في تلك الفترة كانت خادمة للدين لكنها لم تكن كذلك بالنسبة لمفكرتي الإسلام وفلاسفتهم فالنسبة اليهم كانت دعوة لتحرير العقل بالآيات إستمولوجية أي تحريرا يتضمن رؤيته النقدية فقد عرفها الكندي مثلا أنها العلم بحقائق الأشياء ،أما في العصر الحديث نجد المعنى والوظيفة تتغير على يد فرانسيس بيكون إلى المعرفة الأساسية المكتسبة كما أن موضوعها يصبح وليس شيئا سوى موضوع العلم التجريبي لكن ومع أن العلوم إستقلت عن الفلسفة واحدا بعد واحد فإن بعض الفلاسفة أعلى من شأنها على جميع المعارف الإنسانية مثل ديكارت الذي شبه الفلسفة بشجرة جذورها ما بعد الطبيعة وجذعها علم الطبيعة وأعضائها العلوم الأخرى هي حسب البحث عن الجوهر الأساسي الثابت والمبادئ الأولى للكانتات ،أما في العصر المعاصر تحددت وظيفة الفلسفة في إنكار الوجود العام عن دراسته إلى البحث في الوجود والمحسوس الذي يتيسر إخضاعه لمناهج البحث التجريبي كما ذهبت الفلسفة الوضعية ، فالاهتمام بالإنسان اتخذ مسارات أحدهما على يد الوجودية والثاني على يد الماركسية الأولى تهتم بالإنسان الفردي والثانية تهتم بالمجتمع الإنساني وهكذا إبتعدت الفلسفة في المرحلتين الحديثة والمعاصرة عن مفهوم الوجود العام واتجهت إلى الوجود الواقعي لكي تستثمره لصالح الإنسان ،للمزيد ينظر :محمد غلاب ،الفلسفة الإغريقية ،ط2، (القاهرة ،المكتبة الانجلو مصرية) ،ص ص 161-163، محمد أبو فيض المنوفي ،تهافت الفلسفة ،دون ط،(بيروت ،دار الكتاب العربي ،1927) ،ص 20 ينظر أيضا :عبد الرحمن بدوي ،أرسطو ،ط4،(القاهرة ،النهضة المصرية ،1964) ،ص 214 وينظر أيضا جميل صليبا ،المعجم الفلسفي ،الجزء الثاني ،دون ط (بيروت ،لبنان ،دار الكتاب اللبناني ،1985) ، المادة : فلسفة .

¹R.P.perry .the Approsch to philosophie ,ch .1 .Gwatts curnugs han.problems of philosophy,ch,1,p,3 .

بها ،وفي حياة الناس في المجتمعات ¹،وهذا ما جعل الفيلسوف أرسطو يشترك في جدال مع خصوم الفلسفة الذين يروجون أن الفلسفة لا ضرورة لها في الحياة العملية ولا جدوى منها ،ويثبت أن الفلسفة جديرة بالسعي إليها لذاتها لأنها أسمى خير يمكن أن يبلغه الإنسان ولما كانت الغاية الطبيعية للإنسان هي ممارسة العقل فإن الحياة العقلية المكرسة للتأمل والنظر هي مهمته الحقيقية وواجبه الأول وبها يبلغ كماله ويجد سعادته ويؤكد أن السعادة البشرية تقوم على فاعلية العقل وأن التفلسف هو " غاية الحياة الإنسانية بحكم طبيعتها نفسها ،وأن هذه الحياة التي يهبها صاحبها للعقل هي أسمى لذة وأنقى فرح ممكن لأن فاعلية العقل هي الخير الوحيد الذي لا يتوقف على غيره ولا يتطلب أي شروط خارجية"².

يهدف الخطاب الفلسفي إلى "إحداث التغيير والتطور بكونه يحمل طابع التقرد والإبداع أو بعبارة أخرى لا يكون تكرارا لتفكير آخر سابق عليه"³،الفلسفة قوامها التفكير والتفكير خصيصة الإنسان الجوهرية ،هذا الإنسان الذي يرى ظواهر الكون على اختلاف أنواعها فيتصورها ويكون له رأي فيها ثم يجتهد في تعرف عللها وعلاقة الكون بظواهره وهذا عن طريق فهم الشيء فهما سليما حيث ظلّ العقل الإنساني يلتمس السبيل للوصول إلى فهم العالم والحياة فهما جليا ثابتا صادقا ،ويحلّ ما يعترضه من ألغاز ويجدّ في البحث لينفذ إلى أسرار الطبيعة وينشرها بين الناس لينتفعوا بها هو يطلب المعرفة لذاتها لا قصدا للفائدة العملية .

كما أنّ الإنسان مفطور على حبّ الاستطلاع وهذه الرغبة المتأصلة في أعماق نفسه لا تستأصل وهي " دافع قوي يقوى بنمو العقل ويحمل على طلب المعرفة والحقائق الكبرى الأساسية لهذا الوجود ولتلك الحياة وعلى البحث في علل الأشياء وعلاقة بعضها ببعض"⁴. وهنا تكمن الأهمية الكبرى للفلسفة كونها دخلت في صميم المجتمعات وحتى إلى المدن

¹ محمد عبدالله الشرقاوي ،مدخل نقدي لدراسة الفلسفة ،ط2،(بيروت ،دار الجيل ،1990) ،ص 96.

² عبد الغفار مكاي ، أرسطو دعوة للفلسفة ،دون ط ،(بيروت ، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ،دون تاريخ النشر) ،ص ص 13-14.

³ عبد الوهاب جعفر ،مبادئ الفلسفة ومشكلاتها ،دون ط،(القاهرة ،دار المعرفة الجامعية ،2004) ،ص 13.

⁴ أ.س. رابوبرت ،مبادئ الفلسفة ،تر: أحمد أمين ،دون ط،(القاهرة ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،2012) ،ص 16.

والبيوت ، قد أثرت في جميع العلوم والميادين ولم تكن يوما مفارقة ومتعالية عن الواقع ، وهذا ما جعلها تقوم بالعديد من الوظائف نذكر أهمها:

أ- الفلسفة شمولية تساؤلية :

تطرح الفلسفة التساؤلات بصفة دائمة ومستمرة وهي تضع الأشياء دائما في صيغة سؤال وكل جواب يقدمه هذا الفيلسوف أو ذاك حول هذه المسألة أو تلك إنما تنحصر قيمته في كونه يمكن فيلسوفا آخر من خلال مناقشته والكشف عن ثغراته من وضع السؤال وضعا أحسن و السؤال الذي يحدّد موقفا عاما وكلها جامعا هو مهمة الفيلسوف الذي يضع كل شيء موضع سؤال ،لأن أهم طابع للتفلسف والسؤال الفلسفي هو أنه لا يقف عند المشاهدة أو التجزؤ أي أنه لا يرى الأشياء كجزئيات متناثرة بل يحاول أن يتعدّى هذه الجزئيات أو الظواهر المتتابعة إلى ربطها برباط يربطها في كليتها ،يتقصّى الفيلسوف المبادئ والأصول القصوى لكل حدث أو ظاهرة سواء في حيز الطبيعة أو حيز الأخلاق والقيم والسياسة .

تكون النظرة إلى شيء ما نظرة فلسفية بقدر ما يتحقّق فيها من إتّساع الأفق ومن الإرتباط بوجهات نظر أخرى وبقدر إستنادها إلى مبادئ شاملة لا إلى مبادئ قريبة أو بسيطة وبهذا المعنى " تكون كل نظرة محيطية للعالم فلسفة حتى لو كان نظرة مبهمة فهي موقف فكري إتجاه الحياة"¹ .

وبالرغم ممّا هو شائع بانفصال الفلسفة عن العلوم في القرن السابع عشر إلا أنّ الفلسفة ظلّت كما كانت منذ ظهورها لدى اليونان تتجنّب التخصص حتى عندما ظنّ البعض أنها أفرغت من محتواها عندما انفصلت العلوم عنها تباعا ،وإستمرت تنشد الشمولية في كل ما تدرس هي لا تفسّر المشكلات الجزئية مثل ما نجده في العلوم العقلية والتجريبية والشمولية لا تعني هنا أنّ الفلسفة بإمكانها الردّ على كل الأسئلة التي يثيرها الذهن البشري لأنّ هذا يتجاوز حدود العقل وإنّما تحاول مقارنة المسائل في "شتى الميادين والمجالات

¹كامل محمد محمد عويضة ،لدفيج فنجشتين ،فيلسوف الفلسفة الحديثة ،دون ط،(بيروت ،دار الكتب العلمية ،دون تاريخ النشر) ،ص 165.

بصفة كلية وشاملة على أن لا يفهم من هذا الكلام أن مقاربتها الكلية تكون سطحية مبتذلة¹، الفلسفة إذن هي الساعة التي يتحير فيها العقل ويرتدّ إلى نفسه وهي الأمانة المطلقة للعقل مع نفسه*، وطلب البرهان لأنها في صميمها تساؤل ولما كان الإنسان لا يكون إنساناً إلا إذا تفلسف ولما كانت الفلسفة كلها تساؤلاً فإن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يكمن جوهره في أن يضع وجوده ووجود العالم موضع تساؤل ، الفلسفة هي العملية التساؤلية التي نحاوّر فيها أنفسنا ونتحاوّر فيها مع الآخرين ومع العالم ، هي إعتراض دائم من قبل الروح الإنسانية ضد كل محاولة آلية يراد بها إدماج الوجود البشري في دائرة مفرغة من التنظيمات الصناعية ، ولما كانت الفلسفة " تساؤلاً كان جوهرها تجاوزاً ، فهي في كل مكان وزمان تأكيد للفكر البشري بتعاليه على الطبيعة وخروجه على التاريخ ونزوعه نحو المطلق"².

ب- الفلسفة نقدية تحليلية :

إنّ من السمات الأساسية للتفكير الفلسفي أنه تفكير نقدي تحليلي لأن الفيلسوف يبدأ دوماً بتحليل المعارف والتصورات والآراء والنظريات السائدة تحليلاً نقدياً يستهدف بيان حقيقتها أو زيفها وهو إذ يفعل ذلك لا يشغل نفسه بفحص كل جزئية على حدة وإنما يعمد على الغالب إلى نقد الأسس المعرفية التي تقوم عليها تلك المعارف ، وتتجاوز الفلسفة دورها لنقد هذه المعتقدات والمعارف والنظريات إلى مهنة أخرى هي نقد وتحليل أدوات المعرفة ذاتها من حواس وفعل وحدث تبحث في إمكانية قيام المعرفة وفي الطرق الموصلة إليها.

كذلك تعني المهمة النقدية التحليلية للفلسفة البحث في المناهج التي تصطنعها العلوم المختلفة كذلك من أجل النظر في مدى ما يتميز به كل علم عن العلوم موضوعاً ومنهجاً

¹ فؤاد زكرياء ، التفكير العلمي ، دون ط، (الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 1978) ، ص 37.
* إن الفلسفة نشاط وطريقة في التفكير في أنواع بعينها من المسائل ومن أهم ما يميزها استعمالها للبرهان المنطقي يتعامل الفلاسفة مع البراهين إما أن ينكروها وإما أن ينتقدوا براهين غيرهم أو الاثنان معا كما يحللون ويفسرون المفاهيم ، ويتجادل الفلاسفة حول مسائل الدين الصواب والخطأ ، السياسة وطبيعة العالم الخارجي وغيرها ، للمزيد ينظر بنغيل واربورتين ، الفلسفة الأسس ، تر: محمد عثمان ، دون ط، (بيروت ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، 2009) ، ص 13.

² مجاهد عبدالمنعم مجاهد ، مدخل إلى الفلسفة ، الأعمال الكاملة 19 ، دون ط، (القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، دون تاريخ النشر) ، ص ص 20-19.

ومدى ترابط العلوم ببعضها البعض وهذه المهمة النقدية التحليلية أخذت مكانة كبيرة اليوم أكثر بكثير من " السابق حيث كانت مهمة الفلسفة الرئيسية هي التركيب أي صنع المذاهب الكبرى"¹، أهم وظيفة للفلسفة هي وظيفة النقد و بالنقد " تستطيع تعديل المذاهب الفلسفية السابقة وتقضي عنها المبالغات والإدعاءات المتطرفة لينتهي بإنشاء فلسفة قوية تعد من أمتن المفصل في هيكل الفلسفة العامة"².

من نتائج الفلسفة بث روح النقد المنهجي البناء عند من يدرسها أو يمارسها وهي في الحق ميزة عظيمة القيمة والنفع، تقوي الفلسفة عند دارسيها ملكة النقد والتمحيص وتتأى بهم عن التقليد دون برهان أو دليل وتبعدهم عن التزمت والتعصب القائم على أساس إحتكار العلم والمعرفة وتزود العقل بالقدرة على إثارة التساؤلات التي تفتح المجال للتوصل إلى معلومات ومعارف جديدة كما أنها لا تقنع بالوقوف عند الظواهر وتدفع إلى البحث عن حقائقها وبواطنها وتبحث عن مواطن الغرابة والعجب الذين يقعان وراء ظواهر الأشياء العادية المباشرة في حياتنا، وأنها أي الفلسفة وسيلة لوعي الإنسان بذاته وسبيل إلى مواجهة نفسه يقول ياسبرز "التفكير الفلسفي يضع الإنسان وجها لوجه أمام ذاته"³.

كانت المجتمعات ولا زالت في حاجة ملحة إلى الفكر الفلسفي النقدي وذلك لإحتواء القضايا التي تواجهها ،على مستوى ترسيخ الديمقراطية كما على مستوى التربية القائمة على الحرية والجرأة لأن النقد وعي بالمسؤولية التاريخية التي يشعرها الفيلسوف في لحظات الأزمة وإيقاف للإنسان المعاصر على أوهامه ،قصد حمله على الانفلات منها بالمرآة على قلق السؤال وشغب الفكر والجرأة على إستخدام العقل الخالص دون وصايات قبلية جاهزة وذلك لمسألة ما "ترتب عن ذلك من إشكاليات جديدة إهتم بها الوضع البشري ، دور النقد الفلسفي هو إعادة ترتيب الأمور للخروج من عالم مليء بالفوضى والصراع"⁴، لأن التفلسف لا يمكن

¹ حسام محي الدين الألوسي ،مدخل إلى الفلسفة ،ط1،(بيروت،لبنان ،المؤسسة العربية للدراسات و النشر،2005)،ص 69.

² نجيب محفوظ ،حول الأدب والفلسفة ،ط1،(القاهرة ،الدار المصرية اللبنانية ،2003) ،ص 71.

³كارل ياسبرز ،عظمة الفلسفة ،دون ط،(بيروت ، لبنان ،دار عويدات للنشر والتوزيع،سلسلة زدني علماء،دون تاريخ النشر) ،ص 15.

⁴ نبيل فازيو ،"النقد والنزعة النقدية العربية" ،الرباط ،المملكة المغربية ،مؤسسة مؤمنون بلا حدود ،صالون جدل الثقافي ،قسم الندوات ،ص 7.

اختزاله في مجرد لعب تأملي إنما هو انخراط فكري ووجودي لتغيير أحوال الذات وتحسين ظروف العيش بمعنى أن ممارسة التأمل الفلسفي لا "تفهم بوصفها مقارنة لتاريخ الأفكار بمقدار ما يفترض فيها المساعدة على تكوين المواطن وتطوير حسه النقدي التحليلي وتقديره لتنوع الحجج واختلافها ووعيه بنسبية الأمور"¹.

جاء النقد الفلسفي مع ثورة معرفية أعادت ترتيب الواقع الغربي بأن "حملته على مراجعة كثير من مفاهيمه ومقولاته الكبرى كما هو الحال بالنسبة لمفهوم التقدم"² والعقل والحقيقة والزمن والتاريخ واللغة والمعنى، وليس صدفة أن تحمل فلسفة الاختلاف في طياتها معالم هذا الهوس "بتكسير مركزيات العقل والتفكير في اللامفكر فيه والمنسي في ثنائيه"³ بل ويجتهد فيلسوف **كميشيل فوكو** للكشف عن علاقة الحقيقة بالسلطة والجنون والجنس وليس صدفة كذلك أن يعمد فيلسوف **كجاك دريدا** إلى "خلخلة مركزيات العقل الغربي من حيث هو عقل الميتافيزيقا نفسه"⁴ وأن يعيد النظر في الحدود التي تفصل مجالات المعرفة وإنتاج الحقيقة في تاريخ الفكر الغربي ليفتح "باب القول الفلسفي على مصراعيه أمام الأدب والفن والشعر والأنثروبولوجيا"⁵، والملاحظة عينها يمكن أن تقال عن خيرة من ممثلي هذه الموجة الفكرية التي "هيمنت على الفكر الفرنسي منذ أعمال فوكو التأسيسية في هذا الباب"⁶.

لا يمثل النقد جزءا من الفلسفة أو جزءا خاصا منها فحسب إنما يتدخل في مستويات الفكر الفلسفي كافة بل وفي كل عمل مبدع يمتلك ما يلزم من القدرة على كشف المسبقات وسداجة التفكير، والارتصان إلى النقل وعلى تخطي المستويات الإدراكية في النظر إلى الواقع والتاريخ وفضح الآراء غير المعللة فضلا على أن "الفكر النقدي يسكنه قلق التاريخ

¹ نورالدين أفاية، في النقد الفلسفي المعاصر، دون طه، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، دون تاريخ النشر)، ص 117.

² G L Strauss. *Race et histoire*, paris. pemoel. 1987. p., 62.

³ Derrida Jacques. *l'écriture et la difference*, paris. seul. 1967. p., 262.

⁴ . Marges de la philosophie, paris. minuit. 1972. p., 15.

⁵ . l'écriture et la difference, p., 99.

⁶ نبيل فازيو، "النقد والنزعة النقدية العربية"، ص 13.

والإرادة اللامتوقفة لمنح معنى مختلف للوجود ويبحث على سمو الفكر الحر"¹.

إنطلاقاً من هذا يتضح لنا أنّ الفلسفة ضرورة* وذلك لأن الآراء لا يمكن أن تستوي والمبادئ لا يمكن أن تتعادل والمذاهب لا يمكن أن تحي في حالة تعايش سلمي وما دام كل حوار هو في صميمه ضرب من المواجهة فإن الفيلسوف لابد أن يتخذ صورة الشخص الذي يواجه الأشياء والأشخاص ويدافع عن رأيه مستوحياً تلك الحقيقة من معارضة وصراع ولكنها مواجهة تقوم على احترام حق كل إنسان في التفكير لا على فرض حقيقتنا فرضاً على الآخر لأن الحوار الفلسفي ليس سوى هذا الوصال الفكري الذي يتم بين شخصيات حيث يفتح بعضها على البعض الآخر .

الفلسفة إذن علم تأسيسي بمعنى أنها تذهب إلى الجذور وتغوص حتى الآفاق أكثر مما يفعل أي علم آخر إنما تريد أن تستمر في الأسئلة وفي البحث هناك حيث تقنع العلوم الأخرى بما عندها وهكذا كانت نظرة غالبية الفلاسفة الكبار في كل العصور إلى الفلسفة، فهي علم موضوعي جاد، إنها علم " كلي بمعنى أنها لا تغلق الباب على نفسها في وجه أي مجال من المجالات وأنها تستخدم كل منهج للبحث في المشاكل الأساسية، حيث لا تقنع بدعاوي وافتراسات العلوم الأخرى ، تنتقدها وتحاول تأطيرها وتوجيهها"² .

ج- الفلسفة توجيهية تنويرية :

إنّ تاريخ الفلسفة مدرسة حقيقية يتلقى فيها المفكر دروس الإخاء الفكري والوصال العقلي والتسامح المذهبي وذلك لأن هذا التاريخ تقرير لحقيقة عليا تؤكد قيمة الإنسان وحقه في التفكير وما كان تاريخ الفلسفة مجرد مقبرة للأوهام البشرية أو مجرد محل للأخطاء البشرية بل هو قد كان دائماً وأبدا ندوة كبرى يتحقق فيها الوصال الحقيقي بين مفكري

¹ نور الدين أفاية، في النقد الفلسفي المعاصر، ص ص 271-272.

* إن الفلسفة ليست مجرد حلقة في سلسلة الأحداث التاريخية أو مجرد ظاهرة حضارية نسبية يتكفل بتغييرها سياق الأحداث الفيلسوف الحق بأبي أن يجعل من المذاهب مجرد شخصيات مسرحية تتعلق بلسان قوة اجتماعية أو طبقة اقتصادية أو جماعة تاريخية وإنما هو يناقشها بلغة المعقولة المنطقية ويطلبها بتقديم مستنداتها الشرعية ويحاول الوصول إلى التحقق مما إذا كانت صادقة أم كاذبة وهذا لا يعني أننا ننكر صلة الفلسفة بالإطار الحضاري ولو أننا أقصرنا النظر إلى الفلسفة بوصفها مجرد تمثيل اجتماعي وكأنا هي ظاهرة حضارية يتكفل بتفسيرها البلد أو الجنس أو الحقبة الزمنية لجعلنا منها مجرد موضوع من موضوعات الدعاية أو مجرد مبدأ من مبادئ الانفصال للمزيد ينظر :

C F E Bréhier, transformation de la philosophie française, paris, elamarion, 1950. p p., 7-8.

² جوزيف يوجنسكي، مدخل إلى الفكر الفلسفي، تر: محمود حمدي زقزوقي، ط3، (القاهرة، دار الفكر، دون تاريخ النشر)، ص 26.

الماضي والحاضر ،حيث يعلم الفيلسوف أنه في خدمة الحقيقة يقتنع بأن يكون مجرد شاهد بدلا من أن يحاول تملكها ،وشهادة الفيلسوف هي تقرير لنوع العلاقة التي تربطه بالوجود هي التزام فكري يتعهد فيه الفيلسوف بالوفاء لخبرته الروحية الخالصة يجاهد في سبيل تحرير تلك الحقيقة التي يحملها في باطنه ،هو في خدمة مبدأ متعال يضع تحت تصرفه فكره وشخصه معا وليست رسالة تلك الفيلسوف سوى تلك "المهمة الروحية التي يضطلع بها الفكر بأداء هذا العمل على الوجه الأكمل"¹ .

الفلسفة في صميمها هي تلك الدراسة الجدية التي يضطلع بها موجود ناطق يبغى الفهم وينشد المعرفة ويلتمس الحقيقة هي تلك الرسالة الإنسانية الكبرى التي تفرضها عليهم الفلاسفة طبيعتهم العقلية نفسها هي قوت الفيلسوف اليومي وغذاؤه الروحي ،والموضوع الأول للفلسفة هو البحث في مشكلة المصير ولو ظن البعض " أن الفلسفة ما هي إلا تركيب ضخم أو بناء عقلي شامخ أو تفكير لفظي ملفق ولكنها في الحقيقة استفهام وتساؤل لا مجرد إثبات أو نفي"² ،والفيلسوف الذي يتهمه العامة بالانعزال لأنه يعيش في عالم أفكاره هو في الحقيقة قوة مهولة وفكره ذو تأثير كبير ،وهذا الفكر يسري على الكل ويلامس كل العقول ،وظيفة الفيلسوف الأساسية هي الانتصار على كل العقبات وتوجيه مسار حركة الإنسانية ،فمن يجب أن يعرف طريق المستقبل ينبغي أن لا "يصغي إلى الساسة بل الى الفلاسفة ،ان ما يعلنه الفلاسفة اليوم هو ما سيصير عقيدة الغد"³ .

و ما يميز الفلسفة أنها لا تهتم بأمور الإنسان العارضة ولا بأذواق الناس المتغيرة فقط بل تمنعه من الهبوط إلى مستوى البربرية و تساعد على بقائه إنسانا ، بل ليصير إنسانا على نحو أفضل و ذلك بتنمية قدراته العقلية بروح النقد و التساؤل ، وهذا ليس كل شيء فمهما بدا في الظاهر من عدم جدوى الفلسفة إلا أن الفلسفة قوة تاريخية مؤثرة وقادرة على التغيير ينبغي أن نوافق وايتهد *Whitehead حين يقارن ما أفرزه الإسكندر المقدوني أو القيصر

¹ زكرياء إبراهيم ، مشكلات فلسفية ،مشكلة الفلسفة 04 ، دون ط،(القاهرة ،مكتبة مصر ،1971) ،ص ص 11-12.

² المرجع نفسه ،ص 20.

³ أم بوتشنسكي ،الفلسفة المعاصرة في أوروبا ،تر: عزت قرني ،دون ط،(الكويت ،عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

،1992)ص 6.

*الفريد نورث وايتهد (1861-1947)عالم رياضيات و فيلسوف انجليزي كتب في الجبر والمنطق وأسس الرياضيات .

الروماني أو نابليون بونابرت بالنتائج التي "تبدو في الظاهر غير مثمرة التي يحصل عليها الفيلسوف فالواقع أن الذي يغير مسار الإنسانية إنما هو الفكر"¹.

ومنه للروح الفلسفية أو لتعاطي الفلسفة وممارستها نتائج عظيمة النفع والفائدة وذلك لأن لها دورا تنويريا يتمثل في أنها توقظ العقل من سباته وتتنقص عن الإنسان الجمود الفكري والكسل الذهني هي تنشط العقل وتنميته وتغرس فيه الحس النقدي وروح الدهشة والبحث والتفكير والنظر والتدبر ،كما أنها تنظم العقل للإنسان وتضيء تفكيره وتزوده بالضوابط المنهجية اللازمة له في بحثه ،يقول برتراند راسل في هذا السياق :

"حتى إذا لم تستطع الفلسفة أن تجيب على كل ما نود أن نوجهه من الأسئلة فإن لديها على الأقل القدرة على وضع الأسئلة التي تزيد من اهتمامنا بالعلم والتي تبين الغرابة والعجب الذين يقعان وراء ظاهر الأشياء مباشرة حتى في أكثر الأشياء شيوعا في حياتنا"²

ولما كان الهدف هو إشاعة حكم العقل إن الفلاسفة يدافعون عن كرامة الإنسان دوما كرامة الإنسان في عقله والعقل هو العلة الكافية للفلسفة لأن العقل هو وسيلة الفلسفة وغايتها في الوقت نفسه ولا يمكن مهاجمة العقل لأن الهجوم عليه "هجوم على الفلسفة والهجوم على الفلسفة هجوم على الإنسان"³، الفلسفة دائما إرتفاع بالعقل عن العالم الحيواني يؤكد ديكرت هذا في كتابه مبادئ الفلسفة قائلا :

"ما دامت الفلسفة تساؤل لكل ما يستطيع الذهن الإنساني أن يعرفه فيلزمنا أن نعتقد أنها هي وحدها تميزنا عن الأقوام المتوحشين والهمجيين وأن حضارة الأمة وثقافتها إنما تقاس بمقدار شيوع التفلسف الصحيح فيها ولذلك فإن أجل نعمة ينعم الله بها

¹ -م بوتشنسكي ،الفلسفة المعاصرة في أوروبا ، ص 16.

² برتراند راسل ،مشاكل الفلسفة ،تر:محمد عماد الدين إسماعيل وعطية مهنا ،دون ط،(1947) ،ص 17.

³ مجاهد عبد المنعم مجاهد ،مدخل إلى الفلسفة ،ص 19.

على بلد من البلاد هي أن يمنحه فلاسفة حقيقيين"¹.

لم يكن إهتمام ديكارت بالعلوم ليصرفه عن التفكير في الحكمة والإهتمام بالبحث واليقين بل إننا لنراه يقرّ منذ البداية بأهمية التفلسف وضرورة البحث الميتافيزيقي حتى أنه ليشبه الرجل الذي يتمتع عن التفلسف بمخلوق أعمى يسير معصوب العينين وهو يقول هذا بصريح العبارة :

"إنّ المرء الذي يحيا بدون فلسفة لهو حق
مغمض العينين لا يحاول أن يفتحهما ولا
يمكن أن يقارن التلذذ برؤية كل ما يستكشفه
البصر بالرضى الذي ينال من معرفة الأشياء
الذي تتكشف لنا بالفلسفة أنه لا جرم أن
تكون الحكمة هي القوت الصحيح للعقول
إن الذهن هو أهم جزء فينا وطلب الحكمة
لابد من ضرورة أن يكون همنا الأكبر"².

الفلسفة إذن هي عمل هذه الطبقة من الناس ذلك العمل الذي ينظر إليه الغير نظرة ملؤها الإعجاب حتى من جانب أولئك الذين لا "يفهمون هؤلاء المفكرين أو لا يعتقدون في صحة آرائهم"³، وهذا الإعجاب نابع من إيمانهم بأن الفلاسفة لم يحيا يوما بمعزل عن الحوادث والتيارات التي تسود في مجتمعاتهم بل لقد كانوا دائما على صلة بهذه الحوادث والتيارات ،إن لم يكونوا في ذروتها وبأخذوا بقسط بارز فيها إنعكس ذلك في فلسفاتهم وترك آثارا مختلفة في مذاهبهم التي تعبر عن تجارب حياتهم وآمال مجتمعاتهم وأحلام مواطنيهم ،هؤلاء الرجال قد مضوا بالتفكير الفلسفي قدما لأنهم إهتموا بالتحليل الواعي لمعضلات الكون والحياة في " مرحلة تاريخية بعينها وبصياغة نظرة زمنية هي في ظنهم أزلية شاملة في الانسان والوضع الإنساني والمصير الإنساني في المخطط الكبير للأشياء"⁴.

¹ رينيه ديكارت ،ميادى الفلسفة ،تر:عثمان أمين ،دون ط،(القاهرة ،مصر ،مكتبة البهجة المصرية،1960) ،ص ص 48-49.

² المرجع نفسه ،ص 80.

³ وليم جيمس ،بعض مشكلات الفلسفة ،تر:محمد فتحي الشنيطي ،مراجعة زكي نجيب محمود ،دون ط،(القاهرة،دون تاريخ النشر) ،ص ص 13-23.

⁴ محمد عبدالرحمن مرحبا ،مع الفلسفة اليونانية ،ط3،(بيروت ،باريس ،منشورات عويدات ،1988) ،ص 40.

الفيلسوف هو موجود إنساني متيقظ والتفكير الفلسفي هو النموذج الصحيح لتلك الأفعال التي يجعل فيها الفكر الشهادة على حضور الوجود والفلسفة أيضا نوع من أنواع الوفاء لأنها تخليد للشهادة التي يمكن "أن تحجب في أي لحظة وبقدر ما تعضد الفلسفة ذلك بقدر ما تكون تأييدها للقيمة الأنطولوجية التي تحمل لها الفلسفة كل تأييد وتعزيز"¹، الفلسفة إذن إنما وظيفتها التعبير عن الدوافع والاهتمامات والحاجات والعقائد والأفكار والمثل والقيم السائدة في أحد العصور التاريخية وإعادة تنظيمها من جديد وتنظيم التجربة الإنسانية كلها كلما كان ذلك ممكنا ،وهي في ذلك كله تتأثر بالمستوى العقلي السائد وبالعوامل الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية التي تحيط بها وبالموقف الذي تستمد منه عناصر الخبرة تطورها الأساسي للعالم .

وما هو جدير بالذكر أن لكل عنصر طابعه المميز وجدل الرأي فيه* ،لكن لا يعني هذا انفصال الفكر عن غيره فالمسافات الشائعة التي تبعد العصور عن بعضها لا يفقدها قيمتها التاريخية ولا تبرر أبدا عدم اهتمامنا بها ،إغفال الماضي مستحيل في الفلسفة لأن تاريخ الفلسفة وهو يبدوا أمام الفيلسوف في تجدد وتطور متصل إلى جانبه إنه يسموا على مجرد التوسع في المعرفة "والمشكلات التي أثارها القدامى من الفلاسفة لم تزل بعد باقية وستظل دوما ما لم تتغير موضوعاتها وإن طعمها البعض بعناصر جديدة"².

إضافة إلى أنه ليس هناك فلسفة تخلوا من النقائص ولو غفل الفلاسفة عن بعض الحقائق إلا أنّ لهم كثيرا من الحسنات كل مفكر مجتهد وكل عالم فذ وكل فيلسوف عظيم يشاطر معاصريه أكثر مفاهيمهم ومعظم أفكارهم وآرائهم وبهذا الطريق لا يخلوا من أخطائهم ومغالطهم لذلك الحكم عليهم لا يكون بتعقب سقطاتهم وإنما يكون بالوقوف على مدى ما وضعوا من لبنات جديدة و رفعوا بها صرح المعرفة وإزادوا بها علوا وشموخا ليس من العظماء من لا يخطئ ومن يعد عظيما لأنه لم يخطأ ليس بينهم من ينجوا من ضغط الآراء

¹Reinhardt R F .the exisentialist revolt ,new york .1960.p.,110.

*لقد كانت الفلسفة في فترة من فترات تاريخها هي إمكان الوصول إلى معرفة يقينية وكانت أيضا البحث عن اللذة العقلية بغض النظر عن أي جانب عملي ،ولكنها كانت في فترة أخرى المدبرة لحياة الإنسان العملية وإستخدمت في العصور الوسطى للذود عن العقيدة .

²L.Robin .la pensée grecque et les origines de l'esprit scientifique ,1912 .p p., 5-6.

والمعتقدات السائدة في عصره لكنه في الأخير حمل المشعل وأضاء الحجة ولا هم له إلا بتثقيف العقول وتنوير الأذهان .

الفلسفة إذن إنعتاق للفكر من الأفكار الوثوقية الدغمائية إلى عالم الأذهان وهي ضرورية كالتنفس وطلب القوت سواء بسواء وهي أصالة في الفكر ورقة في الحس وغزارة في الجمال وسمو في الذوق والشعور لأنها وليدة الإحساس العميق بالجمال الأسمى الذي يلف الكائنات بوشاح واحد ، والفلسفة هي ما يساعد الإنسان على المقاومة ويفتح أمام كل واحد موارد الحياة والتجديد الروحي في عصر تزداد فيه لغة العلوم تجريدا يوما بعد يوم وبدون الفلسفة وبالتالي بدون الشعور بالذات ومعنى الوجود يصبح الإنسان شيئا من الأشياء .

بعد عرضنا للوظائف المتعددة للفلسفة نحاول أن نحصرها في أهم النقاط المسجلة كالتالي:

- مهما اختلفت وظائف الفلسفة فهي في النهاية وعي عَصْرُهَا أو عَصْرُهَا معبرا عنه بالأفكار كما يقول **هيجل Higel** "وهي دائما في قلب الواقع والواقع دائما في قلبها"¹ .

- إن وظيفة الفلسفة الحققة هي فهم الواقع وهو فهم ينبع من طبيعتها حيث تصر على أن أفعال الناس وغاياتهم لا يصح أن تكون وليدة الضرورة العمياء، كما تحت الناس باستمرار على نقدها وتوضيحها وتجاوزها بالسؤال عن حقيقتها وعدم التسليم بها كما لو كانت وصاية أبدية وهي لا ترضى أن تسلم بشيء بغير نقد لا بالأفكار العملية ولا أشكال الحياة الاجتماعية ولا بالقيم والتقاليد السائدة ولو " تخلت عن النقد لتخلت عن روحها ولم يبق منها إلا جسد تتقاذفه أقدام الطغاة والسلطات والإيديولوجيات"² ، مكان الفيلسوف مع الناس وجذوره ممتدة في نفس العالم الذي يشاركونهم فيه الحياة والموت فيبقى " ملتزما بال اللحظة التي عاش فيها والناس الذين شاركهم حياتهم وهمومهم ، مثلما ظل الإنسان عند سقراط* أول حرف في الفلسفة وآخرها واستطاع أن يجعلها تسكن في قلب التاريخ"³.

¹ هيجل ، مبادئ الفلسفة الحق ، تر: تيسير شبح الأرض، دون ط، (دمشق، مطبعة ووراقة الثقافة، 1994) ، ص 10.

² عبد الغفار مكاي ، لم الفلسفة ، دون ط، (الإسكندرية ، منشأة المعارف ، 1981) ، ص 49.

* يعتبر سقراط من الفلاسفة الحقيقيين الذين كان لهم أثر حاسم على الحوار الفلسفي وقد ذكرنا سقراط الذي عاش في هدوء ومات في هدوء لكنه بقي إلى اليوم مثال الفلسفة المتجددة ولو اسقطناه لما امكنا ان نتصور تاريخ الفلسفة ولا تاريخ الحضارة فقد راح نشاطه الفلسفي القائم على الحوار يرفض العادات الشائعة والخضوع الأعمى لأشكال الحياة التقليدية .

³ ميرلوبونتي ، ثناء على الفلسفة ، دون ط، (باريس ، جاليمار ، 1960) ، ص 52-53.

كما أن وظيفة الفلسفة هي نقد الواقع الاجتماعي القائم * ولكنها ليست مهمتها الوحيدة هي كما رأينا تفكير نظري وعملي في الكل ،ولو كان **هيغل** قد عرف الفلسفة بأنها روح عصرها مبلورة في الأفكار وأنها بنت زماننا إن الحركة التاريخية المعاصرة قد وضعت الفلسفة في قلب الواقع الاجتماعي ،كما وضعت الواقع الاجتماعي في قلب الفلسفة ،قد بات واجبا على الفلاسفة أن يروا الفلسفة في عالم متغير ويشاركوا في صنع نظريات تجعل حياتنا أكثر احتمالا وترد عالمنا أقل قسوة وقهرا وتبصر كل فرد منا بدوره الذي يشارك به " وتحيي المسؤولية الأخلاقية عن مصيره ومصير التاريخ البشري"¹ .

الهدف الدائم من النقد الفلسفي هو ألا يضيع الناس في واقع مزيف أو يسلّموا بحقيقة كاذبة إنما ستبصرهم بالعلاقة بين حياتهم وحياة المجتمع ككل ،بين نشاطهم الفردي وبين أهدافهم العامة وأفكار العصر الكبرى وهي تهديهم في النهاية إلى " وضع العقل في الواقع وعدم الوقوع في صور اللاعقل من أشكاله المختلفة من تمزق وتسلط وخرافة وتزييف وطغيان"² .

إنّ الأسئلة الفلسفية من صميم المعضلة الإنسانية الكبرى ولا يستطيع الإنسان أن يظل غريبا عنها غير مبال بها إلا إذا تتكرّر لإنسانيته وتخلّى عن طبيعتها فالتفلسف إذن هو نوع من التنفيس ورغبة في التمتع بالوجود كما يجب أن يكون ،وهو ضروري لنمو العقل واتساع أفقه ولا بد منه لإسعاد الفرد ومساعدته على أن ينسجم مع الحياة هي إذن ذلك الشعور الخفي بمعنى الحياة والكون والوجود ، تنفجر الفلسفة من معين الإنسان ،أي إنسان ،وتنشق من أعماق وجوده لأنه يحتاج لعقلنة الأشياء وتعليلها وإشاعة النظام فيها وإلا فقد معنى وجوده ونقطة إرتكازه وزلت به القدم في مهاوي العدم ،إنه مفطور على تقدير الأشياء ووزنها بميزان من قيمه ومعاييره ليرى ما عسى أن يكون لها معنى بالنسبة إليه .

¹ يرى مؤرخوا الفلسفة أن للفلسفة وظيفة اجتماعية مؤثرة في حياة الناس ،كانت غاية الفلسفة المباشرة هي كشف الحقائق وغايتها هي الإفادة من هذه الحقائق في دنيا الفعل .

² ثيودور أدورنو ،لماذا الفلسفة في كتاب الإنسان والفلسفة ،دون ط،(ميونيخ ،ماكس هوبر ،1964) ،ص 24.

² عبد الغفار مكاي ،لم الفلسفة ،ص 52.

وهكذا الفلسفة بمعناها الأوسع غير منفصلة عن الحياة اليومية بل هي متصلة متفاعلة معها لا تتقطع عن التأثير بها والتأثير فيها ، هي نظرة إجمالية في الكون واتجاه فكري عام نحو الحياة في مجموعها وهذه النظرة الإجمالية وهذا الإتجاه الفكري يؤثران بطبيعة الحال في تصرفاتنا اليومية وفي معالجتنا للحوادث التي تمر بنا بمقتضاها "تسير في علمنا وعلى وفقها نواجه النظم الطبيعية والاجتماعية والسياسية التي تحيط بنا وتحدد موقفنا منها"¹.

لما كان للفلسفة هذا الدور البارز والمهم تبين أنها قادرة على إستمالة الناس والتأثير عليهم تأثيرا قويا وفعالا ،لذلك تفتن لها الساسة فقد كانت الفلسفة ولا زالت تأثر في كل الميادين منها السياسة ،لذلك إرتأينا ان نوضح علاقة السياسة بالفلسفة أو بالأحرى إلى أي مدى تأثرت السياسة بالفلسفة وهو ما سنقدمه في المبحث القادم .

3/- جدلية السياسة والفلسفة :

تتميز الفلسفة بمجموعة من المقومات والطرق ما يجعلها تساهم في تنوير الفكر الإنساني عامة و السياسي خاصة عن طريق النقد والمساءلة والبحث ،حيث تملك الفلسفة القدرة على فهم الحقائق عن طريق فعل النقد وإبراز النقص في فكر ما ،يقتضي الكشف عن المسلمات المضمرة والخطوات المؤدية إلى الفكرة ولعل هذه المميزات هي التي منحها قوة في الصمود ضد من ينادون بنهايتها ،وفي الوقت نفسه أعطت ما يبرر شرعية خطابها ،وبتلخص ذلك في القوة الإيضاحية لخطاباتها .

هذه الأهمية التي تكتسبها الفلسفة شدت انتباه الساسة لها ما أدت بهم إلى إقتباس الكثير من الأفكار والمبادئ التي وظفوها فيما يخدم الوضع السياسي في مجتمعاتهم ،"وبهذا ألفت الفلسفة أنوار حقيقية على السياسة"². التي تأثرت بها وأخذت منها.

¹ محمد عبدالرحمن مرجبا ،المسألة الفلسفية ،ط3،(بيروت ،باريس ،منشورات عويدات ،1988) ،ص ص 16-18.

² غوستاف لوبون ،حياة الحقائق ،تر:عادل زعيتر ،دون ط،(القاهرة ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،2013) ،ص 11.

وهكذا لا يتأسس تقدم السياسة إلا بالاستعانة بالفلسفة والاستفادة منها كونها مرجعية هامة وضرورية وجب الرجوع إليها وبعد ما قاله رسل عن نفع الفلسفة تأكيدا لما سبق ذكره حيث يقول في هذا السياق :

"إنّ أول نفع للفلسفة هو أنها تعلمنا تربية النظر العقلي في المواد التي لا تستطيع إخضاعها دوما إلى المعرفة، لأن المعرفة العلمية لا تغطي بالنهاية سوى جزء ضئيل من المواضيع التي تهم الإنسانية أو ينبغي أن تهمها هناك العديد من المسائل ذات أهمية بالغة لا يعرف العلم في شأنها سوى القليل"¹.

ويضيف رسل قائلا :

"إنّ أهمية الفلسفة تكمن في كونها تجعلنا من ناحية منشدين إلى التفكير في ما يمكن أن نعرفه ومن ناحية أخرى تدعونا إلى الإقرار بتواضع بأن الكثير مما يبدو لنا معرفة ليس بمعرفة في الحقيقة"².

صحيح أن السياسة تسعى إلى حل المشكلات الموجودة داخل المجتمع، لكن هذا لا يعني أنها كانت ولا زالت قادرة على مواجهتها حيث لم تتمكن من تجاوزها وذلك لأنها تحتاج فعليا إلى إسهام الأفكار الفلسفية التي تعتبر نظاما متماسكا من الأفكار والنظريات ، يقوم بتعديل الأفكار السياسية وتهذيبها ،ونظرا لقوة الحجة الفلسفية وأهميتها كان على السياسة أن تقتبس منها وتستند إليها لتكون قوة محرّكة تدفعها إلى التقدم والرقى ،وهذا ما يثبت لنا أن الفلسفة لم تتفصل يوما عن كل الموضوعات والميادين ، هي لم تحصر نفسها في نطاق ضيق بل كانت منفتحة إنزلاقية لم تمارس التمتع ولم ترفض التقييد ،إن إنعزلت الفلسفة عن

¹ برتراند رسل ،الفلسفة وقضايا الحياة، تر: علي مصباح ،ط1،(تونس ،دار المعرفة للنشر ،2004)، ص 13.

² المرجع نفسه ،ص 14.

الواقع المعيش تصبح كما عبر عنها ميشال سير * Michel serres "جاهلة ، منغلقة في مؤسساتها الخاصة"¹.

إذن تحتاج السياسة في مسارها التقدمي موجهًا ومرشدًا ،فرجل السياسة لديه قابلية كبيرة للخطأ وللوقوع في المشاكل والأزمات نظرا لحساسية الوظيفة والمنصب ،و الوسط السياسي الذي يعيش فيه مليء بالصعوبات ،لذلك إحتاج خطاب السياسة لخطاب الفلسفة كونه خطاب توضيحي يوفر لها كيفية فهم وتحليل الظواهر السياسية وكيفية إبراز التناقض الموجود فيها وعلى ضوء ذلك تبني السياسة في مستقبلها وتحدد مصيرها .

تزود الفلسفة السياسة بجهاز مفاهيمي خالص وهو ما يؤكد عبد القادر المذنب في قوله :

"تمدنا الفلسفة بكلمات كي نتكلم جيدا وبتصورات
كي نفهم جيدا وضمن هذا الفضاء التتويري
تطمح الفلسفة إلى تعليمنا كيفية الإقتراب من
ذواتنا وكيفية الكلام والتفكير بمفردنا بدل تفويض
أمر عقولنا إلى غيرنا ،كما تريد الفلسفة أن تعلمنا
أخذ موقع خاص بين أشياء العالم محفزة إرادتنا
في المساءلة والتفكير الحر"².

إذن إنَّ أرادت السياسة التقدم والإستمرارية والازدهار عليها أن تستعين بالفلسفة وتستلهم منها أفكارها ،لطالما كانت الفلسفة باعثًا ومحفزًا ومحركًا لتقدم كل العلوم ليس السياسة فقط حيث تعتبر الفلسفة الدعامه و الحجة القوية و المبرر الفكري لكل العلوم من خلال ما تقدمه من إنجازات على جميع المستويات و هو ما ساعد العلوم الأخرى على حل المشكلات وتجاوز العقبات و مواكبة التطور وهنا تتأكد لنا العلاقة الفعلية بين الفلسفة وكل العلوم الأخرى وخاصة السياسة .

* ميشال سير: (1930-2019) فيلسوف وأديب ومفكر موسوعي غزير الإنتاج متعدد الاهتمامات أحد أبرز الوجوه في المشهد الثقافي الفرنسي والمعاصر من أعماله نظام ليننتر ونماذج الرياضيه 1968 ،أو غست كانط ،دروس في الفلسفة 1975.

¹Michel serres .Genèse ,paris .Grasset et fasquellle .1982 .p., 288.

² عبد القادر المذنب ،الفلسفة فكر وبيداغوجيا ،ط1،(الدار البيضاء ،دار الثقافة ،2000) ،ص 23.

تعكس العلاقة بين الفلسفة والسياسة* ما يمكن تسميته مع المفكر الأمريكي الجنسية ليوشتراوس **Leo strauss** بالتداخل الحاصل في الشؤون الإنسانية بين ما هو نظري وما هو عملي بحيث يسعى هذا الأخير إلى إكتساب مشروعيته عبر مبررات نظرية و بالتالي فإن المجال السياسي سيكتسي الصدارة ضمن الاهتمام الفلسفي حالما تقوم الفلسفة بالتأمل في ممارستها الخاصة فلكي " تفهم الفلسفة بشكل تام غايتها وطبيعتها عليها أن تفهم منطلقها الأساسي أي طبيعة الأشياء السياسية"¹.

إهتمت الفلسفة بالسياسة كتأمل نظري في شؤون عملية حيث إهتمت بكل قضاياها كالعادلة والمساواة والحق وبالأسس التي إنبنت عليها الأنظمة السياسية وما يميز بعضها عن بعض " الفلسفة هي ذلك الخطاب المتأمل حول الممارسة السياسية وتحديدًا في قاعدة التدبير

* بالرغم من قولنا بوجود علاقة بين الفلسفة والسياسة إلا أن هناك من ينكر ذلك ويرى بأنهما منفصلان تماما مثلا كانت حنة أرندت من الفلاسفة الذين انتقدوا انتقادا شديدا هذا الرأي واعتبرت أن الربط بينهما الذي تم لحد الآن اشكاليا لحد بعيد وهو مايمكن من فهم اشكال السياسي عامة لا من جهة المحددات ولا من جهة الجوانب ولا من جهة المفهوم ولا من جهة الحدود، وأشارت في مؤلفها شرط الإنسان الحديث إلى أن اغلب النظريات السياسية منذ أفلاطون يمكن أن تؤول باعتبارها محاولات متسلسلة تكشف عن الأسس النظرية والإجراءات العملية للتحرر نهائيا من تأثير ما هو سياسي فلا مناص من الإقرار بوجود التباس في العلاقة بين ما هو فلسفي وما هو سياسي سينعكس بشكل واضح على العلاقة بين تأملات الفيلسوف وممارسته وسيؤكد الهوية التي قد تحصل بين الفاعلية العملية والتفكير النظري. تؤكد أرندت أن مفهوم السياسة شهد لحظتي اختفاء داخل الفلسفة، للحظة الأولى كانت في الفترة اليونانية حيث ان الفلسفة لم تعط مكانة حقيقية للسياسة ذلك ان التقليد الاغريقي الذي بدأ بموت سقراط أزم علاقة الفيلسوف بالمدينة وتجلي مفهوم الفلسفة خاصة في محاوره فيثون لأفلاطون من حيث علاقتها بالموت فالفلسفة هي ان نعلم الموت، أما اللحظة الثانية كانت في العصر الحديث من خلال ظهور المفهوم الحديث للتاريخ الأحداث السياسية والحراك السياسي قد اختفيا داخل الحدث التاريخي، مفهوم السياسة بالنسبة لأرندت مفهوم لا فلسفي أي يقع خارج التقليد الفلسفي اليوناني بالنسبة إليها الجمع بين الفلسفة والسياسة جمع بين الأضداد واعتبرت أن في الفلسفة عائقا يحول دون أن تظهر السياسة بداخلها ذلك من جهة امتناع فلسفة في الفعل السياسي هي تؤكد استحالة السياسة داخل الفلسفة واستحالة الفلسفة داخل السياسة، تفرق أرندت بين الكلمتين وتفصلهما فهي تفهم شيئا في السياسة أو شيئا عن السياسة علينا ان نتحرك مع السياسة وأن نبقي في العالم لا أن نتعالى ونبتعد منه كما أراد لنا التقليد اليوناني وهنا تظهر الحدود الفاصلة بينهما حتى ترى السياسة خالصة من كل فلسفة كما أرادت، أريد تناول السياسة بعيون خلوة من كل فلسفة الفلسفة ليست المكان المناسب لولادة السياسة لأن التحليل في الفلسفة لا يصل إلى العمق نفسه ولأن المعنى يختلف من فلسفة إلى أخرى، من جهة أخرى يقاسم **جاك رونسيار** (1990)، (الجزائر) أرندت الفكرة التي مفادها أن السياسة لم تجد مكانا طبيعيا داخل الفلسفة اللقاء الأول بين الفلسفة والسياسة هو لقاء البديل إما سياسة السياسيين أو سياسة الفلاسفة والمشكل الذي يبقى مطروحا في علاقة الفيلسوف بالسياسة هو أن الفيلسوف عندما يذهب إلى السياسة إما يكون سياسيا سينا أو فيلسوف سينا. فلا أحد حسبه يحتاج إلى الفلسفة ولا أحد يطلب منها المساعدة وان رجال السياسة لا يلجؤون إلى الفلسفة والفيلسوف لا يلزم الحياء في تعامله مع السياسة فقد صار ذلك مستحيلا منذ لحظة أفلاطون وعلى النحو عينه أبدى الفلاسفة نوعا من الجفاء إزاء كل ما يتعلق بالسياسة فاختر المراء للفلسفة انما هو التزام بهجرة الحياة العمومية والاكتفاء بالحياة الخاصة للمزيد ينظر: حنة أرندت، بين الماضي والمستقبل، ستة بحوث في الفكر السياسي، تر: عبد الرحمن بشناق، ط1، (بيروت، جداول للنشر والتوزيع، 2004)، ص 16. وينظر:

Hannah arendt. la condition de l'homme moderne. éditions calmann lévy. 1983. p. , 249

Hannah arendt. qu' est-ce que la politique ?. traduction sylvie courtine denamy éditions du seuil. 1995. p., 125.

ومن جهة أخرى تنكر الوضعية المنطقية أي صلة للفلسفة بالعلوم الأخرى فكل الأشياء التي لا يمكن التحقق منها بالتجربة هي قضايا ميتافيزيقية غير منطقية هي قضايا فارغة من المعنى، منطق العلم أصبح حسبهم ناضجا ليحرر من الفلسفة وينفرد بموضوع علمي مضبوط يقوم على منهج علمي صارم، ان كل ما تدعوا اليه الوضعية المنطقية هو قصر التفكير الفلسفي على فحص اللغة التي تعبر بها العلوم فحصا منطقيا صارما فلا يستطيع أن تظهرها من كل التصورات الميتافيزيقية التي قد تسرب الى المعرفة العلمية بواسطة اللغة العادية، ترى الوضعية المنطقية إذن أن العلم وحده كاف للوصول الى معرفة الكون والتقييد بالمنهج العلمي يسمح بالقضاء على كل التفسيرات الميتافيزيقية التي هي في حقيقة الامر تأويلات وهمية دون أي محتوى علمي، كما أعاب التفسير على الفلسفة أنها قاصرة على إنجاز ما يسمى بفعل الحسم بالمقارنة مع العلم الذي يستطيع فعل ذلك، ويرجع سبب ذلك الى كون موضوعات الفلسفة ميتافيزيقية وكل ما هو ميتافيزيقي غير قابل للاختزال ولاإختيار وبالتالي فهو مرهق للعقل على حد تعبير **أوغست كونت للمزيد ينظر**: عدنان نجيب الدين، "فلسفات معاصرة"، مجلة فصلية، بيروت، العدد الأول، 2008، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ص 4. وينظر:

August cant. cours de philosophie positive leçon 1-2(tunis. crees. 1999) p., 97.

و بخصوص هاته العلاقة بين الفلسفة والسياسة نجد تصورين أساسيين على الأقل تصورا يختزل السلطة فيما هو سياسي محض أو خالص و تصور يوسع من فهم السلطة لتتخذ أنواعا من السلوكيات و الخطابيات و الإستراتيجيات و لا ننسى تصورا يفصل بين الفلسفة و السياسة مدعيا حياد الفكر الفلسفي كأن الفلسفة لا تهتم بالصراع و الحياة و السياسة كما قد سبقنا ذكره ، لكن قد نجد من يطابق بين الفلسفة و السياسة دون إدراك المسافة البينية و الهامشية القائمة بينهما و هي مسافة الإبداع و النقد ، للمزيد ينظر عبد اللطيف الخمسي ، الخطاب الفلسفي و منطق السلطة ، الفلسفة و سلطة المؤسسة ، ط1، (الرباط ، المغرب ، منشورات دار التوحدي ، 2015) ، ص 11.

¹ Léo strauss. qu' est-ce que la philosophie politique ?. p.u.f. paris. 1999. p., 62.

السياسي¹، الفلسفة وحقيقتها لا توجدان خارج شؤون البشر وعالمهم المشترك بل على وجه التأكيد في داخلها وإنه يمكن تحقيقها في مجال العيش المشترك وبظهور الناس الجماعيين، تتطوي الفلسفة السياسية حتما على نظرة الفيلسوف إلى السياسة، و يفرض الفيلسوف مقاييسه على شؤون البشر، لأن الممارسة الفلسفية هي إبداع فكري لا تتفصل عن السلطة ولا عن السياسة، وكل هذا يؤكد مدى ارتباط الفلسفة بالصراعات الاجتماعية والسياسية حتى ولو كانت الفلسفة "تدعي الحياد الفلسفي فالعقل الفلسفي لا ينفصل عن العقل السياسي حتى وإن إدعت الفلسفة الحياد الفلسفي اتجاه القضايا السياسية"².

تاريخ العلاقة بين الفلسفة والسياسة هو تاريخ معقد يتحدّد ضمن صراع بين إرادات المعرفة وإرادات المصلحة والقوة وهو مسار يتّخذ أشكالا متعدّدة وبالتالي الكلام عن مشروعية الفلسفة ووظيفتها ووجودها لا يخرج عن سياق الكلام عن المؤسسة كنظام قانوني يضمّ علاقات بين فاعلين تجمعهم ضوابط ومصالح كل فلسفة هي في العمق ممارسة سياسية من وراء المعرفة كما أن هاته الفلسفة هي مشروع آخر للسلطة.

لكن قيمة الفلسفة تكمن في كونها ليست ممارسة تبشيرية دعوية فقط، بل هي تراكم عقائدي متجدد و الفلسفة مهما كان توجّها لا تتفصل عن اليومي وهي منخرطة في التاريخ سلبا أو إيجابا، وما يميّز الفلسفة أنّها ترتبط بالحرية والعقل والنقد وكون السياسة تحيل عند البعض إلى المكر والحيلة والأنانية أصبح الإشكال هنا أخلاقيا في الصميم، أي يهتم وظيفة الفيلسوف في العمق لأنّ دور الفلسفة الأساسي هو تخليق السياسة وتوجيهها، فقد نصل في ميدان السياسة إلى إرتكاب الجرائم ضد الإنسانية وهذا أمر لا تقبله حقيقة الفلسفة، لأنّ الحقيقة الفلسفية تحمل روح الكلية من أجل الإنسانية، في حين أن الحقيقة السياسية مشوّهة ولا تحمل هذا المعطى و لأن الحقيقة السياسية متعلّقة بمصالح الناس لا بمصلحة الإنسان وضع السياسة لا يصلح ولا يستقيم ولا يتحقق التوافق السياسي بما هو قيمة أخلاقية سياسية إلا بالفلسفة التي عبّر هيجل عن وظيفتها من خلال صورة البومة "التي تحلّق بعد الغسق

¹ غوستاف لوبون، حياة الحقائق ص 11.

² عبد اللطيف الخمسي، الخطاب الفلسفي ومنطق السلطة، ص 7.

حيث تتبع الحاجة إلى الفلسفة حين تزول القدرة على التوحيد وتمحي من حياة البشر وحين تكون المتقابلات قد فقدت رباطها الحي وتفاعلها وصارت قائمة برأسها¹. في هذا الشاهد يجيبنا هيجل عن السؤال الذي يتعلّق بوظيفة الفلسفة قائلاً :

"إنّ الحاجة إلى الفلسفة تظهر بعد ظهور التشتّت والتمزّق والتنافر ،وكأنّ البومة تطير لتخلق حالة من الصلح والتقارب الفكري بين كل التجارب الإمبريقية التي حدثت قبل الغسق ،الفلسفة مرحلة ضرورية لا يمكن أن يعيش الناس من دونها إذا ما أرادوا تدبير وجودهم على هذه الأرض والتفكير فيه² .

إستنادا لهذا يتأكد لنا الترابط التفاعلي بين المعرفة الفلسفية والقضايا السياسية كل فلسفة تضم سلطة وتنشدها أو تتخذها موضوعا ،وكل سياسة تتضمن فلسفة محددة ،هناك تمفصل بين الفلسفة والسياسة لأنّ الخطاب الفلسفي هو خطاب مركّب من مفاهيم وتصورات معبّرة عن مواقف اجتماعية وسياسية ،ولأنّ مجال إشتغال الفلسفة لا محال هو مجال السياسة باعتبارها السؤال الجوهرية لها ،وما هو جدير بالذكر أنّ القضية لا تكمن في الصراع بين الفلسفة والسياسة بل في الانخراط في السياسة بأدوات فلسفية ،إنّ الإشكال لا يكمن في خوف الفلسفة من السلطة بل المهم في " قدرتها على تفكيكها ونقدها لاستبدالها بسلطة أكثر عقلانية في إطار جدل مع الواقع ومع التاريخ"³ .

ما تحمله الفلسفة من مبادئ تعقلن السياسي وتوجهه وفق حكمة أساسها أن نفكر من أجل الجميع أن الفلسفة بانفتاحها على الفضاء الفكري والأخلاقي تجعل من السياسة درسا في كيفية إدارة الشأن العام وفق وازع أخلاقي ،الفلسفة الحقيقية التي تسعى من أجل هدف واحد قد غادرت برجها العاجي التأملي لتزرع الوجود الحيوي للتجربة الإنسانية⁴ ،إن الفلسفة

¹ هيجل ،في الفرق بين نسق فيشته ونسق شلنغ في الفلسفة ،تر: ناجي العوفي ،ط1،(بيروت ،المنظمة العربية للترجمة ،2007) ،ص 127.

² مليكة بن دودة ،فلسفة السياسة عند حنة أرندت،ط1،(الجزائر، منشورات الإختلاف، 2015) ،ص ص 139-149.

³ عبد اللطيف الخمسي ،الخطاب الفلسفي ومنطق السلطة ،ص 13.

⁴ Hannah Arendt. qu 'est-ce que la politique ? .p . 101.

لا تحي إلا كنفد ،نقد الآليات التي تمارسها السياسة من أجل التنظيم والتدبير والمراقبة والإنتاج وفق منطق محدد ،لا ينفصل عن بعد تقني يوجّه واقعية الفعل ومرجعياته ،فالفلسفة إذن لا تتفصل عن الشأن العمومي وهو ما يربطها عضويا بالسياسة والأخلاق ،وسياسة الفلسفة ليست مجرد شعارات بّراقة بل هي وعي بضرورة إصلاح المؤسسة السياسية وكذا بناء فلسفة تربوية توجّه السياسة العامّة إتجاه ما هو "تربوي إجتماعي في علاقة بمشروع الإنسان الممكن ،والأساس هو أنّ تكشف الفلسفة نقديا مفارقات الممارسة السياسية"¹ وتصبح السياسة بهذا لا ترى في الفلسفة عدوا بل شريكا في التدبير .

إذن تمتلك الفلسفة قوّتها ليس في ابتعادها عن السياسة كما يدّعي البعض بل في علاقتها الفكرية بالسؤال السياسي مجال السياسة هو مجال اختبار للفلسفة تبرزها مساهمة الفكر الفلسفي في إغناء الفكر السياسي ،الفلسفة ليست منظومة فارغة بل هي حمولة ثقافية ومعرفية وبالتالي تترجم نسق علاقات وموازين قوى وصراعات ورهانات ممّا يجعلها آليّة للرقابة والضبط وللتوجيه والتقييم ،وعليه الفلسفة ليست "خطابا متعاليا بل هو ممارسة منهجية واقعية محكومة بقيم مشروطة بسياسات محدّدة لا محيد عنها في كل فعل فلسفي"² .

لقدّ اهتمت الفلسفة منذ نشأتها بعالم السياسة و سؤال الدولة نشأ وإرتبط إرتباطا وطيدا بحركة تقويضيّة لشكل النظام السياسي وعلاقة الحاكم بالمحكومين ،كما أنّ الإشكالية السياسية إتخذت مأخذا أخلاقيا وإقترنت بقيم العدل والحرية وأصبح الصراع بين حرية الأفراد والدولة من أهم القضايا التي وجب معالجتها في الفكر الفلسفي والسياسي معا وصار من الضروري أنّ تكون الفلسفة حاضرة وبقوة في ساحة النقاش السياسي ،لا يمكن أن نتصور الفيلسوف متفرّجا في هذه المسألة الخاصة والحساسة كونه ليس بعيدا عن مشكلات الفرد وإنشغالاته ،وانطلاقا من هذا نحن لا نتصور الفلسفة إلا على أنّها مرتبطة بالسياسة برباط مزدوج بدون الظروف التي نتجت عن ظهور الديمقراطية مثلا لا يمكن أن تكون الفلسفة ودون الممارسة الفلسفية للفكر الناقد لا يمكن للديمقراطية أن تنوم ،لا يمكن للفلسفة

¹ عبد اللطيف الخمسي ،الخطاب الفلسفي ومنطق السياسة ،ص ص 25-31.

² المرجع نفسه ، ص 36.

والديمقراطية أن يتقدّما إلا سويا ،"وأن أمارس الفلسفي أو أمارس الفعل السياسي ،هما تعبيران مختلفان للإشارة إلى شيء واحد بذاته"¹ .

إنّ اهتمام الفلاسفة بمشاكل نظرية دقيقة لا يعود إلى تخليهم عن السياسة ولكن يعود إلى وعيهم اللحظة بأنّه ما من شكل من أشكال الممارسة السياسية إلا ويرتبط أشد ارتباط بتفكير نظري صارم لأنّ مسألة الفلسفة اليوم سياسية كلها وتاريخية كلها ،"إنّها السياسة المحاثية للتاريخ والتاريخ الذي لا غنى عنه للسياسة"² ،وهذا ما جعل "ف شاتلي" يؤكد "بأن تاريخا للفلسفة هو بالضرورة تاريخ سياسي"³ ،إنّه تاريخ تفاعل بين مجال الفلسفة ومجال السياسة قوة وممارسة وهو تفاعل ترتفع فيه القضايا والممارسة السياسية إلى مستوى التصور الفلسفي أو تتحوّل الأطروحات النظرية داخله كي تتجسّد في قول سياسي وفي نشاط عملي إجتماعي وقد أصبح لفظ الممارسة مرافقا للتفكير النظري وضمنه الفلسفي ،وهنا تتبدّى لنا الفلسفة "كنشاط سياسي إجتماعي قد تظهر أحيانا على شكل صراع طبقي على المستوى النظري"⁴.

إنّ هذا التفاعل ذاته بين السياسة والفلسفة قد عبّر عن نفسه في حديث "ميشيل فوكو" عن نظام الخطاب وعن الآليات التي تكوّنه وتؤسّسه وتحكم بيئته ،وذلك بصياغته للزوج: حقيقة ،سلطة ،أليست الحقيقة فلسفة؟ أليست السلطة سياسة؟ "إنّ الحقيقة حسبه ليست خارج السلطة وليست بدون سلطة ،إنّ الحقيقة هي من هذا العالم هي ناتجة فيه بفضل عدة إكراهات وهي تمتلك فيه تأثيرات منتظمة مرتبطة بالسلطة ،لكل مجتمع نظامه الخاص وسياسته العامة وخطاباته التي يستقبلها هذا المجتمع ويدفعها إلى تأدية وظيفتها كخطابات صحيحة"⁵.

ومنه لا يصح لنا الحديث عن تاريخ الفلسفة إذا نحن تجاهلنا وألغينا تاريخ الأفكار السياسية التي ساهمت بدورها بشكل فعال في إنارة السؤال الفلسفي الذي كان له بدوره أثر

¹ كريستيان دو لاكامباني ،الفلسفة السياسية اليوم ،تر:نبيل سعد ،ط1،(مصر ،عين للدراسات والبحوث الإنسانية ،2005) ،ص 10.

² ميشيل فوكو ،هم الحقيقة ،مختارات ،تر:مصطفى المسناوي ،مصطفى كمال ،ط1،(الجزائر ،منشورات الاختلاف ،2006) ،ص ص 35-55.

³ ف شاتلي ،"الوضع الراهن لمسألة التاريخ والفلسفة" ،تر:جمال الدين العلوي ،مجلة آفاق ،العدد 2 ،السلسلة الجديدة ،ص 03.

⁴ Louis Althusser . "réponse a john leuais" .paris,F.M.1973 .p. ,41.

⁵ ميشيل فوكو ،نظام الخطاب ،تر:محمد سيلا ،ط1،(بيروت ،دار التنوير للطباعة ،2007) ،ص 70.

فعال في "مأسسة الفكرة السياسية وشحنها نظريا بهواجس الذات العارفة، وأشكال قلقها الديني والعلمي والسياسي"¹.

إنّ السياسة ليست "مصطلحا فلسفيا بل مجال للنشاط الفلسفي"²، ذلك أن مجال السياسة قد وُفّر أفضل شروط لحضور القول الفلسفي بقوة فقد ظهرت "الفلسفة السياسية كمحاولة دائمة من قبل الفلاسفة للإجابة عن تساؤل هام وضروري"³ هو: **كيف يمكن للقوة أن تتوافق مع العقل والحكمة في المجتمعات الإنسانية؟**

يتضمّن الفكر السياسي المبادئ والنظريات التي تتعرّض للعلاقة بين الفرد والسلطة وما يستلزم من ذلك من "دراسة وتفسير ظاهرة السلطة في نشأتها ووجودها أو تطور مؤسساتها ووظائفها ومجالها"⁴، هي محاولة لمعرفة طبيعة الدولة وسعي لفهم حياة الشعوب داخل المدينة، المدينة نظام سياسي يقوم على مشاركة أعضائها في تدبير شؤونها وذلك بواسطة الكلام والمنطق، والفلسفة ليست شيئا آخر سوى أسمى أنواع الكلام بأسمى أنواع المنطق، وهذا السمو المضاعف هو ما يجعل منها حكمة، والحكيم هو الذي يتكلّم عن معرفة، وإبتغاء للفضيلة لا غير، والفلاسفة إن صحّ التعبير هم "بمثابة المشرّعين للنظام في المدينة، الداعون إلى نشر الفضيلة فيها"⁵.

إنّ العودة إلى الفلسفة ضرورة يفرضها فشل التدبير في كل الميادين وخاصّة السياسة، هذا التدبير الذي تمّ دون حكمة، والحكمة تبدأ بالاعتراف بأنّ "الوصول إلى الرأي السديد لا يمكن بدون مناقشة حرة، ولا بدون تدبير يساهم فيه جميع المواطنين بتوجيه من الفلاسفة"⁶، ومنه فإنّ تقدّم المجتمع السياسي مرهون بما يتمثّله القائمون على صنع السياسات في بلدانهم من مختلف الأفكار الفلسفية ومحاولة تطبيقها في مجتمعاتهم، هذه الأفكار لم تأت نتيجة تأملات ميتافيزيقية للفلاسفة بل أتت من تحليلاتهم للواقع السياسي الذي يعيشونه حيث

¹ شلا زموري، "جدلية إتصال وإنفصال السياسي والفلسفي" jelsok enterprise ltd ©2000-2017. ubulletin® powered by

² مجموعة مؤلفين، الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول، ط1، (بيروت، معهد الانماء القومي، 1917)، ص 496.

³ اميرة حلمي مطر، في فلسفة السياسة، دون ط، (القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1978)، ص 19.

⁴ جهاد تقي صادق، "الفكر السياسي العربي الإسلامي الحديث"، جامعة بغداد، 1989-1990، ص 19.

⁵ محمد عابد الجابري، قضايا الفكر المعاصر، ط1، (بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، 1977)، ص 14.

⁶ المرجع نفسه، ص 16.

سعوا جاهدين لتقديم الحلول التي يرونها بهذه المشاكل ومن ثم يكون على صانعي القرار السياسي إذا ما أرادوا إصلاح مجتمعاتهم والإرتقاء بها أن يلتزموا بتحويل هذه الأفكار إلى واقع ملموس، "وكلما كان هذا الإلتزام موجودا من قبل الساسة كان التطوير والإرتقاء بمجتمعاتهم ملموساً"¹، وإذا ما كان التفاعل موجودا بين الفكر السياسي نهض المجتمع من كبوته وعوفي من أمراضه وهذا ما يؤكد ارتباط الساسة بالفلسفة منذ القدم .

بالرغم من كل ما قدّمناه من وظائف للفلسفة إلا أنّ مهمّة ووظيفة الفلسفة الأولى هي تحقيق نقد لكل الممارسات الخطابية حيث يظهر النشاط الفلسفي كما ذكرنا سابقا في ميادين مختلفة وبخاصة السياسة ، قد حاولت الفلسفة أن تطيح بكل ما هيمن من صور وقناعات قدّمت على أنها حقائق كلية ،وعالجت مواضيع شديدة الحساسية مثل أهمية ممارسة السلطة والنظام الأمثل الذي يجب أن يتم تبنيه ، يتمثل دور السياسة بالنسبة إلى الفلسفة في تقديم حلول للمشكلات الموجودة في المجتمع بدل القيام بتفعيل عمليات السيطرة والتحكم ،ومن هنا برزت أهمية الفلسفة وقيمة الفيلسوف باعتباره المرشد الذكي والموجه الأمين لمسيرة الفكر والتقدم ،ولما كان للفلسفة هذا الدور أي الموجه والناقد ،إستطاعت أن تستقطب إليها الوجوه السياسية الذين تأثروا بها أشدّ تأثر وأعجبوا بها نظرا لقيمتها وعمقها ومكانتها العظيمة ،فقد كانت الفلسفة ومازالت تأثر في جميع الميادين ومنها السياسة عندما نستقرأ التاريخ نجد هذا بوضوح ،في العصر اليوناني حيث نشأت الفلسفة السياسية ودونت لأول مرة من خلال الحياة السياسية التي وجدت عند اليونان ،ومن ثم تطورت الأفكار والنظريات في مجال الفكر السياسي في العصر الحديث والمعاصر ،وانطلاقا من هذا إرتأينا تقديم بعض النماذج التوضيحية المتمثلة في فلسفة أرسطو وأفلاطون في العصر اليوناني ،بالإضافة إلى ميكافيلي وفلاسفة العقد الاجتماعي في العصر الحديث ،وذلك لنبرز العلاقة الحميمة بين السياسة والفلسفة عبر التاريخ ،هذه النماذج تعتبر عيّنة حقيقية تثبت مدى تأثير الفلسفة على غيرها من العلوم خاصة السياسة التي تمسّ كل طبقات وشرائح المجتمع وهو ما سنقدمه في الفصل الثاني بالتفصيل .

¹ مصطفى النشار ،تطور الفكر السياسي القديم من صولون إلى ابن خلدون ،ط1،(القاهرة ،قباء للطباعة والنشر ،1999) ،ص ص 24-32.

الفصل الثاني: تأثير السياسة بالفلسفة

عبر التاريخ

1/- تأثير السياسة بالفلسفة عبر المراحل التاريخية

أ- المرحلة اليونانية: أفلاطون و أرسطو نموذجان

أ-1- أفلاطون

أ-2- أرسطو

ب- المرحلة الوسيطة

ج- المرحلة الحديثة: ميكافيلي و فلاسفة العقد الاجتماعي نموذجان

ج-1- تأثير الحكام بفلسفة ميكافيلي

ج-2- الأبعاد الميكافيلية في سياسة الأنظمة

ج-3- تأثير الفكر السياسي المعاصر بنظرية العقد الاجتماعي

ج-3-1- تأثير الفكر الفرنسي السياسي بنظرية العقد الاجتماعي

ج-3-2- تأثير الفكر الأمريكي السياسي بنظرية العقد الاجتماعي

1/- تأثير السياسة بالفلسفة عبر المراحل التاريخية :

إنّ الحديث عن علاقة السياسة بالفلسفة هو الحديث عن العلاقة الحميمة التي جمعت بين المجالين منذ القدم ،وما هو متعارف عليه أنّ كل العلوم نشأت في أحضان الفلسفة وتاريخ الفلسفة يؤكّد ذلك ،ومما لا شكّ فيه أنّ من أهمّ ما يميّز العلاقة بين السياسة والفلسفة أنّ تطوّر السياسة يعتمد بشكل كبير على تطور الفلسفة لأن تطور السياسة يرتبط إلى حد كبير بتطور الفلسفة ،واستناد السياسة على الفلسفة واضح متجلّي عبر التاريخ ،لأن من أهم وظائف الفلسفة الأساسية رعايتها للعلوم في أطوارها الأولى وهذا ما يثبت أهمية الفكر الفلسفي في مضمار السياسة باعتباره " قوة فعالة تكمن وراء شتى العوامل الاجتماعية والسياسية المغيّرة لصفحة التاريخ ،التفكير الفلسفي قوّة جبارة يكمن وراء شتى الانقلابات والتغيّرات السياسية الحاسمة"¹، وهذا ما أكسب الفلسفة أهمية قصوى وجعلها تنبؤاً مكانة عظيمة بين العلوم ،وجعل السياسة بحاجة ماسّة إليها وتاريخ الفكر البشري نفسه يشهد بكل وضوح مدى تأثير السياسة بالفلسفة عبر التاريخ بداية بالمرحلة اليونانية ثم المرحلة الوسيطة فالعصر الحديث والمعاصر .

أ-المرحلة اليونانية : أفلاطون و أرسطو نموذجان :

لم تتفصل ثنائية السياسة والفلسفة في العصر اليوناني حيث تداخلت السياسة بالفلسفة تداخلا فرضته العلاقة العضوية الوطيدة بين الفعل الفلسفي والممارسة النظرية ،ومن ثمة إن معظم المثل العليا السياسية الحديثة كالحرية والعدالة والحكومة الدستورية واحترام القانون قد بدأ تحديد مفهومها بتأمّل فلاسفة الإغريق نظم دولة المدينة التي كانت تحت أنظارهم على أنّ مدلول هذه المصطلحات قد لاقى خلال الأجيال المتعاقبة تغييرات متنوعة يلزم معها أن يكون تفهم هذا المدلول في ضوء النظم التي أريد بها تحقيق تلك المثل العليا مع الإحاطة بالبيئة الاجتماعية التي حقّقت فيها تلك النظم رسالتها ،أما الفارق بين دولة المدينة

¹ زكرياء إبراهيم ،مشكلات فلسفية ،مشكلة الفلسفة 04 ،ص 78.

والجماعات السياسية الحديثة فقد بلغ حدا يصعب معه للإنسان أن يتصور ما كانت عليه حياة المدن الإغريقية من الجوانب الاجتماعية والسياسية والإقتصادية .

حيث اختلفت تجارب الحكم التي شغلت أذهان فلاسفة الإغريق إختلافا كبيرا عن كل ما شاع في عصرنا الحاضر من تطبيقات ،كما أن البيئة الفكرية التي عمل فيها هؤلاء الفلاسفة تغاير في جملتها بيئة الفكر الحديث ،"ولئن كانت مشكلات العصر الحاضر لا تخلو من بعض أوجه الشبه مع مشكلات اليونان"¹.

إنطلاقا من هذا إرتبطت نشأة الفكر السياسي بين اليونانيين "بما تميّزت به العقلية اليونانية من تحكيم للعقل في هدوء وصفاء حيث حاولوا النظر إلى العالم في ضوء العقل"² ،لأنّ الشعور بقيمة العقل كان الشرط الأول لنمو الفكر السياسي في بلاد اليونان كما أنّ الشرط الذي يجب أن يسبق كل تفكير سياسي هو إدراك التناقص بين الفرد والدولة ،وعمل كل مفكر سياسي هو أن يوفق بين الإثنين لأنّ هدف الفرد هو بناء الدولة وهدف الدولة هو الرقي بالفرد وتطويره ،بمعنى أن الغايات والأهداف واحدة ،لأن تعارض الغايات يشكّل خطرا حقيقيا ومشكلا من المشاكل السياسية "التي تهتمّ بها الفلسفة لأن الفيلسوف يبقى مهتما بالتاريخ السياسي بدل أن يتطلّع إلى عزل الفلسفة بوصفها منهجا منفصلا"³.

وما لفت إنتباه الساسة للفلسفة هي مكانتها التي تبوّأتها في الماضي والحاضر ،بحيث يمكن إستعمال مقولاتها ونظرياتها لتبرير ما يمكن تبريره من أقول وأفعال ،بالإضافة إلى حملها لرسالة أخلاقية سياسية توجيهية تنويرية ،تحاول الفلسفة أن تكشف عن شكل جديد للحياة الفكرية السياسية التي لا تقبل على كل حال إنفصالا عن الحياة الاجتماعية ،وتصور لنا فلسفة أفلاطون وأرسطو* هذا ومعها "جميع أنواع التأثير والتأثر بين كل من مجال

¹ جورج سباين، تطور الفكر السياسي، الكتاب الأول، تر:حسن جلال لعروسي، ط2،(القاهرة، مصر ،دون تاريخ للنشر) ،ص 29.

² ارنست باركر ،النظرية السياسية عند اليونان ،الجزء الأول، تر:لويس إسكندر ،دون ط،(القاهرة ،مؤسسة سجل العرب ،1966) ،ص 11-12.

³ إميل برهيه ،تاريخ الفلسفة اليونانية ،الجزء الأول، تر:جورج طرابيشي، ط1،(بيروت ،لبنان ،دار الطليعة للطباعة والنشر،دون تاريخ النشر) ،ص 16.

* إن اختيارنا لهذين الفيلسوفين هو لتمييز موقعهما الفلسفي من جهة ، ولكون السياسة يونانية بامتياز من جهة أخرى وذلك موضّح في قول برتراند راسل في كتابه حكمة الغرب في جزئه الأول عن أفلاطون وأرسطو "إنّ القارئ لو قلب صفحات هذا الكتاب لن يجد فيه فيلسوفا واحدا

السياسة ومجال الفلسفة¹. ولتوضيح هذه الأفكار حاولنا تسليط الضوء على الفكر السياسي لكل من أفلاطون وأرسطو وذلك من خلال التطرق لبعض أفكارهما في ميدان السياسة وذلك حول محور مهم هو المدينة المثلى أو الفاضلة، وكيف يطرحان فكرة السياسي حول هذه المدينة وذلك من خلال البحث في تصوراتهما الفلسفية والسياسية، ولتؤكد على نقطة مهمة ألا وهي أن الفيلسوف هو السياسي في المرحلة اليونانية²، حيث يمكن للفيلسوف أن يتقلد المناصب السياسية بل يستطيع أن يصير حاكما ويدير شؤون البلاد والعباد، ولنوضح فكرة أساسية مفادها أن السياسة قد إستفادت كثيرا في العصر اليوناني من الزخم الفكري الذي تميزت به الفلسفة ما ساعدها على التقدم والتطور .

أ-1- أفلاطون :

الحديث عن تأثير السياسة بالفلسفة ليس غائبا في بلاد اليونان ،لأن ما إكتسبته السياسة في ذلك الوقت من أهمية ،كان بفضل حضور الفلسفة القوي في خطاب السياسة وبهذا أصبحت الفلسفة سببا لتطور السياسة ويمكننا أن نستدل لتأكيد صحة طرحنا بما قدمه أفلاطون من إسهامات في مجال السياسة ،والمتمحّص للفكر الأفلاطوني يصل إلى مسلمة مفادها أن المشكلة الفلسفية الحقيقية التي كان يصبوا إليها في الواقع هي مشكلة السياسة ،في خطابه السابع يظهر جليا تطلّعه في شبابه إلى الانشغال بالسياسة وذلك موضح في قوله:

"كانت نتيجة ذلك أنني بعد أن كنت متلهفا إلى أقصى حد للإنشغال بالشؤون العامة أمعنت النظر في معترك

=يشغل حيزا يعادل ذلك الذي يشغله أفلاطون وأرسطو ،ومرد ذلك إلى موقعهما الفريد في تاريخ الفلسفة ،هما أولا قد ظهرا بوصفهما وريثين للمدارس السابقة لسقراط ومنظرين ومنهجيين لها ،طورا ما تلقيا منها وألقيا الضوء على كثير مما ترك بصورة ضمنية لدى المفكرين السابقين وفضلا عن ذلك لقد كان لهما طوال العصور تأثير هائل على مخيلة البشر" ،حيثما إزدهر التفكير النظري في الغرب كانت ظلال أفلاطون وأرسطو محلفة في خلفية هذا التفكير ،وأخيرا إن إسهامهما في الفلسفة أهم على الأرجح من أي فيلسوف آخر قبلهما أو بعدهما ،إذ لا تكاد تكون مشكلة فلسفية لم يقلوا عنها شيئا له قيمة ،وكل من يتصور في أيامنا هذه أنه يستطيع أن يأتي بشيء أصيل دون أن يكون قد إستوعب تلك الفلسفة اليونانية عليه أن يتحمّل عواقب مغامراته ينظر برتراند راسل ،حكمة الغرب الجزء الأول ،تر:فؤاد زكرياء ،دون طه،(الكويت ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،1978) ،ص 84.

¹ إميل برهيه ،تاريخ الفلسفة اليونانية ،الجزء الأول ،ص 141.

² محمد جمال الكيلاني ،الفلسفة اليونانية أصولها ومصدرها ،ط1،(الإسكندرية ،دار الوفاء للطباعة والنشر ،2008) ،ص 15.

الحياة السياسية فراغني تلاحق الأحداث فيها وأخذ بعضها برقاب بعض ، إنتهى بي المطاف إلى أن أتبين بوضوح أن جميع أنظمة الحكم الموجودة الآن وبدون استثناء أنظمة فاسدة ، دساتيرها جميعا أدنى إلى أن تكون مستعصية على الإصلاح ما لم تجتمع إلى إصلاحها معجزة من المعجزات القديمة يصاحبها حسن التوفيق ، وقد دفعني ذلك أن أقول في إطرء أن الفلسفة الصحيحة ترفعنا إلى مكان ممتاز يمكننا في كل حالة من تعرف ما هو خير للجماعات والأفراد وما هو شر على السواء ، لا سبيل لتحقيق حياة أسعد للجنس البشري إلا بتولي مقاليد الحكم جمهرة الفلاسفة السائرين على نهج الفلسفة الحقّة¹.

لقد حاول أفلاطون وضع قاعدة فلسفية "ترتكز عليها السياسة سواء ما تعلّق بالحكم أو شخص الحاكم ذاته وهذا ما جعله أول فيلسوف يضع نظاما سياسيا فلسفيا"²، وهو ما أكسبه مكانة رفيعة في الفكر السياسي* ، وهذا النظام قد صاغه في كتابه الجمهورية والنواميس لاحقا . لا نستطيع أن نفصل سياسة أفلاطون عن فلسفته فمصنّفاته الكبرى هي في آن واحد نصوص فلسفية وسياسية إذ حسب تصوّره المشكلة الفلسفية الحقيقية إنّما هي مشكلة سياسية تقع في صميم المجتمع ، حياته المدنيّة حسبته تحتاج إلى نقد جذري بغية قيام نظام مثالي ، فنشأة الدولة وتطوّرها لا يتحقّق بواسطة السياسة فقط ، ذلك أنّ السياسة ليست كفيلة لوحدها للقيام بذلك و لا يمكنها أن تدّعي أنّها ستصل إلى الحقيقة بمعزل عن فلسفة توجّهها وتعقلنها ، و بالرغم من أن أفلاطون لا يلغي ميدان السياسة ومجالها إلا أنها تحتاج حسبته إلى تهذيب وصقل وإثراء بأفكار فلسفية تدفعها إلى التقدم والرقى .

¹ أفلاطون، الجمهورية، تر: فؤاد زكرياء ، دون ط، (الإسكندرية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، 2004) ، ص 70.

² عبدالرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، الجزء الأول ، ط1 ، (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1984) ، ص 180

* إن تصوّر أفلاطون الفكري للنظام السياسي الأمثل له صلة بحياته وخبرته سياسيا واجتماعيا هو سليل أسرة عريقة بالمجد والشرف السياسي علاوة على المرارة التي ضاقتها منذ إعدام استاذة سقراط بدوافع سياسية وليست فكرية ، فإهتمامه بالسياسة بلغ ذروته بسبب شخصية سقراط العظيمة ومن المرجح أن تكون الكثير من المبادئ السياسية التي نجدها في كتابه هي في الحقيقة من فكر سقراط الذي تلقاه عنه مباشرة ، للمزيد ينظر: جورج سباين ، تطور الفكر السياسي ، ص 72.

لقد إنبنى فكر أفلاطون في جانب مهمّ منه على نقد الواقع السياسي للمدينة الأثينية، ونظامها الديمقراطي حيث كان عدّوا للديمقراطية* "هي حسب من أسوأ الأنظمة وأفضلها على الإطلاق"¹، كلّ الإنتقادات الموجّهة للأنظمة السياسية حول طبيعتها وقوانينها قدّمه لنا في كتابه الجمهورية وبيّن أسباب أفول نظام ما ووضّح أنّ أيّ نظام يحمل في داخله بوادر نهاية النظام الذي يليه، وقد إعتد في تحديده للأنظمة السياسية إلى واقعه المعيش وكذلك تجربته السياسية .

ما أسّس له أفلاطون أعتبر بمثابة مرجعية إستقت منها السياسة مبادئها وقواعدها والسياسة في مختلف مراحلها التاريخية لم تنشأ بمعزل عن العوامل الاجتماعية والفلسفية فالسياسة لم يكن لها وجود فعلي لولا وجود الفلسفة التي كانت ترعاها وتعتني بها، لذلك يمكننا القول أن السياسة لا تستطيع أن تثمر أو تحقّق نتائج فعّالة بدون إستنادها للفلسفة، الفلسفة ضرورية بالنسبة لكلّ العلوم التي تبتغي الوصول إلى اليقين .

هذا الطرح جعل كثيرا من شراح أفلاطون يقدمون أدلة قاطعة على أنّ السياسة كانت الموضوع الرئيسي لإهتمامه، وهذه الأدلة مستمدة من حياته ومن الأحداث السياسية التي شهدتها عصره، ولعلّ من أشهر شراح أفلاطون القائلين بذلك أرنست باركر الذي أكدّ "أنّ الجمهورية مبنية على ظروف فعلية والمقصود منها أن تشكّل الحياة الفعلية أو تؤثر فيها على الأقل"²، الدساتير التي يصفها أفلاطون في الكتابين الثامن والتاسع نشأتها ونموّها وإنحلالها هي إنعكاس لأنماط موجودة بالفعل وكان لها تأثير في تجربة أفلاطون الحية، من أثينا استمد معلوماته عن الديمقراطية، ومن إسبرطة إستمد معرفته بالأوليغارشية، "الجمهورية ليست استنباط من مبادئ أولى وإتّما هي إستقراء من وقائع الحياة اليونانية"³، إنطلاقا من هذا

* الديمقراطية كلمة يونانية تعني سلطة الشعب أو حكمه هو نفس المعنى الذي قصده لالاند في موسوعته بقوله "أن الديمقراطية تعني حالة سياسية تكون فيها السيادة للمواطنين كافة، للمزيد ينظر روزنتال ب يودين، الموسوعة الفلسفية، تر: سمير كرم، ط1، (لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1985)، ص225. ينظر أيضا أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، الجزء الأول، تر: خليل أحمد خليل، ط1 (لبنان، باريس منشورات عويدات، 1996)، ص259.

¹ أفلاطون، الجمهورية، ص87.

² SIR Ernest Barker. Greek polical theory. london. (university papebacks). 1960. p., 227.

³ I bid .p., 283.

شعر أفلاطون بحاجة السياسة لفكر يعدل مسارها ويقومها ،حيث لن يتأسس تقدم السياسة تأسيسا صحيحا وسليما عن طريق ما يقدمه الساسة من قرارات وإقتراحات ،بل بما يجتهد فيه الفلاسفة من أفكار ومبادئ ونظريات ، تطوّر السياسة أصبح هنا مرهونا بتطور الفلسفة التي تحتوي الأفكار السياسية وتؤطر لها وتحميها من الإنزلاقات والأغلاط ،كما تلعب الفلسفة دور المنبّه أو المرشد أو الموجّه للسياسة ،لأنّ السياسة لوحدها ستكون مجرد شعارات ينظر إليها الشعب نظرة الإعجاب والإنبهار لكنّها في الحقيقة ليست سوى وهم إن تخلّت عن الفلسفة بمواضيعها ومسائلها ،وهنا ستجد الفلسفة نفسها فاعلة داخل الفكر السياسي وحاضرة فيه بقوة وهذا ما يفنّد مقولة الذين ينادون بانفصال الفلسفة عن العلوم الأخرى وإستقلاليّتها .

الفلسفة هي منظومة معارف خاصّة عن مكانة الانسان في العالم وعن موقفه من العالم المحيط ،تبحث عن الواقع بأسره ،علما بأنّ مركز هذا الواقع يشغله الانسان بطموحاته وآماله وتساؤلاته وبكلّ تناقضاته الداخلية وإكتشافاته وأوهامه ،ومن ثمّ المهمة التي يأخذها الفيلسوف على عاتقه ليست مهمة هينة أو هدفا متواضعا لأنّ الفيلسوف " يتّخذ من المعرفة كلّها ميدانا له ومن التجربة بأسرها مادة خاما لبحثه ،كل شيء في الكون داخل في نطاق التجربة البشرية يدخل أيضا في نطاق الفلسفة وكل ما يمرّ بنا أو يؤثّر فينا أو يترك أيّ أثر في وعينا يهمّ الفيلسوف"¹، هذا الإعجاب الذي أولته السياسة الفكر الفلسفي لم يكن وليد الصدفة ،بل ساهمت العديد من العوامل في بلورته ،لأنّ فشل السياسة جعلها تتفّطن إلى أنّها تحتاج إلى فكر مؤسّس ومنهجي يتّسم بالجّدّة والتنوير ،وهو فعلا أهمّ ما يميّز الفلسفة وذلك من أجل إيجاد السبل والحلول للخروج من الأزمات وتجاوز العقبات وذلك بإلهام من الفلسفة التي تزوّدنا بأشكال جديدة من الفكر والفعل .

هذه المكانة العظيمة للفلاسفة والفلسفة جعلت أفلاطون يولي الفلاسفة مهام السياسيين بالنسبة إليه الفيلسوف هو السياسي ،ومن مهامه الأولى هي صنع القرار السياسي في بلاده

¹ راكيتوف ،أسس الفلسفة ،تر:موفق الدليمي ،دون ط،(موسكو ، دارالتقدم ،1989) ،ص 9.

الفلاسفة في نظره يعلمون الخير ويريدونه إرادة صادقة، والفيلسوف هو الرجل الوحيد الذي يتصور القوانين تصوّرًا علميًا ويستطيع تلقينها للآخرين بأصولها وبراهينها، وهذا ما يؤدي إلى تطور المدينة وإزدهارها، وما محاوره الجمهورية "إلا دعوة صريحة وواضحة على أن يقتصر الحكم لمن هم أهل له من ذوي الحكمة والمعرفة، وأن يقتصر على كل ذي تخصص فيه وهذا هو جوهر العدل والخير في تصور أفلاطون"¹، الحكومة العادلة حسبه لا ترتجل إرتجالاً وإنما يجب التمهيد لها بالتربية والتعليم، وإنطلاقاً من هذا أمضى أفلاطون حياته يفكر في السياسة ويمهد لها بالفلسفة و ذلك موضّح في قوله :

"هدف الفيلسوف من الإصلاح لا يمكن في هذه الحال أن يكون إلا محاكاة حالة المجتمع المثلى ، الذي هو على معرفة بها إلى حد أقصى حد مستطاع والإمساك بنوع ما بالمجتمع في المستوى الذي آل إليه راهننا للحلول بينه وبين مزيد من السقوط والتردي"².

يتأكد لنا هنا الطرح الذي سبق وأشرنا إليه أن للبعد الميتافيزيقي مكانة هامة في الفكر السياسي حيث ساهمت الأفكار الميتافيزيقية بصفة فعّالة في نمو وتطور السياسة، فليست جمهورية أفلاطون محاولة لتصوير كمال خيالي وغير واقعي يضيع معه الأفراد في الأوهام بل "إن هدفها تأسيس السياسة على نظرية المثل بتصوير مثال الدولة، لهذا هذه الدول ليست غير واقعية بل هي الدولة الحقيقية الوحيدة"³، ولما كان على الدولة أن تتأسس على العقل فإنّ قوانينها يجب أن تكون عقلية والقوانين العقلية لا تتم إلا بأناس يتخذون من العقل منهجاً و في هذا الصدد يقول أفلاطون:

"يجب على الحكام أن يكونوا فلاسفة فالمبدأ العامل الوحيد للدولة هو العقل والمبدأ الثاني هو القوة والمبدأ

¹ ر فالترز، أفلاطون، تر: إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسين عثمان، ط1، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1983)، ص 23.

² أفلاطون، الجمهورية، ص 101.

³ ولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم، دون ط، (القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1984)، ص 195.

الثالث هو العمل، يتجسد العقل في الحكام الفلاسفة والقوة تتجسد في المحاربين أن تكون للفرد مصلحة بمعزل عن مصالح الدولة والمصالح الخاصة تتصادم مع مصالح الجماعة ولهذا يجب استئصالها¹.

بعبارة أخرى يبدأ بتقريره بأن أبناء المدينة يجب تقسيمهم إلى ثلاث طبقات الشعب والجنود وأولياء الأمر، وأولياء الأمر أي الفلاسفة وحدهم هم الذين يؤذن لهم تولي السلطة السياسية يجب على هؤلاء حسبه أن يهتموا بالتعليم الذي يعني بغرس الصفات النبيلة كالرصانة وحسن الذوق والشجاعة، مهمة الثقافة آنذاك كانت إعداد السادة المهذبين لكن يقترح أفلاطون أن يكون "نمط معيشة هؤلاء الحكام بسيطاً، أن لا يكونوا أغنياء لكن هذا لا ينفي أن يكونوا سعداء لأن غاية المدينة هي الخير للجميع"².

ما نصل إليه كنتيجة أن تأثر السياسة بالفلسفة ومحاولة الإنتفاع والإستفادة منها لم يكن وليد الصدفة أي أمراً غير متوقع بدون سبب بل كان أمراً مخططاً له ينم عن إعجاب وحاجة في الوقت نفسه، لمست السياسة في الفلسفة ذلك التميز والإنفراد لأن دورها تثقيف البشر وتزويدهم بالحكم، لأن الحكام في نظر الفلاسفة يجب أن تكون أهدافهم نبيلة غير مادية فحكام الدولة وحمايتهم لا يقومون على الإستفادة المادية وإستغلال مناصبهم في جمع الثروة والمال والكسب المادي وتجعل من الخطر عليهم إستغلالهم مناصبهم في تفضيل وتقديم مصلحة طبقتهم وإيثارها على مصالح الشعب كما تفعل بعض الأحزاب السياسية اليوم.*

إستهدفت فلسفة أفلاطون تزويد الأفراد بنوع دائم من القيم الأخلاقية والإستقرار السياسي الدائم لأنه يؤمن بمثال الدولة الكاملة " التي يقوم بها قلة من أهل المعرفة وهم الحكام الشرعيون للدولة، أما أفراد الشعب العاديون فينبغي عليهم أن يتنازلوا عن حقوقهم

¹ ولتر ستينس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 194.

² برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الأول، الفلسفة القديمة، تر: زكي نجيب محمود، دون ط، (القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 2010) ص 192.

* ما نريد أن ننوه إليه بإعتباره فكرة في غاية الأهمية هو أن السياسة ترى الفلسفة بعين الإعجاب والإنهيار كونها المخلص الوحيد لها من الأزمات عن طريق تزويدها بالتوجيهات والنصائح لكن إستقراءنا للتاريخ يثبت فكرة في غاية الخطورة أن بعض الساسة إستغلوا قوة حجة الفلسفة لتسويق وتبرير ما يقومون به من أفعال شنيعة وهو ما سنوضحه بالتفصيل في الفصول القادمة.

وحرياتهم السياسية في سبيل الإستقرار والنظام المنسجم"¹ ، لقد "أعلى إذن أفلاطون كلمة الفلسفة على كل كلمة"² ، كان بكلّ الميزات التي يتمتع بها أحد ينبوعي الحكمة ، نهلت منه العقول من أيامه إلى أيامنا والينبوع الآخر لا محالة تلميذه أرسطو .

أ-2- أرسطو :

يتأكد لنا مع أرسطو الطرح الذي سبق وأن ذكرناه مع أفلاطون وهي المكانة المهمة التي تحتلها الفلسفة داخل المنظومة المعرفية ككل ، ومع السياسة بصفة خاصة ، الفلسفة هنا ضرورية للسياسة من أجل أن تقدم لها فهما عقلانيا وبناء نظريا وكذا عمليا لوجود الانسان السياسي حيث قدم أرسطو للسياسة من خلال فلسفته "رؤى للعالم السياسي ، وللإنسان السياسي بكل تعقيداته ، وهي التي صبغت هذه الأفكار السياسية ، و أرشدتها إلى الطريق التي عليها إتباعه لكي يتحقق معنى الحرية الكاملة"³ ، وإضافة إلى أنها حصنت السياسة وحمتها حيث حالت دون إنفراد قوة ما قيادة شعب من الشعوب إستنادا إلى تبريرات تأخذ أحيانا شكل المقدس ، الدور البارز الذي تلعبه الفلسفة في عقلنة السياسة لم يحل دون إعتراف أرسطو بقيمة السياسة وأهميتها هي في نظره "علم من العلوم الذي يندرج ضمن العلوم التي ترعاها الفلسفة وتؤطرها ، بل هي من أعظم العلوم وأشملها"⁴ ، ولكن ليحقق هذا العلم هذه الأهمية والعظمة عليه أن يستعين بالفلسفة ويأخذ منها لتدبير الشؤون السياسية وتحقيق التقدم لأن إصلاح السياسة من المهام الأولى التي توليها الفلسفة الحظ الوفير ، كونها هي التي تحقق خير الانسان وخير المدينة فهي "تأخذ على عاتقها أن تكشف أعلى قيمة للإنسان وسلوكه الذي يسير عليه للوصول إلى هذه القيمة"⁵ .

¹ ديف روبنسون ، جودي جروفر ، أقدم لك أفلاطون ، تر: إمام عبدالفتاح إمام ، دون ط، (مصر ، المجلس الأعلى للثقافة، دون تاريخ النشر) ، ص 120.

² يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، دون ط، (مصر ، لجنة التأليف والنشر والترجمة ، 1936) ، ص 140.

³ خالد قطب ، فلسفة العلم التطبيقية ، الفلسفة تبحث عن أفاق جديدة داخل العلم ، ط1، (مصر ، المكتبة الأكاديمية ، 2014) ، ص 55.

⁴ أرسطو ، الأخلاق إلى نيكوماخوس ، تر: أحمد لطفي السيد ، الجزء الأول ، دون ط، (القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، 1984) ، ص 181.

⁵ إمام عبد الفتاح إمام ، الأخلاق والسياسة ، دراسة في فلسفة الحكم ، دون ط، (القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2001) ، ص 174.

لقد كانت السياسة تتخبط في العديد من التناقضات والأغلاط، قبل أن يقدم أرسطو مؤلفه العظيم السياسة^{*}، الذي كان مصدر كثير من المبادئ السياسية التي ظلت فعالة الأثر حتى نهاية القرون الوسطى بل وإلى يومنا هذا، حيث يبدأ كتاب أرسطو بالإشارة إلى أهمية الدولة التي هي حسبه أعلى أنواع الجماعات وتهدف إلى أسمى الغايات، "ومن أقام أساس الدولة كان أكثر الناس فعلا للخير، لأنّ الانسان بغير قانون هو شر نفوس الحيوان"¹، لأنّ القانون معتمد في وجوده على الدولة وليست الدولة مجرد جماعة تعين الأفراد على الإتصال وتساعد على منع الجريمة بل الغاية من الدولة هي الحياة الطيبة والدولة هي إتحاد أسر وقرى في حياة كاملة تكفي نفسها بنفسها، وبذلك "نقصد حياة شريفة سعيدة كما أن الجماعة السياسية يتم وجودها من أجل شريف الأفعال لا لمجرد المعيشة فقط"².

تنفي الفلسفة هنا عنها الدعايات التي لحقتها على مرّ تاريخها الطويل، بأنّها ترف عقلي وجدل عقيم وتثبت صلتها بالعلوم الأخرى، هي تقترب من الواقع وتتابع كل التطورات، وتتخذ موقفا من الأزمات التي تحيط بالإنسان وتقدم له الحلول المرضية وليس أكثر دلالة على ما نقول من فلسفة أرسطو التي لم تتفصل يوما عن الواقع، ولم يكن رأيه في غيبة منه أو عنه، بل إنّ الواقع كان مصدر قراراته وإتجاهاته السياسية قدّم فلسفة ترى أنّ أصالة الحياة السياسية تكمن في رسوخ قوانينها، هذا ما جعل السياسة تعجب بالفلسفة وتشعر بعيوبها سواء أكانت في الحاكم أو القانون وأدركت أنّ تقويم هذه "النقائص لا يكون إلا بالاعتماد على الفلسفة وبتحقيق روح التسامح الفكري"³.

تأثرت السياسة في العصر اليوناني بالسياسة وأعجبت بها من خلال ما أقربه أرسطو، لأن السياسة عنده لم تكن يوما علما نظريا، بل علما تجريبيا في المقام الأول يستقي مبادئه

* لقد شهد الفكر السياسي قمة نضجه على يد أرسطو كما هو الحال في معظم الجوانب الفلسفية والعلمية الأخرى حيث أسّس بحق لعلم وفلسفة السياسة، إحتوى كتابه السياسة على مزيج من النظريات السياسية المبنية على تحليلات للواقع السياسي الحي للدول وللنظم السياسية التي عاصرها وفي نفس الوقت إحتوى على رؤية أرسطو لما ينبغي أن يكون عليه الحال في النظام السياسي الأمثل حيث قدم صورة مثلى لدولة المدينة الفاضلة التي تضاهي تلك التي قدمها أستاذه أفلاطون.

¹ برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الأول، الفلسفة القديمة، ص 290.

² أرسطو، السياسة، تر: أحمد لطفي السيد، دون ط، القاهرة، منتدى سور الأزيكية، الدار القومية للطباعة والنشر، دون تاريخ النشر، ص 90.

³ كامل محمد عويضة، الفلسفة السياسية، الإعلام من الفلاسفة، دون ط، (بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1999)، ص 114.

من الفلسفة التي علمته "فنّ ترويض النفس الإنسانية وفنّ تقوية الروابط الاجتماعية وكذا فنّ قيادة الجماهير من أجل الارتقاء بالناس والتطور وتنظيم العلاقات بينهم، وكل ذلك لم يكن ليتم كما ذكرنا لولا مساعدة الفلسفة"¹.

زوّدت فلسفة أرسطو السياسة بالأخلاق لأنّ السياسة حسبها هي فلسفة أخلاق الدولة مقابل أخلاق الفرد، بل إن أخلاقيات الفرد غايتها حتما في الدولة، وهي مستحيلة بدونها لأن الدولة هي غاية الفرد حسب أرسطو، وأنّ النشاط في الدولة هو جزء من "الوظيفة الجوهرية للإنسان والفرد بحاجة إلى الدولة لا لكي يحفظ ذاته ويضمن أمنه ويحقّق كماله ووجوده المادي فحسب بل لأنّه بالإضافة إلى هذا يستطيع أن ينعم بالحياة في ظل القانون والعدالة"² وأن يحصل على التربية الفاضلة والدولة هي المجتمع الأكمل الذي يتضمّن سائر الجماعات وليس غايتها رعاية القانون والدفاع عن حدود الوطن ضد الأجنبي فقط، بل إنّ لها وظيفة أسمى من كل هذا وأكثر شمولاً وهي "تحقيق السعادة للمواطنين جميعاً في ظلّ حياة إجتماعية كاملة وسليمة"³.

مهمّة المدينة في نظر أرسطو توفير الأسباب لكي يبلغ أفرادها سعادتهم وهذه الأسباب مادية أو أدبية، والأولى خاضعة للثانية، لأن سعادة الإنسان خلقية عقلية فالمعاش الحسن يشمل شيئين العمل الخلقي والعمل العقلي، من الوجهة الأولى تعاون المدينة الأفراد على إكتساب الفضائل وتقدّم لهم فرصاً أكثر لمزاولة هذه الفضائل في العلاقات الإجتماعية المتعدّدة ومن الوجهة الثانية تنشط المدينة العمل العقلي بما تسمح به من تقسيم أكثر وإتصال العقول ببعضها البعض، "والحالة التي يزدهر فيها العمالان الخلقي والعقلي هي حالة السلم والرخاء"⁴، والفيلسوف هو الأجدر بهذه المهمة، هدف الفيلسوف حسب أرسطو لا يقتصر على تحديد ماهية الفضائل بل يجب أن يتعدّاه إلى ممارستها من جهة وحمل الناس

¹ كامل محمد محمد عويضة، الفلسفة السياسية، الاعلام من الفلاسفة، ص 102.

² أرسطو، السياسة، ص 92.

³ محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر السياسي، الجزء الثاني، أرسطو والمدارس المتأخرة، دون ط، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، دون تاريخ النشر)، ص 220.

⁴ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 264.

على التخلّق بها من جهة أخرى ،لذا" كان من واجب المعلم الخلقي أو المربي أن يتقن فنّ التشريع وهو جزء من فنّ السياسة"¹، إنّ الغريزة الإجتماعية فطرة طبيعية ومع ذلك فقط كان مؤسس الدولة من أعظم المحسنين لأن الإنسان" إذا اكتمل فضله كان خير الحيوانات ،ولكن إذا تجرّد من العدالة والقانون كان أشرسها"² .

إنّ الناظر إلى حديث أرسطو عن المدينة الفاضلة يجد أنه لم يتحدث عن تلك المدينة الدستورية القائمة على حكم القوانين فقط بل إنّ إضافة حديثة عن ضرورة أنّ يتمّ انتخاب ذلك الشخص العظيم الحكيم إذا ما ظهر رئيس مدى حياته للدولة ،بعد إشارة واضحة إلى موافقة أرسطو التامة على حكم الملك الفيلسوف إذا "ما تيسر وجوده وهو لا يختلف في ذلك عن أفلاطون"³ ،قد تساءل أرسطو قائلاً:

"إذا قيّض الله لمجتمع سياسي أن يظهر فيه شخص موهوب يرتفع بعبقريته فوق المستوى العادي لمواطنيه و يفوقهم فضلاً وعلمًا وحكمة وعبقرية فما يكون مركز هذا العبقرى في المدينة ؟ هل يرد إلى المستوى العادي لمواطنيه أو لا يكون في ذلك إهانة لهم وضميم يلحقه؟ أولئك الرجال لا يمكن أنّ ينطوا في جملة المدينة فإنّه من المهانة أن يردوا إلى المساواة العامة متى كانت أهليتهم وأهميتهم السياسية تضعهم فوق جميع الإعتبارات فأمثال هؤلاء الأشخاص يجب أن لا يخضعوا لأحكام القانون لأن القانون لم يشرع لمثل هؤلاء الأفذاذ فهم أنفسهم القانون"⁴ .

أرادت الطبيعة أن الكائن الموصوف بالعقل والتبصّر يأمر بوصفه سيّدا كما أرادت" أن الكائن الذي يتّصف بخصائصه الجسدية لتنفيذ الأوامر أي بقوته البدنية يطيع بوصفه عبدا

¹ ماجد فخري ،تاريخ الفلسفة اليونانية ،من طاليس إلى أفلاطون ،ط1،(بيروت ،لبنان ،دار العلم للملايين ،1991) ،ص 142.

² أرسطو ،السياسة ،ص 98.

³ مصطفى النشار ،تطور الفلسفة السياسية من صولون إلى ابن خلدون ،ص 93.

⁴ أرسطو ،السياسة ،ص 229.

وبهذا تمتزج منفعة السيد بمنفعة العبد¹.

لقد جعل أرسطو السياسة مبحثاً علمياً وكانت فلسفته عبارة عن نظرية علمية في سياسة المدينة، لقد صيغ أرسطو السياسة كما صيغ أجزاء الفلسفة الأخرى، فأسيغ عليها صورة علمية و قد خصّ كتابه السياسة بالإمتحان النقدي للنظريات السالفة ولأشهر الدساتير، وحدّد الهدف "من كل نشاط بشري بأنّه الخير أو تحقيق خير ما، ثم إنتهى إلى أنّ السياسة هي العلم الذي يقوم بتحقيق الخير"²، لكن باستنادها إلى الفلسفة التي يمكنها أن تزودها بالأدوات التي يتحقّق بواسطتها التطور، تحتاج السياسة إلى نوعية راقية من المعرفة، ولن تحصل عليها إلا من الفلسفة التي تعتبر معرفة موثوقة فيها وفي صحتها فهي فلسفة جديرة بالإهتمام.

لم تنفصل السياسة عن الفلسفة في العصر اليوناني وكانت في حاجة ماسّة إليها لأنّها أي السياسة أثبتت قصورها وعدم كفايتها نظراً لتعدد المشكلات التي تثار في المجتمعات السياسية فالسياسة في حاجة ماسّة للفلسفة دائماً كونها فارغة لوحدها من فعاليتها الحقيقية ومن سياقها الإنساني و التصرّو الفلسفي طالما أعاد قراءة العديد من المواضيع العالقة في السياسة، وما جهود أرسطو و أفلاطون في تربية الفرد وإعداده ليكون فاعلاً سياسياً لدليل على ذلك، بالإضافة إلى تعليمه التفكير الصحيح لصنع القرار السياسي الصحيح وتنقية تصوراته من الغموض والتحيز والإنفعال تمهيداً للطريق إلى الخير، من أجل تأسيس مجتمع عادل "العدالة ضرورية لنمو القوى العقلية عند الإنسان، هذه الفكرة التي أكدها الفيلسوفان هي أساس النزعة الأوروبية ككل"³، وفي الواقع إنّ العقل في اليونان عبّر عن نفسه وتشكّل وتكوّن على الصعيد السياسي بفضل الفلسفة التي إرتضت في المدينة نقاشاً عاماً بالحجة وتجاوزت المعتقدات الخرافية وهكذا تمّ إستخراج وتعريف فكر سياسي طبع بعمق عقلية الإنسان القديم وميّز الحضارة اليونانية التي "لم تكف طالما إستمرت حيّة عن إعتبار الحياة

¹ فاروق عبد المعطي، أرسطو أستاذ فلاسفة اليونان، دون ط، (بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، دون تاريخ النشر)، ص 59.

² إمام عبدالفتاح إمام، الأخلاق والسياسة، ص 178.

³ عبد الغفار مكاوي، لم الفلسفة، ص 57.

العامّة بأنها تتويج للنشاط البشري"¹، وإنطلاقاً من هذا إحتاج الفكر السياسي للفلسفة التي قدّمت للمواطنين الإطار الذي يدركون فيه علاقاتهم المتبادلة ،كما سمحت للعقل اليوناني بطريقة وضعية وواعية ومنهجية بتوجيه وصنع تدابير فكرهم.

ب- المرحلة الوسيطة :

لقد تأثرت السياسة بالفلسفة في العصر الوسيط تأثراً واضحاً ،هذه السياسة كانت متمثلة بالكنيسة التي "شكّلت أكبر سلطة من خلال سيطرتها على كل مقاليد الحكم والحياة معا"²، إنطلاقاً من هذا تهّياً للكنيسة سلطان واسع النطاق روحياً بحكم وظيفتها وسياسياً بسبب ضعف الملوك والأباطرة ،"هيمنت الإيديولوجية الدينيّة على الحياة الفكرية حيث أرادت أن تسيطر على الفلسفة وتجعلها خادمة للاهوت"³ ،كما نصبت الكنيسة نفسها رقيباً على الفكر وعلى الموروث الفكري القديم اليوناني حيث إستحوذت على فكر أرسطو وصادرت له حسابها وإستعملت منطق الصوري كدعامة علمية لتبرير موقفها وتعزيز مكانتها بعد أن زوّدت بمحتوى لاهوتي حيث " إستعملت الحد الأوسط الذي يكون وسط بين مقدمتين رمزا أو شعارا لها وإعتبرت نفسها طرفاً وسيطاً بين الله والشعب الأمر الذي يسمح لها أن تكون خليفة الله على الأرض ووصيّة رسميّة على البشر"⁴ ،وهكذا أصبحت الكنيسة بمثابة يد الله في الأرض حيث نصب رجال الدين أنفسهم لمعرفة الحقيقة في كل أمور الدين والدنيا "وإعتبروا أن أي مصدر آخر وغير ما تحت أيديهم من كتب مقدسة في نظرهم لا يعتدّ به بل وعاقبوا كل من تسوّل له نفسه الخروج عنهم"⁵ ، وقد كانوا يضيّقون ذرعاً بأية معرفة عدا معرفتهم ولا يتقنون بأيّ فكر لم يصحّحوه ولم يراقبوه نصبوا أنفسهم للحد من العلم ، "وكان أي نشاط عقلي عدا نشاطهم يعد في نظرهم تمرداً وخروجاً عن القوانين"⁶ ،وتحوّل بهذا الأساقفة إلى أمراء وساسة يلبسون لباس رجال الدين وإستغلوا تلك الناحية لمصالحهم² .

¹ جان بيار فرنان ،أصول الفكر اليوناني ،تر:سليم حداد ،ط1،(بيروت ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ،1987) ،ص 119.

² وتوت علي ،الديمقراطية وحقوق الانسان من منظور إجتماعي ،دون ط،(بغداد ،العراق ،362) ،ص 45.

³ خليل حسين ،الفلسفة والفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى ،قراءة في النزعات المادية والمثالية ،ط1،(بيروت ،لبنان ،منشورات الجلي الحقوقية ،2011) ،ص 124.

⁴ صلاح قنصوة ،فلسفة العلم ،دون ط،(القاهرة ،دار الثقافة للطباعة والنشر ،1981) ،ص 184.

⁵ أحمد علي عجيبة، أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي ،ط1،(القاهرة ،دار الآفاق العربية ،2004) ،ص 8.

⁶ ولز ،معالم تاريخ الإنسانية ،المجلد الثالث ،تر:عبدالعزیز توفيق الجويد ،ط3،(القاهرة ،لجنة التأليف والترجمة والنشر ،1973) ،ص 905.

² David jerom. busnissess and thuch, the century co,new york ,1926. , p 131 .

وظف الساسة الفكر الفلسفي في مصالح خارجة عن أهداف الفلسفة والتزاماتها هذا فضلا عن سوء تقديرهم للفاعلية الفلسفية التي تجرّدها من كل الأطماع والمصالح الشخصية، لكنهم بالرغم من ذلك قد إستخدموا منطق أرسطو في تبرير النظام الإقطاعي* الذي كانت الزراعة فيه المؤسسة الإجتماعية الأساسية، كانت علاقة الأفراد بالأرض هي الأساس الأول للمجتمع وأصبحت مجموعة معقدة من العادات والتقاليد التي تركز بالدرجة الأولى على إعتقاد الناس بأن الحياة كانت على هذه الصورة أبدا ودائما، وكانت العلاقات الناشئة عن الملكية الواسعة لنبييل واحد، أكثرها ثباتا ورسوخا والملكية الإقطاعية الكبيرة مكتفية بذاتها يعيش عليها عدد من الفلاحين الأتباع المرتبطين بالأرض عليهم تبعية تأدية أنواع مختلفة من الخدمات الزراعية والعسكرية إلى النبييل صاحب الأرض لقاء حقهم بالحماية والأمن، وكان المجتمع يشكّل من الوجهة النظرية " هرما متّسقا متناسبا كل صاحب أرض فيه يدين بولائه لمالك أعلى منه وهذا بدوره يخضع لأسياد من فوقه وهؤلاء يرتبطون بسيد فوقهم حتى تصل إلى القمة حيث يتربّع الملك الذي إنحدرت حقوقه إليه من الله برعاية الكنيسة"³ وهكذا أصبح المثل الأعلى لفكر العصر الوسيط هو الإنصياح لهذا النظام الذي يملّي الأدوار على كل البشر الذي يسروا لما خلقوا له، وليس على "الإنسان إلا أن يسلم بموضعه ورتبته من هرم المجتمع"⁴، إذن كان منطق أرسطو** سلاحا نظريا مواتيا لدعم هذا النظام ومنه نشأت حاجة السياسة إلى نظرة فلسفية مما يجد فيها المبرر والسند لإيديولوجيتها، هذه الفلسفة التي

* كلمة إقطاع مأخوذة من كلمة إقطاعية وهي قطعة أراضي يشرف عليها سيد أو نبييل من أجل الاستفادة منها، فالإقطاع إذن هو نظام شامل لعدة أنظمة تحكم المجتمع وهو يوضح أو يحدد موقف الفرد وعلاقته عن ما هو أعلى منه وأدنى منه ويتضمن نظاما اقتصاديا يعتمد أساسا على الأرض الزراعية، ظهرت الإقطاعية في أوروبا الغربية على انقاض مجتمع الرق وكان الفلاحون في أراضي الإقطاعيين الذين كانوا يستغلون جهودهم ومع بروز مسأول النظام الإقطاعي اخذ الناس يلجؤون الى الكنيسة لتخلصهم من ظلم أصحاب الأراضي وأصبحت الكنيسة القوة الوحيدة التي تربط أجزاء أوروبا **للمزيد ينظر:** مورييس بيشوب، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، تر: علي السيد علي، ط1، (القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005)، ص 121.

³ راندال، تكوين العقل الحديث، الجزء الأول، تر: جورج طعمة، دون ط، (بيروت، دار الثقافة، 1957)، ص 129.

⁴ صلاح قنصوة، فلسفة العلم، ص 120.

** أكد أرسطو على نظام الرق و دعمه لأن هذا النظام في رأيه لا يمكن أن يزول إلا إذا تحقق المستحيل و دبّت الحياة في الجمادات ، وضع أرسطو المادة في المرتبة الدنيا وجعلها مبدأ الإضطراب و عدم النظام كانت المادة تعكس وضع الرقيق في عصره لذلك نشأ تصور الطبيعة التي تسعى نحو غاية قياس على السيد الذي يخضع العبيد لأغراضه ، و لم تقض تلك القسمة الثنائية الحادة بين السادة و العبيد إلى غائية الكون فحسب =بل أدت إلى عرقلة تقدم العلم نفسه ، و الذي لا حياة له إلا بالتجارب التي لم تكن من شأن السادة الذين يزدرون كل عمل يدوي موكل للعبيد ، المدينة المثالية حسب أرسطو ينبغي ألا تجعل من الصانع مواطنين فيها ، و المرأ لا يستطيع أن يمارس الفضيلة إذا كان يحي حياة صانع **للمزيد ينظر** ، صلاح قنصوة ، فلسفة العلم ، ص 110 و **ينظر أيضا** ، فؤاد زكريا ، أراء نقدية في مشكلات الفكر و الحداثة ، دون ط (القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1975) ، ص 291 .

تتيح لها خدمة مصالحها وتطويرها ، "و إستنادا لهذا نشرت الكنيسة الطبقية واللامساواة تحت قناع الفلسفة وبهذا أبادت كل القيم الداعية والمكرسة لحماية حقوق الإنسان"¹.

إنطلاقا من كلّ هذه الأحداث والأوضاع وصف العصر الوسيط بعصر الجهل إلا أن هذا الحكم فيه ظلم كبير لأنّ الدارسين لم يرجعوا العصر الوسيط إلى سياقه التاريخي الحقيقي ولا إلى وضعه العام السائد ليتأكدوا من أنّ الجهل لم يكن بحال مقصودا بالذات وإنما كان أمرا واقعا جزاء غزوات البرابرة التي أوقعت أوروبا في الخراب والفقر جاهدت الشعوب الأوروبية في حقبة تاريخية ما* فأقامت حضارة جديدة بأسبابها الخاصة ،هي الحضارة التي وصلت إلينا اليوم ما تزال في عنفوانها وكل ما هنالك أن وسائلها المادية والعلمية كانت في الأصل ضئيلة وأن تقدّمها كان متدرّجا ،وإذا قارنا بين الوسائل والنتائج التي بلغت إلينا وجدنا مقدرة الأوروبيون في العصر الوسيط لا تقلّ عن مقدرة أي عصر كان من العصور الناهضة ،"من الظلم عدّ العصر الوسيط حقبة مظلمة مقفلة على نفسها الحقيقة أنّ المدينة الحديثة منحدره عنه وأنه لا يمكن تفسير الفلسفة الحديثة وفهم مصطلحاتها بغير الرجوع إلى المذاهب المدرسية"² .

بالرغم من القول أنّ الطابع الغالب في المرحلة الوسيطة هو الطابع الميتافيزيقي اللاهوتي ،إلا أنّ هذا قد يصدق على الفترة التي كانت قبل النهضة الوسيطة هذه الفترة التي سميت بفترة الآباء ذلك أن "التفكير آنذاك كان مقتصرًا على آباء الكنيسة الذين حاولوا حماية العقيدة المسيحية من الأفكار الفلسفية الدخيلة عنها"³ ،مما أدّى بالكنيسة إلى تحريم قراءة الكتب الفلسفية "وأحرق المكتبات التي تواجدت بها وذلك خوفا من تقبّل الناس للآراء والأفكار التي تتعارض مع ما تعتقده الكنيسة"⁴ ،وصحيح أن الفلسفة المدرسية في جملتها

¹ سعد الله عمر ،حقوق الانسان وحقوق الشعب ،دون ط،(الجزائر ،ديوان المطبوعات الجامعية، دون تاريخ النشر) ،ص ص 36-37.
* إن العصر الوسيط الأعلى هو الفترة الزمنية الوحيدة التي شهدت مظاهر التخلف والجهل والتطرف الديني ،أما الفترات الأخرى قد شهدت تطورا نسبيا بدرجة متباينة وذلك نظرا لتأثيرها بالعديد من العوامل والأسباب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها.

² يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ،دون ط،(القاهرة ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،2013) ،ص 16.

³ عبدالرحمن بدوي ،فلسفة العصور الوسطى ،ط3،(بيروت ،دار القلم ،1979) ،ص 15.

⁴ أحمد الغامدي ،الصراع بين الكنيسة والعلم ،أسبابه وآثاره ،من موقع www.pdfactory.com ص ص 341-342.

فلسفة مسيحية لكنها لم تقتصر على مسائل الدين فقط حيث تطرقت إلى المسائل الطبيعية والعقلية كأحسن ما ينظر فيها وكانوا بقدر من الإبتكار والتنوع ،وهذا " يعني أنهم لم يكونوا على ما يقال من الخضوع للسلطة فلمهم في السلطة أقوال لاذعة أحيانا ،ساخرة أحيانا ،جازمة أحيانا"¹ .

يتأكد لنا إنطلاقاً من هذا أنه كانت هناك محاولات جادة لتحرير العقل من كل سلطة وقد يتضح ذلك من خلال كتابات فلسفية لآباء الكنيسة الذين نقدوا الفلسفة اليونانية لكن دورهم كان أبعد أن يقف عند نقد هذه الفلسفة أو العمل في ميدانها ذلك أنهم وسموا بطابعهم التفكير الوسيط الذي يبدوا واضحاً "في فلسفتهم المعبرة عن نظرتهم للإنسان والعالم وللالله"² ،ومن أبرزهم القديس أوغسطين * **saint augustin** الذي إنتشرت أفكاره في العصر الوسيط وبلغت قوة تأثيرها إلى درجة أنه "ما من عقيدة وسيطية لم تستند عليها ،إذ نجده يمزج بين الفكر اليوناني والمسيحي ،وبين الثقافة اليونانية والكتب المقدسة ،فقدّم للكنيسة النسق النظري للعقائد مثل السقوط ،النعمة ،التكفير"³.

وفي وقت كان يحاول فيه عدد من الرجال تأسيس الفلسفة على قواعد لاهوتية وذلك لتحقيق أغراض شخصية مادية وذلك لتطويع الفكر لإرادة الكنيسة والتحكم فيه ،طلب القديس **توما الإكويني** * **thomas aquinas** بوصفه لاهوتياً ،من أساتذة اللاهوت أن لا يبرهنوا عن أصل إيماني بالبرهان المنطقي أبداً ،لأن الإيمان لا يرتكز على المنطق بل على كلمة الله ،وكذلك طلب أساتذة الفلسفة أن لا يبرهنوا على "حقيقة فلسفية من خلال اللجوء إلى كلمة

¹ يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ،ص 17.

² علي زيعور ،أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية ،ط1،(بيروت ،دار إقرأ ،1983) ،ص 83.

* القديس أوغسطين (344-430م) كاتب وفيلسوف من أصل نوميدي لاتيني ولد في طاغست بعد أحد أهم الشخصيات المؤثرة في المسيحية الغربية تعدّه الكنيسة الكاثوليكية والأنجليكانية قديساً وأحد آباء الكنيسة البارزين وشفيع الملك الرهباني الأوغسطيني .

³ علي زيعور ،أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية ،ص 99.

** توما الإكويني (1225-1274) قسيس وقديس كاثوليكي إيطالي من الرهبانة الدومنيكانية وفيلسوف لاهوتي مؤثر ضمن تقليد الفلسفة المدرسية ،أحد معلمي الكنيسة الثلاث و الثلاثون ويعرف بالعالم الملائكي والعالم المحيط ،كان أحد الشخصيات المؤثرة في اللاهوت الطبيعي وهو أبو المدرسة التومارية .

الله لأنّ الفلسفة لا تتركز على الوحي بل العقل لذلك علينا أن نحذر من نسيان الفوارق الأساسية بينهما¹.

لكن بالرغم من ذلك لم تعرف الفلسفة الوسيطية في العصور الأولى مؤلفات فلسفية بالمعنى الحقيقي للفلسفة إلاّ ما نجده في مؤلفات بعض آباء الكنيسة مثل القديس أوغسطين وإستمر هذا الحال حتى بداية القرن الحادي عشر حيث بدأ الفكر الأوروبي يحاول الخروج من دائرة الجمود نحو التحرر الفكري والتخلص من قيود الدين التي فرضتها الكنيسة على العقول²، هذه الأوضاع وغيرها مهدّت لظهور نهضة القرن الثاني عشر عرفت بالنهضة الوسيطية* هذه النهضة تجاوزت إحياء المدارس القديمة وتعدّتها إلى الابتكار والتجديد في مختلف ميادين النشاط الفكري، وإنطلاقاً من هذا خرج العقل الأوروبي متحرراً فكرياً بحلول القرن الثاني عشر حينما رأى العقل الأوروبي ضرورة الخروج من ذلك الحيز الضيق الذي فرضته عليه سلطة الكنيسة إلى البحث الفلسفي الذي يتمتّع فيه العقل بحرية مطلقة.

في القرن الثالث عشر اعتبرت الفلسفة وحدة قائمة بذاتها تتألف من المسائل التي عالجه الفلاسفة بالعقل ومسائل جاء بها الوحي ولم تكن تعرف لولاه، وهي مع ذلك قابلة للبرهنة كالخلق والبعث والمعاد وبعض الصفات الإلهية، بينما يتناول اللاهوت مضمون الوحي بأكمله، الأسرار والحقائق العلمية، فيضعها مقدمات مسلمة ويستخدم العقل لتفهمها بقدر المستطاع وإستنباط ما يترتب عنها.

هنا أصبحت الفلسفة فلسفة بالمعنى الصحيح لأنها تلتزم المنهج العقلي في كل حال ولا يعدوا الفيلسوف المسيحي بهذا المعنى أن يكون مثله مثل الريان يسترشد بضوء المنارة أو

¹ إتيان جنسون، وحدة التجربة الفلسفية، تر: طارق عسيلي، ط1، (المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية، 2017)، ص 63.

² فرح نعيم، الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، ط2، (دمشق، منشورات جامعة دمشق، 2000)، ص 13.

* من مظاهر النهضة سيطرة أربعة اتجاهات على الفكر الوسيطى، اللاهوتيون، الشارتيون، المتصوفة، المستقلون. للمزيد ينظر: عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى، ص 86.

الكواكب أو "بآلة علمية وسفينته تسير إلى الهدف بقوتها الذاتية، الفلسفة وليدة العقل وليست متعلقة بالدين تعلقا ذاتيا"¹.

ج- المرحلة الحديثة: ميكافيلي و فلاسفة العقد الاجتماعي نموذجان :

لا تتفصل السياسة عن الفلسفة في العصر الحديث حيث يبدو التأثير بينهما جليا واضحا ، وهذا من خلال بعض النماذج نذكر على سبيل المثال لا الحصر ميكافيلي الذي أخذت أفكاره بعدا سياسيا ، أَلَف ميكافيلي كتابه الأمير الذي كان مرجعية فكرية إعتد عليها الكثير من الساسة ، كانت أفكاره مرتبطة بالواقع لأنّه شهد أوضاعا متدهورة نتجت عن العصر الوسيط ، هذه الأوضاع أثّرت حسب شكل كبير على المشهد السياسي والاجتماعي والفكري للعصر الحديث بسبب سيطرة الكنيسة التي أحكمت قبضتها وفرضت رقابتها على كل منافذ الإشعاع للتقدم والمعرفة ، وأعاقت كل فكر وأوقفت كل تقدّم وأوصدت الأبواب التي من شأنها أن تزيد المعرفة وتساعد على الرقي والحضارة ، لذلك كان " الفكر العملي خاملا والبحث العلمي راكدا بفعل التعصّب المقيت وسبب ذلك تلك العقوبات التي وضعتها الكنيسة في وجه العلم والعلماء"².

إنطلاقا من هذا إعتبر ميكافيلي ذلك العصر عصر تسلّط الكنيسة على الشعب ومقدراته وتفكيره وحياته الخاصة والعامة فتمّ إستغلاله إستغلالا شنيعا من الناحية الفكرية والمادية ، هذا الوضع السياسي سبّب أزمة سياسية واجتماعية وأخلاقية هذا ما جعل ميكافيلي يقاوم بأفكاره الفلسفية السياسية الكنيسة ويقف ضدها* ، وأهمّ ما جاء في برنامجه

¹ يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ، ص 8.

² أحمد علي عجيبة، اثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، ص 8.

* إن تحول الغرب من العصور الوسطى إلى عصر النهضة والعصر الحديث يعود فيه الفضل إلى جهود العديد من الفلاسفة ومن بينهم ميكافيلي بحيث تعتبر أعمالهم بداية قطيعة عميقة وشاملة مع وعي قروسي في الفكر والمعتقد وفي السلوك وفي العلاقات المجتمعية بل وفي نظرة الإنسان لنفسه وللآخر ولعلاقته بالطبيعة وبالغيب ولإدارة حكم مجتمعاته هذا الوعي في التفكير راجع بالدرجة الأولى إلى ما تكتسبه الحركة النهضة الأوروبية من أهمية حيث كان لها الأثر البارز في تطور الفكر السياسي ووعيه وفي مفهوم جديد للدولة فحركة النهضة من أهم المراحل التي مهدت للفكر السياسي الحديث بجميع نواحيه وتطبيقاته قد تميز عصر النهضة ببروز العديد من الأفكار في ميادين شتى وخاصة في الميدان السياسي هذا ما ساعد على تقدم المدينة واتساعها ، هذا التغيير أسس لمصير الغرب من جديد بعد ما لا يقل عن أكثر من عشرة قرون من التردّي وما يترتب عن الإقلاص على مستوى الإنسانية قاطبة فإنسان عصر النهضة لم يعد يأبى بوجوده خارج العالم ولا أن يضل خارج ذاته بل صار يتوق لأن يكون في قلب العالم ويكون في العالم قلبه لقد جاءت النهضة الأوروبية الحديثة إختراقا تداخلت فيه الفلسفة بالعلم لتأسيس مستقبل إنساني مختلف. كما تميزت هذه المرحلة أيضا ببروز حركة الإصلاح الديني على يد مارتن لوتر (1483-1521) في تاريخ الدولة القومية للمزيد ينظر: هشام صالح ،مدخل إلى التنوير الأوروبي، ط1،(بيروت ،دار الطليعة للطباعة والنشر ،2010) ،ص 69 وينظر أيضا:

الفلسفي السياسي الدعوة إلى النهوض، المقاومة والتسلّح بمبدأ القوة، هذا المبدأ الذي تأثر به مجموعة من الساسة مثل نابليون و موسيليني وغيرهم حيث إستغلوا أفكاره الفلسفية في السياسة ووظفوها فيما يخدم مصالحهم وأغراضهم الشخصية وقبل أن نتطرق إلى مدى تأثير فلسفة ميكافيلي على الساسة، سوف نتكلم عن سبب هذا التأثير وهو قراءتهم لكتاب الأمير الذي ألفه ميكافيلي، هذا الكتاب الذي أدّى إلى تحوّل جذري في المفاهيم والمقاربات والنماذج السياسية، بل وأدى إلى حدوث نقلة نوعية في الفكر والممارسة السياسية عبر العالم الحديث، أصبح كتاب الأمير أهمّ مصدر للرؤية الواقعية في فلسفة السياسة، قد اذ إستجمع ميكافيلي دراسة التاريخ القديم وإستوعب خلاصته وقوانينه وإستخلص من تلك الدروس هذا الكتاب الذي صرّح "فيه أنّه تمكن من تحصيل تلك القوانين السياسية الهامة بعد عناء طويل وجدّ من التبصّر والتأمّل في سير العظماء وأنّه أنفق في ذلك سنوات طوال من الإنزواء والمخاطر"¹، كان لكتاب الأمير أثر بالغ هو كتاب قيم أفكار ميكافيلي السياسية فيه "تبدوا عميقة متجذرة وشديد التأثير في الفكر والممارسة معا وذلك لقوّة صياغته وحدّة تعابيره وصرامتها"².

يبدو لنا أن ميكافيلي هو المفكر السياسي الوحيد الذي أصبح إسمه شائعا في الإستخدام لتحديد نوع من السياسة أعني سياسة توجّهها بالتحديد إعتبرات المنفعة التي تستخدم كل الوسائل لتحقيق غاياتها، وغاياتها تعظيم بلد المرء أو وطن الآباء، غير أنّها تستخدم أيضا أرض الآباء في خدمة التعظيم الذاتي لرجل السياسة أو رجل الدولة، ميكافيلي كان "أول من دافع عن هذه النظرية الظاهرة بصورة علمية فقد جعلها ممكنة التبرير"³، وإنطلاقا من هذا أسّس ميكافيلي فلسفته في القوّة تحت شعار الغاية تبرر الوسيلة إذا

= Ertrand vergely .les philosophes du moyen âge et de renaissance .ed aubin imprimeur .france la 2003 .p 150.

وينظر أيضا: عبد الحكيم العبد، الفكر السياسي الغربي والقومية المحافظة في الشرق، ط2، (2006)، ص52.

¹ نيقولا ميكافيلي، الأمير، تر: فاروق سعد، (بيروت، دار الأفاق الجديدة، 1983)، ص53.

² محمد وقيع الله أحمد، مدخل إلى الفلسفة الإسلامية، ط1، (دمشق، دار الفكر، 2015)، ص148.

³ ليونستراوس جوزيف كروسبي، تاريخ الفلسفة السياسية، الجزء الأول، من ثيوكلدبريس حتى سبينوزا، تر: سيد احمد، دون ط، (القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005)، ص430.

كانت غاية الحكم المحافظة على مكانته ومنزلته أبيض له أن " يستخدم ما يشاء من طرق ووسائل تضمن له حصوله على ما يريد ،و بهذا تغيب القيم الأخلاقية والضوابط الشرعية"¹.

أكد ميكافيلي على دور القوة المحضة في إدارة الحكم لا يجب حسبه أن يكون للأمير هدف أو فكر آخر ولا أن يكتسب مهارة في أي شيء سوى الحرب تنظيمها وعملها، إن الأهداف الصحيحة التي على الأمير أن يستهدفها هي الشرف والمجد والشرف، حيث رفض "ميكافيلي بشدة الاعتقاد السائد المفيد أن السبيل الأضمن لتحقيق تلك الأهداف هو دائماً متمثل في العمل بالطريقة الفاضلة تقليدياً"².

لعلّ هذا ما زاد من إعجاب الساسة بما أسس له ميكافيلي من ضرورة المواجهة بالقوة وإسترداد الحق بالغصب، أو أخذ حق الغير دون وجهة حق، فقد فهموا أن القوة تحمل كل مسميات القمع والقهر والإضطهاد وذلك لما يحقق لهم من أطماع ذاتية . حسب ميكافيلي لمواجهة عوامل الضعف وترسيخ عوامل القوة يجب أن تقوم الدولة القومية على شرطين أساسيين :

الشرط الأول :الأمير : حيث يرى أن الدولة لا يمكن أن تقوم دون وجود حاكم فرد يتمتع بخصائص مميزة يأخذ على عاتقه مهمة إقامة دولة قوية ،الذي هو مؤهل لتحقيق هذا المشروع لابد أن يكون إنساناً غير عادي ويجب أن يكون بعيداً عن معايير الطيبة والخير ولا يجعل منها خصائص يتّصف بها ،إذ لا بأس "على الأمير أن يكون بعيداً عن الفضائل لا يكثرث بإتهامه بالقسوة لأنّ تلك القسوة تخيف الناس وهذا الخوف يبدوا مقبولا إذا كان من شأنه ضمان ولاء الرعايا"³.

¹ مولود زايد ،علم الاجتماع السياسي ،ط1(ليبيا ،جامعة السابع من أفريل ،2007) ،ص 17.

² كوينتن سكينر ،أسس الفكر السياسي الحديث ،عصر النهضة ،الجزء الأول ،تر:حيدر حاج إسماعيل ،ط1،(بيروت ، لبنان المنظمة العربية للترجمة ،2012) ص 130.

³ عبدالرضا حسين الطعان ،مدخل الى الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر ،الجزء الأول ،دون ط،(جامعة بغداد ،كلية العلوم السياسية،دون تاريخ النشر) ،ص 31.

الشرط الثاني: الجيش: يدعوا ميكيا فيلي لبناء جيش من نوع خاص حيث كان الإيطاليون يدبرون شؤونهم بأنفسهم ،أمّا حروبهم كانت المرتزقة تخوضها ،لقد تأكدت لديه ضرورة قيام جيش وطني كشرط لقيام الدولة الوضعية القوية ،حيث إستمر يؤكد وينصح " بضرورة إلغاء نظام المرتزقة لصالح إقامة جيش وطني يتميز بمعرفته للأساليب الصحيحة للدفاع عن نفسه"¹.

إنّ النظرية السياسية عند ميكيا فيلي مبنية على الغاية أو تحقيق الهدف ،يحاول الحكام مهما كان طرازهم حماية أنفسهم في المراكز التي يتخيلونها ويحاول المتآمرون أو الراغبون في إقامة الممالك قلب السلطة القائمة، أما الشعوب لا تطلب إلا السعادة والحرية ولا تتشد في حالة تعرضها للإضطهاد إلاّ الثأر من مضطهديها ويبحث الشبان عن المراكز والشهرة فالذين لا يملكون المراكز والممتلكات يرغبون في إمتلاكها بينما يتوق الذين في أيديهم المراكز والممتلكات للمحافظة عليها ،"حيث تختلف الغايات باختلاف الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها"².

إقتصرت فلسفة ميكيا فيلي على قوّة الدولة في قوّة أميرها ، قوّة الدولة تقاس بقوة جيش الأمير وإقتداره على حماية الحوزة الهامة ،ولأجل هذه الغاية غاية القوة ضحّى ميكيا فيلي بالمجتمع والفرد تماما ففي فلسفته إحتقار شديد للبشر وطبائعهم وربما علّمته تجاربه الشخصية المروعة شيئا من ذلك إذ جرّب الفشل والطرّد من الوظيفة الحكومية ولذلك فإنّه لم يشير إلى ضرورة تعليم كل البشر وتنقيفهم أو إشراكهم في ممارسة السلطة السياسية ،هم عنده مادة الحكم لا غير والمهم فقط هو تعليم الحكام لا المحكومين وأهمّ ما يجب أن يتعلّمه الحكام هو وسيلة اكتساب القوة التي تحمي كيان الدولة ولا بأس أن يتّخذ الحكام أي وسيلة مشروعة أو غير مشروعة لتوطيد سلطانهم ،هنا الغاية السامية تبرر الوسيلة مهما كانت

¹ نيقولا ميكيا فيلي ،الأمير ،ص 32.

² نيقولا ميكيا فيلي ،مطارحات ،تعريب خير الدين حماد ،ط3،(بيروت ،دار الأفاق الجديدة ،1982) ،ص ص 141-142.

وهذه العبارة الأخيرة قد إلتصقت بميكيا فيلي حيث سميت هذه الصفة بنعت أشتق من إسمه فدعيت بالميكيا فيلية في التعبير السياسي الدارج .

ج-1- تأثر الحكام بفلسفة ميكيا فيلي:

لقد تأثر العديد من الساسة والحكام بمبدأ القوة الذي جاءت به فلسفة ميكيا فيلي من خلال كتابه الأمير ذو الطابع الفلسفي ، قد لاقى هذا الأخير قبولا وإستحسانا كبيرين من قبل الحكام الذين تأثروا به كثيرا لكن إعجابهم به لم يكن إعجابا حقيقيا نابعا من شغفهم في المعرفة والإطلاع وذلك فقط لينتقوا ويختاروا منه ما يناسبهم من آراء ليوظفوها في خدمة مصالحهم الشخصية ، فهم كانوا بعيدين كل البعد عن الأسس والطوابط الحقيقية التي وضعها ميكيا فيلي في كتابه والتي يرجوا منها بناء دولة قوية يقودها حاكم يتمتع بكل الصفات العظيمة .

من أوائل الحكام الأوروبيين الذين تأثروا بميكيا فيلي الملك الاسباني شارل الأول (1508-1558) الذي كان أول حاكم أوروبي قيل عنه أن الشمس لا تغيب عن ممتلكاته وبالرغم من تعصبه للكنيسة وحمايته لها قد شجع هو ووزرائه توزيع الأمير في إسبانيا وتحمس توماس كرومويل (1485-1540) السياسي الإنجليزي البار في عهد هنري الثامن للأفكار الواردة في الكتاب فقد حصل على نسخة مخطوطة منه وتمكن ملكه من إقامة حكم مطلق أصبح هو واحد من ضحاياه فيما بعد ،وقد عثر على الكتاب في جيب كل من هنري الثالث وهنري الرابع ملكي فرنسا عند قتلهما ،كما تأثرت به اليزابيث الأولى (1558-1603) التي كانت أعظم حكام إنجلترا في عهد آل تيودور وحققّت نجاحات مشهودة على الصعيدين الداخلي والخارجي والتي كانت تحاول الحفاظ على التوازن في علاقاتها دائما ،أما الوزير الأول الفرنسي ريشيليو الذي يعتبر من أنجح ساسة أوروبا في النصف الأول من القرن السابع عشر فقد أعجب بميكيا فيلي إعجابا شديدا وإعترف في

وصيته السياسية بأنه "اعتمد على آرائه حيث دافع عنه وأكد بأنه لم يتجاوز في أعماله حدّ تسجيل أسلافنا بشكل صادق وأمين"¹.

إكتسب ميكافيلي بسبب هذا سمعة في أوساط الأخلاقيين بأنه رجل شرور شيطانية وكما ذكر ماكولي **macaulay** في مطلع مقالته الشهيرة "صاغوا من إسم عائلته صفة المخادع ومن اسمه المسيحي ما يرادف معنى الشيطان"²، وسرعان ما صار شخص المجرم ميكافيلي مادة ديكتاتورية في دراما القرن السادس عشر كما أكد ليوستراوس **leo strauss** في كتابه أفكار حول ميكافيلي "أن العقائد في كتاب الأمير هي بكل بساطة لا أخلاقية لا دينية ولا وصف لمؤلفه إلا أنه معلم الشر"³، لقد عرف نابليون بوناپرت أيضا كتابي الأمير والمطارحات وجعلهما في مقدمة أجود ألف كتاب إنتقاها لتؤلف له مكتبة متنقلة، ولم يقل إعجاب نابليون الثالث بأفكار ميكافيلي عن إعجاب سلفه كما لاقت أفكار ميكافيلي السياسية إعجابا كبيرا من قبل أنصار الحكم الإستبدادي المطلق في مختلف الدول الأوروبية فالملوك الذين تردّدوا في السير خلف شعار الغاية تبرّر الوسيلة وجدوا في كتابه الوسيلة التي حرّرتهم من هذا التردد، موسيليني مثلا في إيطاليا تأثر كثيرا بميكافيلي حيث تخلّى عن أفكاره الاشتراكية وتحول إلى قومي متعصّب مطالبا بلاده بالدخول في حرب مع النمسا لتحقيق مطامع بلاده القومية و إنخرط في الجيش وخاض المعارك وجرح فيها وبعد خروجه من الحرب أصبح عنيفا وقاسيا ومغامرا .

أعتبرت الدولة عند الديكتاتوريين القيمة المطلقة الوحيدة في الحياة الإنسانية وهي إرادة الله على الأرض وهي الحقيقة الوحيدة الشاملة غير المحدودة، وعليه عبّر موسيليني عن هذا الإتجاه الفكري أنّ "الدولة هي المطلق في مواجهة الأفراد والجماعات الذين يظلّون دائما

¹ جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة الى عصر الانوار، تر: ناجي الدراوشة، ط1، (سوريا، دار التكوين، 2010)، ص 355.

² Macaulay. thomas babington. "machiaelli in critical and historical". ESSays. ed. A.J. Grieve. 2vols (london 1907). vol. 11. p p., 1-37.

³ Strauss Leo Strauss. thoughts in machiaelli. cc leoncoe .m. 1958. p p., 9-10.

بمثابة أمور نسبية في مواجهة الدولة"¹ ، قد بين أن الدولة ليست مجرد حارس يشتغل بواجب تحقيق السلامة للمواطنين ليس إلا ، كما أنها ليست مؤسسة ذات أغراض مادية بحتة لضمان مستوى معيشي طيب وظروف آمنة للحياة تمثل الدولة حسبه الروح الخالدة للأمة ، هي لا تلغي الفرد ولكنها تجعله جندياً في كتيبة وتبقي للفرد نطاقاً من الحرية بعد أن تحول بينه وبين الحريات غير المفيدة الدولة وحدها هي التي تقرر مدى ذلك النطاق مجمل القول "لا شيء خارج الدولة ولا شيء ضد الدولة ولا شيء فوق الدولة"² .

استغل موسيليني المتأثر بفلسفة ميكافيلي الأوضاع في ذلك الوقت لكي يكون هو السيد وتكون إيطاليا هي سيدة البحر الأبيض المتوسط و ذلك باستغلال إشتباك الدولة العثمانية في حرب ضد تحالف البلقان ، بلغاريا واليونان والصرب "انقضت إيطاليا في عهد موسيليني بعدوانية على الحبشة واستولت عليها"³ ، وتحالف الدكتاتوري الفاشي موسيليني مع الدكتاتور النازي هتلر خلال الحرب العالمية الثانية واتفقا على إقتسام العالم أوروبا لهتلر والشرق الأوسط لموسيليني لكن منيا بهزيمة ساحقة قضت على نظاميهما .

تميّزت الديكتاتوريتان بإحياء عظمة الماضي ، حاول موسيليني إحياء عظمة روما وهتلر دولته الرايخ الثالث على إعتبار أن الرايخ الأول يشير إلى عهد شارلمان الأول العظيم في القرون الوسطى والرايخ الثاني لعهد بسمارك ووحدة ألمانيا الكبرى عام 1871 ، من جهة أخرى حاول كلا النظامين محاربة الكنيسة وحاولا أن يطوعاها كلياً لسيادة الدولة ، وكان هتلر أنجح من موسيليني في هذا على اعتبار ألمانيا مقسمة دينياً إلى بروتستانت وكاثوليك بينما إيطاليا هي معقل الكاثوليكية ومقر البابا وأهلها كلهم كاثوليك وبالتالي كان من الصعب على موسيليني إخضاع الكنيسة كلياً للسلطة ، إن هذه النقمة التي يوجهها هتلر وموسيليني للكنيسة هي نتيجة لما إستلهموه من فلسفة ميكافيلي الذي كان بدوره ناقماً على البابا

¹ يحي الجمل ، أنظمة السياسة المعاصرة ، دون ط، (بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، دون تاريخ النشر) ، ص 230 .

² المرجع نفسه ، ص 231 .

³ نوار عبدالعزيز ، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، دون ط، (الكويت ، دار الفكر العربي ، 1994) ، ص 367 .

والكنيسة المسيحية وتعود النعمة برأيه لدور المسيحية في إحتقار الفضائل العسكرية بدلا من التمسك بها كالأديان الأخرى المسيحية برأيه وهي ترسم السلوك لا تعبر إلا عن الذل والخضوع، لقد أرجع ميكافيلي فشل السياسة والعمل السياسي بالدرجة الاولى إلى الدين من خلال الممارسات والأعمال التي يقوم بها رجال الدين على المجريات السياسية وعليه نجده يعفي الأخلاق والدين من الساحة السياسية وفي هذا الصدد "قرر فصل مسائل الدولة ومشاكلها إذ لا يمكن أن تخضع لقيم جوفاء أو تدور في محراب اللاهوت اللاواعي"¹.

من جهة أخرى روج كل من موسيليني وهتلر فلسفيا فقط وليس عمليا لمذهب المنافسة حيث إحتقرت الدكتاتوريتان فلسفيا وعمليا النظام الديمقراطي والديمقراطية إذ نظرتا للديمقراطية على أنها مجرد تدجيل على الشعب، ما هي إلا مظاهر توشي له بأن الحكمة في السلطة على "أساس أن السلطة تتجسد في عدد بسيط من الناس يحكمون، ولكن لصالحهم وليس لصالح الأمة كما هو الأمر في نظامهما"².

إنطلاقا من سوء فهم هؤلاء الساسة لفلسفة ميكافيلي وتوظيفها لصالحهم أصبح ميكافيلي يبدوا كنموذج للدهاء والإزدواجية في الشؤون السياسية * وقد ظل ميكافيلي السفاح كما يصفه شكسبير أبدا محل بغض الفلاسفة الأخلاقيين على إختلاف إتجاهاتهم المحافظين والثوريين على حد سواء ، قد زعم إدموند بيرك أنه رأى الثوابت البغيضة للسياسة الميكافيلية

¹ موسى إبراهيم، الفكر السياسي الحديث والمعاصر، ط1، (بيروت، دار المنهل اللبناني للدراسات، 2011)، ص ص 27-28.

² فايز صالح أبو جابر، الفكر السياسي الحديث، الموسوعة السياسية العالمية، دون ط، (بيروت، دار الجيل، 1985)، ص ص 257-259.

* بالرغم من هذا الإتهام الخطير الذي لحق بميكافيلي غير أنه لا بد أن يكون واضحا أن ميكافيلي لا يدعو إلى التحلل من القيم والمبادئ الأخلاقية أو إلى الخروج عن مبادئ الفضيلة بل على العكس لقد كان مهتما بفرض المبادئ الأخلاقية عند الفرد بحيث لا يكذب ولا يكون لديه رياء إن كل ما يدعو إليه هو فصل الأخلاق التي هي سلوك الفرد عن السياسة التي هي بحث عن صالح الجماعة والمحافظة عليه، بل قد فهم الفلاسفة أن ميكافيلي كان يتمنى دائما أن تحظى الأمم بدستور متوازن ومواطنين فضلاء وعلى الرغم من أن ميكافيلي كان جمهوريا متحمسا إلا أنه لا يعترف بضرورة المشرعين الدكتاتوريين وحتى الأمراء المستبدين، لقد كان ميكافيلي إذن بطلا للفكر الجاد البعيد عن إثارة الأسئلة الساذجة وعن الفلسفة الجاهزة وإنطلاقا من هذا رأى التوسير أن ميكافيلي مفكر رئيسي للحدثة لدرجة قوله أنه قد ذهب إلى أبعد ما ذهب إليه ماركس فقد تطرق العديد من المؤلفين إلى قمة ما قدمه ميكافيلي قد عرض ليسوس في مؤلفه الكتب السياسية الذي نشره عام 1890 أفكار ميكافيلي حول موقع الدين في السياسة والدولة وفي عام 1613 كتب ك. شوبيه عن آراء ميكافيلي حول ضرورة الفصل بين القضايا السياسية والفضيلة وبعده بعقدين تطرق جبرائيل نوديه إلى الأسلوب السياسي لدى ميكافيلي وبين أنه لم يبحث عن أمير إرهابي بل عن حاكم ناجح من نوع جديد يحتاجه الوطن وفي القرن العشرين حصلت أفكار ميكافيلي على قوة أكبر عند اليمين المتطرف كما عند اليسار وقبلها في القرن 19 لاقت أفكاره ترحيبا عند مؤرخ الأفكار السياسية فيليب نيمو ولأسباب الشك ماركس ونيتشه حيث يرى ماركس أن أهمية ميكافيلي تتركز في كونه واحد من أوائل من رأوا الدولة بعين إنسانية وإستنبطوا قوانينها من العقل والخبرة وليس من اللاهوت، بالإضافة إلى منظري التوتاليتارية الذي أخذوا من أفكاره، كما كان مشهورا ضمن الأوساط الجامعية كمفكر سياسي كبير خاصة عند المفكرين المشرقين من الماركسية ونذكر المنظر الماركسي الإيطالي الشهير أنطونيو غرامشي إعتبر أن النظرية الميكافيلية هي أول نظرية للثورة، وتأثر كل من ديكرات وجون لوك وهوبز بفلسفته وكذلك فرانسيس بيكون الذي صرح بأنه مدين بالشكر الجزيل لميكافيلي وغيره ممن يتكبنون ما يفعله البشر لا ما يتعين على البشر فعله ومن جهة أخرى أعطى جون جاك روسو تقييما رائعا وعميقا لميكافيلي حيث صرح قائلا أن ميكافيلي كان يتظاهر بإعطاء دروس للملوك بينما كان يعطي دروسا عظيمة للشعوب إن الأمير كتاب الجمهوريين وما إختاره بطله المكروه لدليل بوضوح على نية الكاتب الخفية ثم إن منع بلاط روما نشر الكتاب له دلالاته، فإن المؤلف يصف هذا البلاط دون لبس للمزيد ينظر سيرج أودسيه، ميكافيلي في النزاع والحريّة، تر: نجيب غزاوي، ط1، (بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2015)، ص ص 27 وينظر أيضا خلف الجراد، معجم الفلاسفة المختصر، ط1، (بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، 2007)، ص ص 228. وينظر أيضا صلاح علي نيوف، مدخل إلى الفكر السياسي الغربي، الجزء الأول، دون ط، (الدارنمارك)، ص ص 66 وأيضا كونتين سكينر، ميكافيلي مقدمة قصيرة جدا، تر: رباح صلاح الدين، ط1، (القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014)، ص ص 97 وينظر أيضا Jean jacques rousseau. contrat social, presenter par madijjsofir, (mag edition alger. 2011), p, 58.

التي يقوم عليها الإستبداد الديمقراطي الموجود في "الثورة الفرنسية بمعنى أن أساس الثورة الفرنسية الكبرى هي قواعد السياسة الميكافيلية المشؤومة"¹.

لقد تمّ إذن شنّ هجوم شرّس على مبادئ الميكافيلية وعلى أنصار السياسة الميكافيلية الحقيقيين الذين يحاولون إخماد الطاقات الديمقراطية في فترات التغيير الثوري والإنقلابي، الميكافيلية هي "أخطر ما تهدّد الأساسيات الأخلاقية للحياة السياسية فليس هناك في الإصلاح السياسي أقبح من الميكافيلية"².

تقوم إذن السياسة عند ميكافيلي على أساس المبدأ الشهير الغاية تبرّر الوسيلة وهذه الغاية أساساً مصلحة الوطن ذلك أنّ الوطن هو المركز الذي تدور حوله الأخلاق الميكافيلية وهو الحدود التي يصفها ميكافيلي لهذه الأخلاق، ومن هنا فإنّ المرء الذي يعمل من أجل غاية لا تمتّ للوطن هو شخص لا أخلاق له ولا قيمة مطلقاً للمصالح الذاتية أو الأغراض الخاصة أو الحقوق الفردية أو الشؤون العاطفية وذلك بالنسبة لمستلزمات الدولة وضرورتها ويجب أن لا يحسب للأخلاق الجارية أي حساب عندما يتعرّض الوطن للخطر سواء أكانت هذه الأخطار آتية من الداخل كالفساد والإضطرابات التي تتعرّض لها الدولة أو أخطار خارجية كالحروب، لهذا السبب أو ذلك إنّ إنقاذ حياة الوطن والمحافظة على حرّيته وإستقلاله وضمان أمنه هي الغاية الأولى التي تتضاءل أمامها أي غاية ويختفي معها الفرد ومصالحه الذاتية، إنّ الفرد ومصالحه الشخصية ينبغي أن تكون مدمجة في الدولة"³.

هذه المبادئ التي حملتها فلسفة ميكافيلي أثّرت بشكل كبير على الساسة وأعجبوا بها، كما تفتّنوا لأهميّتها وقوة حجّتها، جعلوها مبرّراً لما قاموا به وارتكبوه كما أثّرت هذه المبادئ أيضاً على سياسة الأنظمة عبر الدول وكانت بمثابة الدعامة والسند لهم.

¹ كريم عبدالحسن فرج، "من مراحل تكوين الثقافة العربية"، إهمال الموازين الأخلاقية وسيلة في المطارحات، مجلة المأمون، العدد الإلكتروني الأول، 2016، ص 03.

² ونت جونز، أرياب الفكر السياسي، الجزء الثاني، القسم الأول، ص 17.

³ إمام عبد الفتاح إمام، الأخلاق والسياسة، دراسة في فلسفة الحكم، ص 258.

ج-2- الأبعاد الميكافيلية في سياسة الأنظمة :

إحتوى كتاب الأمير على مبادئ إستخدامها الساسة للإعتداء على القوميات الأخرى وقد إتضح لنا ذلك من خلال رصد بعض المواقف السياسية الدولية الواضحة خاصة لدول كبرى كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وغيرها ،وهنا سنحاول تناول تطبيقاتها لنصائح ميكافيلي الواردة في كتابه ،محاولين بذلك توضيح مدى التطابق أو التطبيق بين سياسة تلك الدول على أرض الواقع وبين نصائح ميكافيلي فعندما نتكلم عن **بوتين** مثلا الذي تمّ إختياره كرئيس لروسيا الاتحادية عام 2000 والذي نجد "بأنه الرجل الميكافيلي بامتياز الذي تعاون مع الشيطان وضخّى بأمور عديدة من أجل إستعادة إستقرار وقوة روسيا بعد إنحلال الإتحاد السوفياتي وإنهياره"¹ ، سعى منذ إستلامه لمقاليد السلطة إلى إستعادة قوة روسيا وجعلها دولة متحكّمة ومسيطرة قد قام بتصفية الكثير من القادة وعمل على إعداد جيش قوي مخلص ومتقاني ذو بنية جسدية مهيبة ،بقادة جدد وترسانة قوية وسعى إلى تحديد نقاط الضعف الموجودة في الجيش وقام بإزالتها .

بعد ذلك وعندما رأى بوتين أنّ دولته تابعة لجهات أجنبية تتحكّم في إقتصادها قام بإلغاء جميع إتفاقيات التخصيص التابعة لتلك الشركات ضاربا حقوق الأفراد والمؤسسات الخاصة عرض الحائط ،ولم يهتمّ حينذاك إلا الحفاظ على إستقرار بلده الإقتصادي وتحقيق رفاهيتها ومن أجل تحقيق بوتين لمصالح بلاده قفز على العديد من القيم الإنسانية وعقد العديد من الإتفاقيات الإقتصادية القوية مع تركيا ،بالرغم من معارضة تركيا لكثير من مبادئ بلاده السياسية وخاصة مبادئ دعم النظام السوري للإرهاب ،ولكن بوتين -المتأثر بفلسفة ميكافيلي- نظرا لدهائه ومكره تجاهل معارضة تركيا لهذه المبادئ وتجاهل دعمها للجيش الحر وتجاهل تشكيلها خطرا على مصالح روسيا في سوريا وقبل أن يعقد معها هذه الإتفاقيات من أجل مصلحة دولته وخاصة بعد الحصار الإقتصادي المفروض على روسيا

¹ سيد أمين ،"أمريكا الميكافيلية" ،مجلة الحوار المتمدن ،العدد 2884 ، 2015 ، ص 10 .

من قبل الغرب وبالرغم من دراسة بوتين للقانون الدولي الذي يستوجب منه أن يكون حاكما مثاليا وصاحب أخلاق قانونية إلا أنه كان ميكيا فيليا لأبعد الحدود وجسد الميكيا فيلية على أرض الواقع وتجرّد من كلّ القيم الإنسانية والضوابط الأخلاقية ويتجلّى ذلك من "خلال دعمه للنظام السوري والمصري على الرّغم من إنتهاكهم للقانون الدولي والقوانين الإنسانية الحقوقية وذلك كلّه من أجل مصالح دولته الإستراتيجية في كل من سوريا ومصر"¹.

إذا إنتقلنا مثلا إلى الولايات المتحدة الأمريكية نجد للكثير من القواعد الميكيا فيلية الصدى الكبير في سلوك الإدارة الأمريكية رغم كل ما تدّعيه من التمسك بمبادئ الديمقراطية وحقوق الانسان والعمل على نشر العدالة وتحدّد هذه القواعد أصول اللعبة السياسية للتمسك بالحكم والسيطرة على الآخرين وبثّ الرعب في نفوس المعارضين والقضاء على الأعداء والمناوئين، وقد ذهب في ذلك إلى حدّ التّوصية بالإلتجاء إلى القتل والإغتيال بمختلف الطرق والوسائل لضمان إقرار السلطة والواقع أنّ ميكيا فيلي لم يكن يعترف بأيّ قانون أخلاقي في مسائل السياسة لأنّ السياسة عنده على نحو ما كانت عند الولايات المتحدة الأمريكية لعبة يسمح بها بكل أنواع الحيل، وتتغيّر قواعد اللعبة على أيدي اللاعبين أنفسهم حتى توافق أهوائهم وحتىّ إن وضّحنا أن رؤساء أمريكا لا يعودون إلى القتل بالمعنى الحرفي للكلمة أي القتل الفيزيقي لكن هناك القتل المعنوي والسياسي والإقتصادي من خلال فرض العقوبات الإقتصادية والمطاردة في "المحافل الدولية والإدعاءات الزائفة وتسخير وسائل الإعلام المختلفة وإثارة الرأي العام العالمي حول قضايا ملفّقة كما حدث في مسألة الدمار الشامل التي أتخذت مبرّرا لغزو العراق واحتلاله"².

وإستنادا لهذا يتّهم ميكيا فيلي بكونه السبب المباشر والمحرّض والملهم لإنطلاقة أوروبا في إستعمار الشعوب وتدمير بلدان آمنة في سبيل منفعتها وما تقوم به أمريكا اليوم من

¹ سيد أمين، "أمريكا الميكيا فيلية"، مجلة الحوار المتمدن، العدد 2884، 2015.

² المرجع نفسه، ص 03.

إحتلال وتدمير لبلاد المسلمين الآمنة ترجمة واقعية لوصاياه ،يقول ميكيافيلي في هذا الصدد:

"وعندما تكون تلك الأقاليم التي تمّ ضمّها قد تعودت قبل فتحها أن تعيش حرة تتبع قوانينها ،فإنّ هناك ثلاث طرائق للتعامل معها أول هذه الطرائق تتمثل في إستباحتها ونهبها وسلبها ليأخذ منها الفاتح كل ما يمكن أخذه ونهبه وسلبه على أوسع نطاق في أقصر وقت، وثاني هذه الطرائق تتمثل في أن يذهب الفاتح إلى الإقليم الحديث الضمّ ليعيش فيه بشخصه متّخذاً منه قاعدة وعاصمة لملكه وثالث هذه الطرائق هو أن يدع شعب الإقليم الحديث الضم يعيش في كنف قوانينه وعاداته وتقاليده مكتفياً بأخذ الجزية منهم منشأً من بين أهل الإقليم حكومة مؤلفة من عدد قليل من الافراد يظّلون على ولاء له"¹.

ثم أوصى "الأمرء بتدمير المدن عند إحتلالها وإلحاق الأذى بالرجال هذا الأذى الذي لا يمكنهم من الإنتقام"² ،عبارات ميكيافيلي هذه تعتبر ركيزة من ركائز الديمقراطية المشوّهة التي عملت الدول الأوروبية في فترة الإستعمار وتعمل بها أمريكا في إحتلالها الحالي للعراق وأفغانستان فقد إستوحوا ذلك وإستلهموه ممّا يقوله ميكيافيلي :

"إنه لا ينبغي أن يكون للأمير هدف أو غاية سوى الحرب ولا ينبغي أن تشغل فكر الأمير أمور أخرى سوى أمور الحرب وتنظيم الجيوش وإعدادها لخوض الحرب لأنّ الحرب هي الفن الوحيد الضروري لمن يعتلي عرش الحكم"³.

لقد مهّد فكر ميكيافيلي السياسي لبروز نظريات العقد الاجتماعي* التي ظهرت هي الأخرى في بيئة انتشر فيها الظلم والطغيان عبر قرون ممتدة جعلت أهل الفكر يثورون ضد

¹ ميكيافيلي ،الأمير، ص 35.

² المصدر نفسه، ص 36.

³ المصدر نفسه، ص 67.

*لقد ظهرت نظرية العقد الاجتماعي في العصر الحديث الذي تميّز بعدة خصائص من بينها التجديد والانفتاح في جميع المجالات ،الأدب والدين والسياسة بالإضافة إلى العناية البالغة بالعلم وتطبيقاته العلمية الرامية إلى توسيع سلطان الانسان على الطبيعة والزيادة في رخائه إنطلاقاً بما نفخ

تلك الأوضاع تبلور هذا الفكر الذي سعى جاهدا لمحاولة إزالة كل هذه المعوقات للحضارة والتقدم أمام هذه الشعوب المغلوبة على أمرها ، هذا الفكر الذي أوجد مبررا فكريا لانتقال السيادة من الكنيسة إلى الإرادة العامة للشعب ومن الحاكم إلى الإرادة الشعبية حيث تحرر الشعوب من الحكم الديني ومن سيطرة الكنيسة عليهم إلى حكم يقوم على رضى الشعوب ويستمدّ الحاكم سلطانه من الإرادة الشعبية التي تمنحه للملك ، "رأى فلاسفة العقد الإجتماعي ما فعله الدين في مجتمعاتهم من خلال الكنيسة أرادوا أن يخلعوا الدين عنه وما فعله الملوك من ظلم فردّوا السيادة إلى الشعب"¹ .

ظهرت إذن نظرية العقد الاجتماعي كبديل لنظرية الحق الإلهي وطبقا لها إرتدت شرعية الحكم التي مصدرها الأصيل وهي إرادة الشعب بعد أن كانت هذه الشرعية مستمدة من الذات الإلهية ، لقد بدأ التنظيم لهذه النظرية مع هوبز وتبعه جون لوك ثم إستقرت النظرية عند جان جاك روسو وتحدّدت ملامحها عنده لدرجة أنّها نسبت إليه عند إطلاقها وتلقّتها الشعوب بشغف بالغ إذ رأت فيها الشعوب الثائرة على كنيستها وملوكها خلاصا وبديلا حيث جاءت أفكارهم لتبلور حياة جديدة بعيدة عن معتكك الدين مع السياسة ورغم الاختلاف بين رواد هذه النظرية* إلا أنهم جميعا "جعلوا للفرد قيمة في مجتمعه بعد أن كانت هذه القيمة معدمة"² .

= فيه أيضا النضال السياسي من إحساس قوي بالاستقلال ف شعر كأنه ربّ ليس فوقه رب ويعرف العقد الاجتماعي بأنّه جملة الإتفاقات الأساسية في الحياة الإجتماعية وبمقتضاها يضع كل فرد شخصه وقواه تحت إرادة المجتمع ويعود المصطلح في الفكر السياسي إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر لمن عرفوا بأصحاب نظرية العقد الاجتماعي والتي تعود بوادرها إلى الفيلسوف توماس هوبز ، للمزيد ينظر يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، دون ط (القاهرة ، دار المعارف ، دون تاريخ النشر) ، ص 7 . وينظر أيضا إبراهيم مذكور ، المعجم الفلسفي ، دون ط (القاهرة ، الهيئة العامة لشؤون مطابع الأميرية ، 1983) ، المادة : العقد الاجتماعي ، ينظر أيضا سامي شهيد شاكر "أصل الدولة عند أصحاب نظرية العقد الاجتماعي ، لوك ، هوبز ، روسو و أثرها في الفكر المعاصر " ، العراق ، جامعة الكوفة ، ص 4 .

¹توفيق الطويل ، الصراع بين الدين والفلسفة ، ط3 ، (القاهرة ، دار النهضة العربية ، 1979) ، ص 167 .

* لقد تحدث توماس هوبز عن عقد الاجتماعي يعقده الأفراد بينهم بالتراضي لتفويض من ينوب عنهم ولكن هذا العقد في جوهره عقد خضوع يتنازل الأفراد بموجبه عن حقوقهم لملك أو حاكم لكن هذا الحاكم ليس طرفا في العقد فلا تطبق عليه القوانين بل هو فوق القانون وتصبح حرية الفرد مقيدة بمصالح المجموع بحث هوبز إنطلاقا من هذا عن أفضل شكل للحكومة وتبعاً له هو الملك وسلطان الدولة ينبغي أن يكون سلطات مطلقة والسبب الذي يقدّمه لدعمه للدولة لأنها البديل في نظره عن الفوضى ولأن كان هوبز من أنصار الحكم المطلق إلا أنه صاحب فضل لا يجحد في رد سلطة الحاكم إلى الشعب من جهة حرص لوك بأن يطور أفكار هوبز ولكن من منظور مختلف فيرى لوك أن الشعب أو المحكومين بمقتضى هذا الميثاق أو التعاقد لهم الحق في تغيير الحكومة أو السلطة السياسية كما يجوز لهم خلع الملك أو طرده ، من جهة أخرى يذهب روسو في العقد الاجتماعي إلى أن الإضافة الممكنة الوحيدة إلى التفاوت الاجتماعي القائم ، التفاوت في الأملاك والواجبات هو ضمان الحرية التامة والمساواة المطلقة أمام القانون ، للمزيد ينظر نورالدين حاروش ، تاريخ الفكر السياسي ، دون ط (الجزائر ، دار الأمة للطباعة والنشر ، 2009) ، ص 3-4 . وينظر أيضا زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة الحديثة ، دون ط (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، 1936) ص 95-96 . وينظر أيضا عبدالله محمد عبدالرحمن ، علم الاجتماع السياسي ، النشأة التطورية والاتجاهات الحديثة المعاصرة ، دون ط (بيروت ، لبنان ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 2001) ، ص 170 .

² محروس محمد محروس بسبوني ، بحث في نظرية العقد الاجتماعي في ميزان الإسلام ، دون ط (كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ، جامعة الازهر ، دون تاريخ النشر) ، ص 156

إحتوت هذه النظرية على معاني سامية ومبادئ راقية ، أكدت على حرية الانسان حيث أعلوا من قيمة الحرية الإنسانية بعدما عانت البشرية كثيرا في سبيل ترسيخ هذا المبدأ ودافعت عنه بالأرواح والدماء والأموال كما وجدت قيمة للفرد في المجتمع حيث جعلته عضوا في جماعة له حقوقه الثابتة ورأيه هو الذي يؤسس نوعية السلطة الحاكمة بدلا من أن يكون عبدا لإنسان مثله يخضع له بل يسيّره ، ونظرا لما يتميز به برنامج العقد الاجتماعي من أفكار ديمقراطية وجمهورية برجوازية قد حظي بتقدير وإعجاب كبيرين من قبل رجال السياسة لذلك إرتأينا أن نبين مدى تأثر هؤلاء بالأفكار المتحررة والمستتيرة وكيف ساهمت أفكارهم في أحداث ثورة فكرية سياسية على الإيديولوجيا المتسلطة في كل العصور .

ج-3- تأثر الفكر السياسي المعاصر بنظرية العقد الاجتماعي :

ج-3-1- تأثر الفكر الفرنسي السياسي بنظرية العقد الاجتماعي :

كانت نظرية العقد الاجتماعي سببا في الثورات على الحكم المتسلط في أوروبا حيث أرجعت السلطة للشعب وجعلت الحاكم نائبا عنها ، يقول توماس كاريل عن روسو :

"لقد قدر العالم على إرجاء ذلك البطل ، إتخاذة أضحوكة يسخر منها كما يسخر من البله والمجانين وعلى إجاعته وتركه يتضور جوعا كالوحش المسجون ، فهل قدر العالم على منعه من إضرام الثورة وإشعال الأرض نارا تلتظى ؟ لقد وجدت الثورة الفرنسية انجيلها في كتابات روسو وقد أحدثت آراءه الشبيهة بالجنون في آفات المدينة وتفضيله عيش المستوطنين على عيش المتمدنين جنونا فاض في أنحاء فرنسا وغيرها"¹.

تأثر العقل الأوروبي بأفكار روسو العميقة وحسّه الإنساني المعارض لكل أشكال القهر والتسلط والعبودية حيث أسس لفكر يفيض بكل معاني الإنسانية والحرية والعدل والمساواة ومن خلال إلهامه المتجلي في العقد الاجتماعي إستطاع فكره أن يصبح محرّكا للثورة الفرنسية وأدى إلى ظهور الإعلان العالمي لحقوق الانسان ، وهذا يدلّ بوضوح على أنّ

¹ محروس محمد محروس بيسيوني ، بحث في نظرية العقد الاجتماعي في ميزان الإسلام ، ص 1576.

صنّاع القرار السياسي يستلهمون أفكارهم وقوانينهم بما تفيض به الفلسفة من نظريات ومبادئ متجدّدة ومستتيرة .

إنّ لروسو أثر كبير في قيام الثورة الفرنسية* حتّى سمّي بإنجيل الثورة الفرنسية، فقد تأثر رجالات الثورة الغربية والفرنسيون بمؤلّفاتِه خاصّة مؤلّفه العقد الاجتماعي الذي إستقوا منه أهمّ المبادئ وأبرزها خاصة حقوق الانسان التي يفخر بها العالم كافة، وغيرها من المبادئ والأسس والشعارات التي تبنّاها الدستور الأمريكي ومن أهم تلك المبادئ الحرية والإخاء والمساواة والسيادة .

شكّلت الثورة الفرنسية نقطة تحوّل أساسية في التاريخ القومي الأوروبي وفي إقرار الديمقراطية وحقوق الانسان لذا نستطيع أن نعتبر الثورة وليدة الفكر التنويري حيث حملت هذه الثورة "معاني الإخاء والعدالة والمساواة وأصبحت لفترات طويلة نموذج ثوري للشعوب ضدّ الملكية الإستبدادية وأنظمة الحكم"¹ .

عملت الثورة الفرنسية على إلغاء التسلّط الديني وإلغاء الملكية المطلقة والإمتيازات الإقطاعية للطبقة الأرستقراطية واجهت السلطات الدينية ووقفت ضد التزمّت الكنيسي وتحرّرت من كل الأفكار الرجعية وهذا ما أدّى إلى خلق تغييرات جذرية لصالح التنوير ومنه نادى روسو "بإرساء الديمقراطية وحقوق المواطنين ونادى بدين مدني أو طبيعي يقوم على أساس الإستماع لصوت الفكر والتركيز على حكمة العقل"² وقد كان روبير أشهر رجال الثورة الفرنسية يعتبر نفسه تلميذا لروسو إذ أنه قرأ جيداً وتشبّع بأفكاره في الديمقراطية والعدالة وحقوق الانسان وإحترام الدين، هدف روسو في نظر المجتمع هو حماية حقوق

* قامت الثورة عام 1789 وانتهت حوالي 1799 واعتبرت هذه الفترة فترة تحولات سياسية وإجتماعية في التاريخ السياسي والثقافي في أوروبا بوجه عام وفي فرنسا بوجه خاص للمزيد ينظر عمر عبدالعزيز، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دون ط، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2000)، ص 17.

¹ عبدالعزيز سليمان نوار، محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث في عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دون ط، (مصر، دار الفكر العربي، 1999)، ص ص 275-276.

² إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من كانط إلى رينوفيه، الجزء الثاني، دون ط، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2004)، ص 66.

الإنسان ، "من فرط في حقوقه فقد فرط في أهم مقومات شخصيته ومن تنازل عن حريته فقد تنازل عن صفته كإنسان"¹ .

من هنا كان للثورة الفرنسية الدور الكبير في تغيير الأوضاع الإجتماعية والسياسية والفكرية حتى الإقتصادية فقد تبنت الثورة الفرنسية المذهب الفردي الحر وأصدرت إعلان حقوق الإنسان والمواطن وتضمن هذا الإعلان في مادته الأولى أنّ الأفراد يولدون أحراراً ويتساوون أمام القانون وأنّ "الإنسان له حقوق طبيعية هي الحرية والمساواة والملكية حق الأمن كما أن الطرق مفتوحة لجميع المواهب على قدم المساواة"²، ثم صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1748 ونصّ في مادته الثانية على "مبدأ المساواة بين الأفراد بصفة خاصة وعدم التمييز بينهم بسبب الأصل أو الجنس أو الدين أو اللغة أو الآراء السياسية"³.

كانت الثورة بقيادتها السياسية وحكومتها تدعو إلى تقديس الحرية وهو ما دعى إليه روسو وهو ما كان له الأثر الكبير على الحكومات الفرنسية الثورية وهذا ما جعل فرنسا تمنح اليهود المساواة في الحقوق عام 1796 بالإضافة إلى منح غير مقتني الممتلكات حق الاقتراع وفي عام 1794 ألغت الحكومة الفرنسية الرق رسمياً⁴، وهذا يدل على الفضل الكبير الذي تقدّمه الأفكار الفلسفية للسياسة كما يبرهن ويترجم حاجة الوضع السياسي إلى فكر يوجّهه ويعدّله ويرتقي به ،"و منه سيادة القانون كانت ثمرة تطور فلسفي طويل فالفكر السياسي لكل من روسو ولوك ،تبدوا إنعكاساته واضحة على مواد إعلان حقوق الإنسان"⁵ .

ترجمت الثورة أفكار روسو إلى نصوص وقواعد دستورية وضعية ظهرت في إعلانات الحقوق والدساتير "التي ظهرت في أعقاب الثورة واستمرت في الدساتير المختلفة للدول

¹ فضل الله محمد سلطح ،الفكر السياسي الغربي ،النشأة و التطور ، ط1، (الإسكندرية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، 2013) ص 472.

² إيريك هوبز باوم ،عصر الثورة في أوروبا (1789-1848) ،تر:فايز الصباغ ،دون ط،(الأردن ،المنظمة العربية للترجمة ،2007) ،ص 136.

³ حسني قمر ،حقوق الإنسان في مجال نشأة الحقوق السياسية وتطورها و ضماناتها ،دراسة تحليلية ،دون ط،(مصر ،دار الكتب القانونية ،2006) ص 110.

⁴ لين هانت ،نشأة حقوق الإنسان ،تر:جرجس حنا ،ط1،(القاهرة ،كلمات عربية للترجمة والنشر ،2013) ،ص ص 23-26.

⁵ فضل الله محمد سلطح ،الفكر السياسي الغربي ،ص 440.

الأخرى التي نقلتها عنها"¹، كذلك إهتمت الثورة بفكرة القانون الطبيعي وتربية الأطفال وفق السنن الطبيعية كل هذه "الأفكار مستمدة من مبدأ الحرية الذي يؤكد على ضرورة عدم التخلي عن هذه السنن لأنّ التخلي عنها يؤدي إلى نشوء العبيد والطغاة"².

لقد رفض "مفكروا الثورة الفرنسية الحكم المطلق الذي تبناه الطغاة وحولوه إلى نظام جمهوري قائم على العقلانية الرشيدة والحرية الشخصية"³ ورفعت شعار الإخاء والمساواة وإستندت إلى دستور ينص على "حقوق الأفراد وواجباتهم وأعلنت قيام دولة أساسها سيادة الشعب المطلقة"⁴، لقد أفلح إذن رجال الثورة بإيحاء من الأفكار الفلسفية في أن يتوجّوا هذه الجهود بتلك الوثيقة التي قدّمتها فرنسا لشعوب الأرض كافة "وعملت الجمعية الوطنية منذ البدء على إخراج وثيقة تبين فيها للناس حقوق الانسان والمواطن وأقرّت أساسا لدستور الحكم"⁵.

ومن هنا يتّضح لنا تأثير السياسة بالفلسفة تأثراً فعلياً على أرض الواقع جاءت الثورة الفرنسية بمبادئ تتماثل ومبادئ روسو التي تؤكد على الحرية والمساواة كحقّان رئيسيان يبرزان قيمة الإنسان يعتبران من الحقوق الطبيعية الناشئة مع طبيعة الانسان، ونتج عن ذلك "العديد من الإنجازات مثل إمكانية القضاء على الإستبداد من طرف كبار ورجال الدولة"⁶.

وبالتالي إنّ إعلانات حقوق الإنسان بإعتبارها أحد أهمّ الانتصارات التي حقّقت في مجال السياسة والتي ستحافظ على الوضع السياسي والاجتماعي آمناً، هي ثمرة مباشرة لفلسفة العقد الاجتماعي التي أعطت أهمية وقيمة لحقوق الانسان وكانت سبباً مباشراً في إندلاع الثورة الفرنسية التي دعت إلى تحرير المواطن ومنحه حقه، وتعتبر من أشهر

¹ محمد كامل ليلة، النظم السياسية الدولة والحكومة، دون ط، (بيروت، دار النهضة العربية، 1969)، ص 527.

² عبد الصمد سعدون الشمري، النظرية السياسية الحديثة، ط1، عمان، دار الحامد، 2012، ص 137.

³ لويس عوض، الثورة الفرنسية، دون ط، (مصر، مطابع الهيئة المصرية، 1992)، ص ص 185-187.

⁴ مجموعة مؤلفين، موجز تاريخ الفلسفة، تر: توفيق سلوم، ط1، (بيروت، دار الفارابي، دون تاريخ النشر)، ص 205.

⁵ هاشم محمد الأقداحي، النظم السياسية المعاصرة، دون ط، (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2004)، ص 113.

⁶ برنار عرتون، فلسفة الثورة الفرنسية، تر: عيسى عصفور، ط1، (بغداد، منشورات البحر المتوسط، دون تاريخ النشر)، ص ص 125-129.

إعلانات الحقوق وذلك "لمساهمتها الفعالة في إرساء نظام ديمقراطي يعرف الآن بالديمقراطية السياسية"¹.

تعتبر إذن وثيقة حقوق الانسان مكسبا هاما في حياة الانسان والتي قامت على إلزامية حماية هذه الحقوق وقد أثبتت بهذا الثورة الفرنسية على قدرة الإنسان على بناء نظام سياسي جديد على أساس من المبادئ العقلية والمشروعة وبشكل عام وإستمدت الحقوق المعلنة 1789 و 1793 من التراث الفلسفي الذي "يؤكد بدوره على ضرورة حفظ الحقوق الطبيعية التي يتميز بها الإنسان كالحرية والمساواة وجميع الحقوق المدنية"²، لقد كان إذن لمبادئ الفلسفة وأفكارها صدى واسعا خلال الثورة الفرنسية وظلّ تأثر السياسة بالفلسفة فعّالا، ولم يقتصر تأثر الفكر الفرنسي بالفلسفة فقط بل كذلك الفكر الأمريكي، بل والفكر العالمي السياسي أجمع وذلك بسبب ما تعرّضت له الحقوق من إنتهاكات في ظلّ الحروب والصراعات.

ج-3-2- تأثر الفكر الأمريكي السياسي بنظرية العقد الاجتماعي :

تأثر شعب أمريكا بصفة بالغة بفلاسفة العقد الاجتماعي بعد أن إندلعت الحرب بينه وبين مستعمره* الذين أرادوا أن يؤكّدوا على أنّهم يتمتعون مثلهم مثل غيرهم بالحريات الإنجليزية التي سعى أجدادهم جاهدين للحصول عليها والظفر بها فأمنوا بأن للإنسان حقوقا طبيعية خالدة لا تنتزع وبأن له الحق بمقتضى العقد الاجتماعي لأن ينسلخ عن الجماعة إذا ما حاولت أن تعبت بتلك الحقوق وكما أن هناك " قانونا طبيعيا ثابتا هناك حقوق للإنسان طبيعية لا يمكن التنازل عنها وإغتصابها"³.

¹ فرانسوا فوزيه، الثورة الفرنسية في مواجهة الفكر، تر:رباب العابد، دون ط، (دمشق، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية السورية، 1999) ص 50.

² فرانسوا جورج دريفوس وآخرون، موسوعة تاريخ أوروبا من عام 1789 الى يومنا هذا، تر: حسين حيدر ، ط1، (بيروت ، باريس ، منشورات عويدات ، 1995) ، ص 64.

* لقد كان للسياسة الفرنسية المتعمقة والتي شملت ملكية الأرض والإنتاج والقيود التجارية التي فرضتها بريطانيا على مستعمراتها في أمريكا دور مباشر في النزاع عام 1765 واندلاع الحرب عام 1775.

³ محمد طه بدوي، أمهات الأفكار السياسية الحديثة وصداها في نظم الحكم، ط1، (مصر، دار المعارف، 1985)، ص 116.

تأثر بعض رجال السياسة الأمريكيان بأفكار روسو الفلسفية وتيقنوا أنّ إرادة الشعب هي فوق كل إرادة فتمكّنوا من تطبيق هذه الأفكار في مجتمعاتهم سنّت الدساتير لبعض المستعمرات الأمريكية وكلّها تتضمّن وثائق لحقوق الإنسان بعد ثورة الاستقلال التي قام بها الأمريكيون نظم زعمائهم عام 1176 وثيقة تسمّى إعلان الإستقلال التي صاغها توماس جيفرسون مندوب فرجينيا الذي أصبح فيما بعد ثالث رئيس للجمهورية الأمريكية وقد تميزت هذه الوثيقة بكونها أول وثيقة أعلنت حقوق الإنسان بصفة رسمية¹، وقد ورد في هذه الوثيقة مايلي :

"إننا نعد الحقائق الآتية من البديهيات ،خلق الناس متساوون وقد منحوا حقوقا خاصة منها حق الحرية والحياة وغيرها من الحقوق التي تسهر عليها حكومات تستمد سلطانها من رضى الشعب المحكوم، و إذا أرادت الحكومة التلاعب ومحاولة القضاء على هذه الحقوق يخول للشعب أن يلغيها أو يبدّلها بحكومة أخرى"².

ما نلاحظه هنا أن ما تمّ إعلانه في الديباجة هو تأكيد لما أعلنه الفلاسفة وما نادوا إليه من حقوق ثابتة ،لقد اعتمد محرّروا هذه الوثيقة على "أفكار فلسفية بحثة لتأكيد إستقلالهم عن إنجلترا أي عن الدولة التي أخلت بمنطق فلسفة العقد الإجتماعي"³ ، أدخلت أيضا تعديلات جذرية في الدستور الأمريكي عام 1789 وأطلق على هذه التعديلات إسم وثيقة حقوق الشعب التي نادى بعدم تقييد الحرية الدينية وحرية التعبير وحرية الصحافة عدم إنتهاك حرمة الأشخاص ثم توالى التعديلات على الدستور الأمريكي * .

¹ خضر خضر ،مدخل الى الحريات العامة وحقوق الانسان ،دون ط،(لبنان ،طرابلس ،المؤسسة الحديثة للكتاب،دون تاريخ النشر) ،ص 103.

² حمزة محمد شاهين ،حقوق الانسان بين الشرق والغرب ،ط1،(القاهرة ،مطبعة حلیم ،1956) ،ص 36.

³ محمد طه بدوي ،أمهات الأفكار السياسية الحديثة وصداها في نظم الحكم ،ص 117.

* كان تعديل عام 1791 ثم تعديل عام 1856 حيث تضمن عدم جواز الإستعباد كان هذا التعديل مختصا بإلغاء الرق القسري ثم تعديل 1868 يتساوى فيه جميع الناس امام القانون أما تعديل عام 1920 أكد على حق الإقتراع للجميع ولا يميز بسبب الجنس أو اللون كما لا يميز بين الذكر والأنثى كما وسعت مدى الديمقراطية في العالم وأكدت على الحريات هذه التعديلات ذكرناها على سبيل الحصر والمثال فالتعديلات مست العديد من الميادين والمجالات .

هذه التعديلات كانت بفضل " فلسفة العقد الاجتماعي التي لها أعمق الأثر في الوثائق والنظم الحديثة التي تكاد تكون مجرد تسجيل وتطبيق لتلك الأفكار"¹، وأهم وثيقة أفرزتها الفلسفة هي وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لمنظمة الأمم المتحدة عام 1984 وهي وثيقة تاريخية هامة تحدّد للمرة الأولى حقوق الإنسان الأساسية التي يتعيّن حمايتها عالمياً، ولو دققنا النظر في الكثير من المواد الموجودة في الإعلان نجدها مستمدة من الدرجة الأولى من المبادئ التي نادى بها نظرية العقد الاجتماعي والتي إتجهت إلى تقرير حقوق الإنسان وحمايتها، وهذا ما يؤكّد عمق التصور الفلسفي لحقوق الإنسان، فما نادى به الفلسفة من مبادئ نجدها محدّدة في مواد هذا الإعلان* التي تؤكد بدورها على الكرامة والإخاء وعدم التمييز، قد "أخذت الأمم المتحدة على عاتقها مهمة إعداد وثيقة خاصة تهدف إلى إيضاح ماهية الحقوق الأساسية التي ورد النص عليها في الميثاق"².

ما نريد أن نثّوه له أن التعديلات في الدساتير لم تكن حكراً على أمريكا وفرنسا فقط بل كذلك على بريطانيا التي نشأت فيها فلسفة حقوق الإنسان والحريات العامة، فقد إندلعت الثورة في إنجلترا عام 1688 والتي كانت تتويجاً لنضالات طويلة ومريرة قامت بها القوى الديمقراطية وقد أسفرت هذه الثورة عن نظام سياسي جديد يقوم على قوانين تضمن الحرية والمساواة ويكون الحكم فيه برلمانياً، وهذا النظام يمثّل نقلة نوعية في تاريخ إنجلترا" إذ يقرّ المواطن للإنسان الإنجليزي موقراً بذلك الضمانات الضرورية لحماية حقوق الإنسان والمواطن"³، ومن المهم أن نبيّن دور الرسالة الثانية لجون لوك والتي عدت وثيقة ثورية تبنت مبدأ الدفاع عن الحق بالثورة وقد إكتظت هذه الرسالة "بالحجج الموجهة ضد الحكم التعسفي وضد السلطة المطلقة ومهدت لقيام الملكية الدستورية"⁴.

¹ أنسام عمر السوداني، فلسفة حقوق الإنسان، هوبز لوك، مونتيسكيو، روسو، ط2، (بيروت، دار الراافدين، 2017)، ص ص 172-173.
* **للمزيد ينظر:** الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الأمم المتحدة، نشر الأمم المتحدة هذه الطبعة pdf باللغات الإسبانية والإنجليزية و الروسية والصينية و الفرنسية و العربية .

² حسني قمر، حقوق الإنسان في مجال نشأة الحقوق السياسية وتطورها وضماناتها، ص 137.

³ علي بن حسين المحجوبي، "حقوق الإنسان بين النظرية والواقع" عالم الفكر، المجلد 13، العدد 4، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، 2003، ص 17.

⁴ عطا بكري، الدستور وحقوق الإنسان، الجز الثاني، دون ط، (بغداد، مطبعة الرابطة، 1954)، ص 21.

إذن تأثر السياسيين بالأفكار الفلسفية واضح ومتجلى في النظام الأمريكي والبريطاني وبشكل عام شكّلت "الفلسفة المرجعية العامة للتجارب السياسية لبريطانيا وأمريكا وفرنسا ولل فكر الليبرالي بشكل عام"¹.

لكن بالرغم من تأكيدنا على الأثر الإيجابي للفلسفة على السياسة كونها تركت آثارا واضحة على الفكر السياسي الأوروبي وساهمت في تنوير بعض الشعوب الغربية من الاستعباد إلا أنه هناك من الساسة من إستغل الأفكار الفلسفية التي أنتجها الفلاسفة ولعلنا هنا نذكر إستغلال الساسة لفلسفة هوبز التي نادى حسبهم بالحكم المطلق الذي يسلب فيه الشعب إرادته وكيونته، وأطلق هذا النوع من الحكم على مصطلح الشمولية أو الديكتاتورية* والإستبداد والتسلط وهي جميعها مسميات للإشارة إلى أنظمة الحكم التي تسرف في إستخدام القوة في إدارة السلطة والسيطرة التامة بواسطة حاكم فرد وهذا ما يلغي الحرية وحكم القانون العادل وهو ما وجد فيه الساسة ضالّتهم .

أعجب الساسة بهذه الفلسفة نظرا لأنها أعتبرت كدعامة وسند لخدمة مصالحهم وقدموا إنطلاقا من هذه الفلسفة الحجج التي تبرر وجود هذه السلطة وتبرر سلوكيات الحكام الطغاة الأقوياء الذين يحكمون بشكل مطلق ويملكون كل وسائل العنف والإكراه مقابل شعب "مقيّد مسلوب الإرادة لا يملك إلا الخضوع والطاعة وذلك من أجل الإستفراد بالسلطة والتحكّم في رقاب الناس والإستئثار بخيراتهم"².

إستقى هؤلاء الساسة فكرهم من فلسفة الحكم المطلق التي تروج لحكم ديكتاتوري وتتظاهر بالديمقراطية، يسبق مصلحته الخاصة عن المصلحة العامة ويمارس القمع والإضطهاد، له صلاحيات وامتيازات عديدة مما يتيح له المجال بتغيير الدستور أو إلغائه

¹ عزمي إسلام، جون لوك، دون ط، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008)، ص 193.
* الديكتاتورية تعني نظم الحكم التي تسمح لفرد أو لمنصب أو حزب بالسيطرة وغالبا ما تقتصر الديكتاتورية بسيطرة فرد على مقاليد الأمور سواء في المنصب أو الحزب، أن يكون له من القوة والسلطة ما يجعله يسيطر بسيطرة تامة على الدولة فيقرّر منفردا كل التحركات والقرارات السياسية وأن يفرض الطاعة على كل المواطنين ليقبلوا طائعين كل ما يصدر من تحركات وأفعال، للمزيد ينظر محمد محمود ربيع إسماعيل، صبري مقلد، موسوعة العلوم السياسية، دون ط، (الكويت، دار الوطن، 1994)، ص 294.
² محمد هلال خليف، قراءة تاريخية في مفهوم الإستبداد وتغييره، آليات تكريسية، الإستبداد في أنظمة الحكم الغربية المعاصرة، دون ط، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005)، ص 281.

وإصدار القرارات السياسية والاجتماعية يسيطر على الشعب ولا يخضع لأية رقابة قانونية أو دينية ، " وهنا نلاحظ أنّ الساسة فهموا نظرية العقد الاجتماعي باعتبارها نظرية تقوم على سلب الحريات لربط الناس بالدولة وإحكام السيطرة عليهم"¹، وهذا يدلّ على نوع من الإستبداد مادام الحكم مطلقاً فليس للشعب إلا إختيار أحد الأمرين إمّا الحكم المطلق وإمّا الفوضى العارمة وعلى ذلك تجمع السلطة كلّها في يد شخص واحد تخضع لإرادته جميع القوانين والأخلاق في الدولة ولا يمكن نزع السلطة منه لأنّ سيادة الدولة تستلزم الطاعة المطلقة ، هذه الدولة التي يصوّرها هوبز على هيئة عملاق جبار أو وحش هائل في يده جميع السلطات وتخضع له كل المنظمات من سلطات "لأنه يرى أن هذه السلطات يجب أن تكون في يد الملك والشعب لا يستطيع أن يستردّ هذه السلطات"² .

لقد أخذ الساسة هذه الأفكار الفلسفية وحولوها إلى آراء خطيرة وأفكار هدامة كادت تؤدّي إلى القضاء على العالم بأسره وطبقوها على أرض الواقع وفي مجتمعاتهم ، هاته الأفكار التي تدعوا إلى السيادة المطلقة التي يهب فيها الإنسان نفسه لحاكم يتصرف في حريته وإرادته وما يملك .

إنطلاقاً من هذه الأفكار إنطلقت أوروبا بزعمائها السياسيين تستعمر الشعوب فبعد الثورة الفرنسية والتي ولدت معها الديمقراطية الليبرالية وبعد أن صاغت الجمعية التأسيسية نظرية سيادة الشعب في دستور 1793/07/24 حيث نصّت المادة 25 على أن " السيادة للشعب"³ بعد هذا التاريخ جاء المد الإستعماري الأوروبي وفي هذا السياق يقول صمويل هنتجتون :

"لقد إستطاع الغرب أن يكسب العالم ليس فقط بسبب تفوق أفكاره أو قيمه أو دينه وإنما بالأحرى بسبب تفوقه في تطبيق العنف

¹ فضل الله محمد إسماعيل ، السعيد محمد عثمان ، نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي ، دون ط ، (الإسكندرية ، مكتبة بستان المعرفة 2006) ، ص 266 .

² بطرس غالي ، محمود خيرى عيسى ، مدخل الى علم الاجتماع السياسي ، دون ط ، (القاهرة ، المكتبة الأنجلومصرية ، 1983) ، ص 157 .

³ صلاح الصاوي ، نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة العربية ، ط2 ، (القاهرة ، دار الإعلام الدولي ، 1992) ، ص ص 22-23 .

المنظم وكثيرا ما ينسى الغربيون تلك الحقيقة ولكن غير الغربيين لا ينسونها¹.

أقام الساسة مجتمعاتهم إنطلاقا مما تقدّمه نظرية العقد الاجتماعي التي أصبحت بسبب سوء فهم لها نظرة خطيرة تمنح للحكومات والدول المسوغات التي من شأنها أن تجعلها تنهج في السياسة الداخلية أو الخارجية منها ، لا يبالي بسنن الأخلاق ولا أصول الآداب ، فقد وجد السياسيون في فكرة تحلل الدولة من إتباع شريعة الأخلاق خير سند لسياستهم الخارجية وإستهانتهم بحقوق الدول الأخرى وقد كان إعتداء الألمان على حياد البلجيك في سنة 1914 مثلا عمليا لما تزوج له تلك الفلسفة وكذلك مهاجمة إنجلترا لكونهاجن سنة 1807 وتحطيمها الأسطول الدانماركي بحجة أن سلامة الدولة كانت تستلزم هذا الإعتداء.

العيب الواضح في نظرية سيادة الدولة هو أن الدولة تبعا لتلك النظرية تعتبر نفسها ممثلة للنوع الإنساني بأسره وهو إفتراض مناف للحقيقة وإذا كان للدولة السلطة التامة والقدرة الكاملة من حيث علاقتها بالأفراد الخاضعين لها ، فإنه من الأمور المسلّم بها أن هذا الحق لا يمكن أن ينهض إلا على إفتراض أن الدولة تمثل إرادات أفراد الدول الأخرى و هي من ثم غير قادرة على كل شيء وليست إرادتها إذن فوق كل إرادة ، وإنطلاقا من هذا أعتبر السمو فوق كل إرادة وسيلة لتبرير حق الدولة لكن ليس هناك ما يبرر خروج الدولة عن الآداب في معاملتها لغيرها من الدول * .

¹ صمويل هنتجتون ، صدام الحضارات ، إعادة صنع النظام العالمي ، تر: طلعت الشايب ، ط2 ، (نيويورك ، 1998) ، ص 150 .

* نحن نجد مثلا في مجتمعاتنا العربية نماذج عديدة لدول عانت من دكتاتورية حكامها مثل مصر التي كانت تتبع النظام الديمقراطي لكن بمجرد وصول حسني مبارك إلى السلطة وتولييه الحكم ساهم في زيادة رخاوة الدولة وفسادها وازداد مؤشر الفساد طيلة فترة حكمه فالسلطة الممنوحة له جعلته يستغل منصبه من خلال التحكم بدرجة كبيرة في السلطة التنفيذية وإستغلاله الأدوات السياسية مثل الحزب الوطني ما مكّنه من توسيع نطاق صلاحياته لقد إحتلت مصر في عهده مرتبة خطيرة ضمن الدول الفاشلة عهد إلى إفراغ الخزينة العمومية وإهدار المال العام وطبقا لتقرير مركز الأرض لحقوق الانسان فإنه خلال عام 2010 أهدر 39 مليار جنيه من خزانة الدولة فضلا عن 231 مليار دولار خسائر بسبب تصدير الغاز الطبيعي لإسرائيل التي سمح لها أن تعلن الحرب عن غزة من قصر الرئاسة المصرية وأمر هو شخصيا بإغلاق معبر رفح أمام المساعدات بأنواعها ، وبهذا يكون قد استبد بشعبه وبغزة كذلك ، بشار الأسد كان نموذجا آخر من نماذج الاستبداد بسوريا هي الأخرى لم تسلم شر حكماها فقد تمركزت السلطة بيده وانفرد بها سعى إلى كبت الحريات وقمعها وحرمان المواطنين من حقوقهم المشروعة كحرية التعبير وحاول طمس الهوية السورية الإسلامية وإلحاقها بركب العلمانية فرض التشيع على شعبه وعندما رفض مارس عليه كل أنواع التعذيب والتكبل وقام بانتهاك حقوقهم وقمعهم وكي لا يسمع صوتهم وهذا ما جعل الشعب يثور ضد الفقر وغياب العدالة الاجتماعية وتمركز الثروة والمال في يد الهيئة الحاكمة وحاشيتها للمزيد ينظر ياسين الحاج صالح وآخرون ، الخلاص أم الخراب ، سوريا على مفترق الطرق ، دون ط ، (القاهرة ، مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان ، سلسلة قضايا الإصلاح) ، ص 08 ، ينظر أيضا ، مياح غانم العنزي ، "كل التفسيرات المنطقية تقول أنها دكتاتورية" ، مجلة المنير ، العدد 6803 ، 2011 ، ص 17 .

الفصل الثالث : التوظيف الإيديولوجي للفكر

الفلسفي - 01 - الداروينية نموذجاً

01/ تأثر السياسة بالفلسفة في العصر المعاصر : هتلر نموذجاً

أ - دوافع قراءة هتلر للفكر الفلسفي

أ-1- من الناحية النفسية

أ-2- من الناحية العلمية

أ-3- من الناحية الفكرية الثقافية

02/ تأثر هتلر بفلسفة داروين

أ- فلسفة داروين التطورية

ب- نظرية النشوء الذاتي

ج- التنازع من أجل البقاء

3/- قراءات نقدية لنظرية التطور

4/- إسهام النظرية الداروينية في نشر ثقافة العنف عن طريق الزعيم الألماني هتلر

1- /تأثر السياسة بالفلسفة في المرحلة المعاصرة : هتلر نموذجاً

لم يقتصر تأثر السياسة بالفلسفة في العصر اليوناني و الحديث فقط بل بقي مستمرا ليصل إلى العصر المعاصر ، تميّز خطاب السياسة بالحضور القويّ للفلسفة و قد بدا جلياً تأثر المجتمع السياسي بها تأثراً شديداً و بليغاً لأنّ " الفلسفة دائماً هي فاعلة و قادرة على التّوير و التوجيه و هي خطاب شامل يطال جميع نواحي الفكر"¹ ، و لعلّ ما يبيّن إستمرار حضور الفلسفة و كذا ضرورتها و أهميتها على مدى العصور و خاصة المرحلة المعاصرة ، هو إعجاب العديد من الشخصيات المعاصرة بها و من بين أهمّ هذه الشخصيات و أشهرها الزعيم الألماني أدولف هتلر* الذي تفتّن وإنّته لمدى قوّة و فعالية النظريات الفلسفية و مدى قدرتها على التغيير و التأثير.

هذا ما يؤكد فعليا حاجة السياسة للفلسفة ، فقد إحتاجت السياسة لسند و حجة فكرية تدّعم مسارها و تبرّر أفعالها، لكن إعجاب هتلر بالفلسفة لم يكن إعجاب قارئ همّة البحث و الإستفادة، بل كان إعجاباً مبطناً يحمل في طيّاته مطامع و مآرب يريد تحقيقها حيث سعى إلى توظيف الأفكار التي جادت بها قريحة الفلاسفة فيما يخدم مساعيه و أهدافه في تأسيس نظام حكومي قائم على القهر و الإغتيال و مصادرة الأفكار و الحريات ، و التّحكم في الشعب بقانون القوة لا بقوة القانون.

هذا ما قاد المجتمعات إلى الضياع حيث غرق العالم جرّاء ذلك في دوامات العنف و القمع والتخلف و الجمود الفكري ، فتعطّل الإبداع و انحطّ الإنسان إلى درك الحيوان و قبعّت المجتمعات في دائرة مغلقة من الكبت و المعاناة ، و تمزيق الأوصال و تفكيك الوحدة جرّاء السياسات الخاطئة و من بين هذه النظريات و الأفكار التي أعجب بها هتلر نذكر على وجه الخصوص النظرية التطورية لداروين** و فلسفة نيتشه. و إستناداً لهذا جسد هتلر العنف إنطلاقاً مما تدعوا تروج له

عبد الغفار مكاي، لم الفلسفة، دون ط، (الإسكندرية ، منشأة المعارف ، 1981) ص 54 .¹
* ولد أدولف هتلر في 30 أبريل 1889 في براونا و هي بلدة صغيرة في النمسا تقع بالقرب من الحدود الأمريكية ، كان والده موظفاً حكومياً و كان يرغب أن يصبح ولده موظفاً مثله و لكن الفكرة لم تستهوه هتلر فقد أهمل دروسه بعد أن كان متفوقاً و ذلك فقط من أجل أن يمارس هواية الرسم التي لطالما أحبها ، فقد كان يطمح لأن يكون رساماً ليتخلص من العمل الشاق كان يأمل أن مواهبه تؤهله لأن يكون فناناً بالدرجة الأولى . **للمزيد ينظر بنيامين غيبيل، أدولف هتلر من القوة إلى الإنهيار، تر: فؤاد نخلة عدة، ط1، (بيروت، 1968) ص 11.**
** النظرية التطورية لداروين أو الداروينية لهذا المصطلح معنى ضيق و آخر واسع ، يشير المصطلح بالمعنى الضيق إلى تلك النظرية العلمية في التطور العضوي التي قدمها عالم البيولوجيا الإنجليزي تشارلز داروين خلال القرن التاسع عشر ، بينما يشير بالمعنى الواسع إلى مركب جامع من

هذه النظريات و ذلك عن طريق سوء فهم لها ، و قراءته السطحية جعلته ينحرف عن الفهم الحقيقي لها ، و ذلك ما أدّى به إلى سوء تطبيقها على أرض الواقع ، و لعلّ سوء فهم هتلر لهذه النظريات راجع حسب إعتقادنا إلى العديد من الأسباب و الدوافع :

أ-دوافع قراءة هتلر للفكر الفلسفي :

أ-1- من الناحية النفسية :

إعتبر هتلر هذه النظريات العلمية و الفلسفية بمثابة المتنقّس له هي حسب الكافل المعنوي المعبر عن الأمل و الطموح ، طموح هتلر في إقامة دولة قويّة تهابها كل الدول ،خاصة بعد الأزمة الإقتصادية التي تعرضت لها الألمان سنة 1929. و هي من أشهر الأزمات الإقتصادية المالية التي شهدتها الإقتصاد العالمي و أقواها ، فقد تمّ إغلاق الكثير من المصانع الألمانية ما أدّى إلى "تفشّي البطالة و كانت أخطر نتيجة ترتّبت عن ذلك هو إنتشار روح القلق و الفزع والسخط في نفوس العمال ممّا دفعهم إلى توجيه أنظارهم إلى هتلر بإعتباره المخلص الألماني"¹.

وجد هتلر ألمانيا مكسورة خائبة فشعر بالإحباط و الغضب و بدأ يفكّر في طريقة للتخلص من عار الهزيمة خلال الحرب العالمية الأولى " أراد ضرب اليهود الذين خانوا ألمانيا و كان مصمّمًا لإيجاد حلول لإنقاذ بلده من شرّ الهزيمة و هذا ما دفعه لتأسيس حزب يخلص ألمانيا من أزمتها"².

لقد كان إذن ناقما على سوء الأوضاع التي كانت تمرّ بها ألمانيا ففكّر مرارا و تكرارا لإيجاد السبل التي تساعد ، أراد توحيد ألمانيا في ظل حكومة مركزية و إعادة المستعمرات الألمانية بالإضافة إلى " تأسيس جيش وطني قوي و طموح هتلر الأسمى كان خلق دولة جديدة

= الأفكار الفلسفية و اللاهوتية و الإجتماعية و العلمية التي حثت عليها و دعمتها تلك النظرية ، للمزيد ينظر زكي نجيب محمود ، من زاوية فلسفية، ط2، (بيروت ، القاهرة ، دار الشروق ، 1985) ص 09 .

¹عبد العظيم رمضان ، تاريخ أوروبا و العالم الحديث من ظهور البرجوازية إلى الحرب الباردة ، الجزء الثالث، دون ط ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب) ، ص 09 .

² عبد التواب أحمد سعيد، تاريخ أوروبا المعاصر ، دون ط ، (عمان ، دار الفكر ، 2010) ص 10 .

تسود العالم "1 و ما يعتبر عائقا و محضورا عند بعض القادة السياسيين إستطاع هتلر تحقيقه ، في "ظرف وجيز إستطاع أن يهيمن على الأحوال الإقتصادية و الإشراف عليها إشرافا تاما ليسيطر على الإنتاج عن طريق سياسة الإكتفاء الذاتي "2، و يقوم بتصريفه و "التحكم في العمال و الفلاحين لدرجة أن أفكارهم أصبحت تسير على خطى ما ترسمه النظرية النازية و زعيمها هتلر"3.

إستطاع هتلر أن يذهب بطموحه إلى أبعد من أن يخرج ألمانيا من حالتها الحرجة "بسبب الأزمة الإقتصادية التي أثّرت في صادراتها من قمح و صلب و صناعات معدنية و غيرها "4، بل هذه الظروف جعلته في تحد و قد نجح و إستطاع ليس مجرد القضاء على هذه الأزمة بل "تعدّها إلى وصول إقتصاد ألمانيا إلى مستوى يمكنها من تسليح الجيش الذي ستواجه به الأعداء في حالة دخولها حرب محتملة "5 .

إنّ إطماع هتلر في حقيقتها توسعية و المسألة التي سيطرت على تفكيره هي إعادة بناء الإقتصاد الألماني و تحقيق مكانة مرموقة لألمانيا على " صعيد العلاقات التجارية بالإضافة إلى زيادة القوة الصناعية فقد عوّضت كل الموارد الأولية من بنزين و مطاط و قطن "6 ، و قد إستطاعت ألمانيا بفضل سياسة هتلر أن تعيد "بناء قوتها العسكرية في ظرف قياسي حيث أصبح الجيش معه يتمتّع بمهارات قتالية نتيجة لإستخدام آلات عسكرية حديثة التصنيع "7 .

رأى هتلر إنطلاقا من هذا أن توجيه الأمة الجرمانية نحو أهدافها يجب أن يكون في يد زعيم واحد قويّ و ذلك لتساعده في تحقيق الأهداف الآرية القوية و المنظمة تنظيما دقيقا ، قد لا تكون صاحبة الأغلبية في البلاد و لكن بآريتها و بدقّة تنظيمها و قدرتها على التضحية في سبيل الأمة

1 أيمن عيسى أحمد، أدولف هتلر ، دون ط،(مصر ، دار الفاروق ، 2006) ص 38 .

2 زين الدين عابدين نجم ، تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر ، دون ط،(الأردن ، دار الميسرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، 2012) ص 553 .

3 حاطوم نور الدين ، تاريخ الحركات القومية الإشتراكية ، الجزء الخامس ، ط1،(دمشق ، دار الفكر ، 1982) ص 191 .

4 شكري محمد فؤاد ، ألمانيا النازية ، دراسة في التاريخ الأوروبي المعاصر 1939، 1945 ، دون ط،(بيروت، دار الفكر العربي، 1945) ص 138 .

5 صبح علي ، السياسة الدولية بين الحربين 1914 ، 1939 ، دون ط،(بيروت ، دار المنهل اللبناني،دون تاريخ النشر) ص 208 .

6 أ.ج.ب تالور ، أصول الحرب العالمية الثانية ، دون ط،(القاهرة ، الهيئة المصرية العامة، 1990) ص 185 .

7 ونستون تشرشل ، مذكرات تشرشل ، الجزء الأول ، ط1،(بغداد، مكتبة المنار،دون تاريخ النشر) ص 28 .

الجرمانية تجعلها قادرة على أن تكسر الحواجز التي توضع أمام وصول هذه الفئة إلى الحكم وهنا وضع هتلر " نفسه في المكان الذي يستطيع منه أن يكرّس كافة هذه الجهود من أجل تكوين دولة واحدة جرمانية تتولّى مسؤوليتها نحو سيادة العنصر الآري"¹.

لم تكن النظريات العلمية و الفلسفية بمثابة الكافل المعنوي الوحيد المعبر عن طموح وأطماع هتلر التوسعية فقط ، بل كانت وسيلة لإخراج المكبوتات النفسية في الداخل ، نتيجة عوامل وظروف إجتماعية و سياسية في صغره حتى في كبره بل و نتيجة الحرمان و الفقر اللذين عاناها في صغره ، حيث أثّرت الظروف السياسية على هتلر كثيرا فطبيعة النظام السياسي الذي يتبنّاه هتلر و نحن هنا نقصد النظام التسلطي يعدّ مصدرا و سببا مهما في النزاعات التي أدخل نفسه فيها ، ذلك أن النظام الذي يتبنّاه هتلر يفتقد إلى الشرعية السياسية التي تعتبر من أهم أسباب الإستقرار و تقادي الصراعات و الإنشقاقات الداخلية في المجتمعات البشرية ، فالشرعية السياسية التي يفتقدها نظام هتلر هي الضامن لما سمّاه الفيلسوف هيجل بالدولة المنسجمة ، أي الدولة التي يسود فيها الإعراف بحق الاختلاف و هو ما لا يقبله هتلر مطلقا .

لا يتمّ مع هتلر حل النزاعات بقوة الإقناع أو القانون بل بقوة السلاح ، و بالنسبة إليه الشرعية تمثّل قوّة الضعفاء ، هتلر بنظامه هذا لا يعترف بالحاجات الإنسانية للجماعات ذات الهوية المغايرة ، و إنطلاقا من هذا فقد تحيّر للآري و همّش الجماعات الأخرى و هذا ما خلق التوتر و الصراع إضطهاده للأقلية المهمشة و " منحه لإمتيازات على حساب بقية الشعب أدّى إلى خلق فجوة تولّد الأحقاد و العداء و هذا ما أنتج تضادا في المصالح و علاقات صراع وعنف"² .

من جهة أخرى يعتبر الحرمان الذي عانى منه هتلر في صغره من أهمّ العوامل التي أدت به إلى العنف فهو بالنسبة إليه يعتبر رد فعل عن الحرمان، يؤدّي به للتعويض عنه من خلال

¹ عبد العزيز سليمان نوار ، عبد المجيد نعني ، التاريخ المعاصر لأوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ، دون ط ، (بيروت ، لبنان ، دار النهضة العربية) ص 566 .

² الشنقيطي محمد بن المختار ، الدولة و الصراع ، من موقع ، www.aljezeera.net-indepth/fights2101.htm

سلوكات عنيفة و أفعال إجرامية ، العنف الذي يمارسه هتلر راجع بالضرورة إلى التكوين النفسي المرتبط بمشاعر الطفولة فَقَدْ فَقَدَ هتلر الإشباع العاطفي في طفولته و كان " يشعر بالنقص الذي نجم عن تربية أبيه التسلطية الإضطهادية"¹، حيث تعرّض في " وقت مبكر من حياته لمشاعر الرفض"² و فقدان الحب و العاطفة بالإضافة إلى نقصه في "كفاية الدفء و المودة و الإهتمام خاصة مع إساءة أبيه لمعاملة أمه و بالتالي لمعاملته هو"³ ، و هذا ما أدّى به إلى " فقدان القدرة على تشكيل علاقات عاطفية مريحة و مرضية"⁴.

لقد عانى هتلر كثيرا في طفولته لأنّ والده كان قاس يضرب أمه و يضره هو بعنف وبقوة و لعل قسوة أبيه إنتقلت إليه و أثّرت على شخصيته و حوّلت له هذا المارد النازي البشع حيث يقول هتلر في هذا السياق :

"إنني أحمد اليوم العناية التي وضعتني
وجها لوجه أمام قسوة القدر
و أنا بعد طري العود و جعلتني أدوق
مرارة العوز بعد أن قذفت بي إلى عالم
المحرومين، متيحة لي أنا البورجوازي النشأة
أن أعائش الذين وجدت نفسي فيما بعد
مناضلا في سبيلهم ومن أجل رفع مستواهم"⁵.

و إستنادا لهذا تشرب هتلر العديد من القيم السلبية المتمثلة في الخضوع و القمع و التحكم والتبعية ، حيث وجد أمامه صورة الأب الذي يتعهد لنفسه بالقيام بكل شيء من دون مشاركة أحد و هذا ما أشعره بالدونية، و في ظلّ هذه الأجواء القسرية نشأت لديه نزعات متعاكسة كالفردية والأنانية و التأكيد على الأنا"⁶.

¹ خالد عز الدين ، السلوك العدواني عند الأطفال ، ط1 ، (عمان ، الأردن ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، 2010) ص 10 .

² Paul.I. fatherles children wilej series in childmental Health,John willy, 1980, new York .p.,05.

³ جابر عبد الحميد وكفاكي علاء الدين ، معجم علم النفس و الطب النفسي ، الجزء الثاني ، دون ط ، (القاهرة ، دار النهضة ، 1992) ص 201 .

⁴ barker philip (1989) , Basic child psychiatry . london .Black well sientific publication ,th edition oxford,london .p.,4 .

⁵ أدولف هتلر ، كفاحي ، تر : كمال فؤاد ، ط1 ، (القاهرة ، كنوز للنشر و التوزيع ، 2011) ص 10 .

⁶ حليم بركات ، المجتمع في القرن العشرين ط1 ، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2000) ، ص 417 .

كان هتلر بسبب صراعات طفولته حاكما مهووسا بالسلطة رجلا مريضاً، يسعى لتعويض نقائصه بالهيمنة على الآخرين حيث ظهرت هذه الصراعات في حياته بعد ذلك في صورة الكراهية المكبوتة لكل سلطة خارجية ، و هذه الكراهية لهذا النوع من السلطة جعلته يقف ضدها و يحاول أن يضع نفسه مكانها بأن يصبح هو السلطة ذاتها، و هكذا أفرزت لنا طفولة هتلر "الكثيية و الخشنة أكبر و أبشع مجرم عرفه التاريخ ، و كل ما يحمله من كبت لمشاعره و دوافعه أخرجه حين كبر في التدمير و القتل و التعذيب"¹.

إنطلاقاً من هذا وصف عقل هتلر بأنه "ظاهرة غريبة مريضة ذات أثر على النفوس بخشونتها و صلابتها"² ، فقد كانت شخصية هتلر شخصية مستبدة يشعر دائماً بنشوة سلطته و يتحسسها من وقت لآخر من خلال خطاباته الإستعراضية و من خلال مظاهر التزلف التي يجبر الشعب بشكل مباشر أو غير مباشر على "القيام بها من مسيرات مؤيدة ، إحتفالات و حتى أغاني تمجّد قوته"³ .

بهذا أراد أن يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم ، و يحكمهم بهواه لا بشريعتهم ، و يعلم من نفسه أنه الغاصب المعتدي و رغم ذلك يسكت أفواه الملايين من الناس ، و يسدّها على النطق بالحق و التداعي لمطالبته و هو هنا "مستبدّ عدو للحق و الحرية و قاتل لها"⁴ ، "تمتّع هتلر بنزعة تدميرية مكبوتة في اللاشعور لديه"⁵، فقد تولّدت لديه النرجسية الواقعة بين العقل والجنون ، ما جعلته يستحوذ على السلطة المطلقة و غدت كلمته هي الحكم النهائي على كل شيء بما فيها الحياة و الموت ، و لكي يثبت أنه لا حدود لسلطته قتل ما لا يحصى من الرجال و النساء ، و "بنى القلاع حيثما كان و حلّ و لهذا أراد كل شيء أراد القمر ، أراد المستحيل"⁶. هذه القوّة التدميرية و النرجسية العالية التي "جعلته يرى نفسه القائد الوحيد الأعظم"⁷، وكل

¹ مجدي كامل ، وراء كل دكتاتور طفولة بائسة ، بداية ظالمة و نهايات مأساوية ، دون ط، (دمشق ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، 2007)، ص 14 .
² شيررويليام ، تاريخ ألمانيا الهتلرية ، نشأة و سقوط الرايخ الثالث ، الجزء الأول ، ط1، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1962)، ص ص 51-52 .
³ عزام محمد الأمين " التحليل النفسي لشخصية الطاغية المستبد " <http://www.arabsynet.com> .
⁴ عبد الرحمن الكواكبي ، طبائع الإستبداد و مصارع الإستعباد ، ط1، (القاهرة ، دار الشروق ، 1900) ص 22 .
⁵ سيغموند فرويد ، قلق الحضارة ، تر: جورج طرابيشي، ط3، (بيروت، لبنان، دار الطليعة للطباعة و النشر، دون تاريخ النشر) ص 110 .
⁶ إيريك فروم ، جوهر الإنسان ، تر: سلام خيربك ، ط2، (سوريا ، دار الحوار للنشر و التوزيع ، 2011) ص 16 .
⁷ روخوس باسمور ، الفاشية ، تر ، رحاب صلاح الدين ، ط1، (القاهرة ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، 2014) ص 66 .

الآخرين مجرد أشخاص موضوعين تحت سلطته تولدت لديه بعد وفاة والدته بعد صراع طويل مع المرض ، أثر على النمو الفكري و النفسي لهتلر خاصة بعد أن أصبح بدون معيل ممّا إضطره إلى الإشتغال في العديد من الأعمال المضنية كجرف الثلوج و تنظيف السجاجيد و بدأ هتلر العمل كمعاون بناء ثمّ كدهان، ليحصل على كفافه و ليأمن عائلة الجوع، حيث ذكر في كتابه متحدثاً عن الجوع :

"هذا الرفيق الذي كان يأبى عني إنفكاكا
و يشاطرنى كل شيء فإذا إشتريت كتابا وقف
الجوع ببابى يوما كاملا و إذا حضرت حفلة
موسيقية أو شاهدت مسرحية ما
لازمني الجوع يومين" ¹.

كما كان هتلر ينام في المقاهي و الحدائق و خلال هذه السنوات الخمس "قرأ هتلر جريدتي النييفراي و منيزنا و بعض الكتب التي تعالج الإشتراكية الماركسية" ²، و تلك التي "تتحدث عن اليهود و لذلك تأصلت فيه كراهية عنيفة للإشتراكية الماركسية و اليهودية" ³، فهو لا يعترف بهم وينكرهم بل يقصدهم من مجتمعه و يعتبرهم حثالة و منحطي المستوى و القدر و في هذا يقول :

"إنّ همّ اليهود الأكبر جمع المال و قد سلك
بعضهم السبل الملتوية لبلوغ هذه الغاية
و قد روجوا لسوق الدعارة و تاجروا بالرفيق
الأبيض، فاليهودي الذي يعتبر نفسه مخلوقا
وديعا هو الذي إستمرّ في البغاء السري
و العلني و جعل منه تجارة رائجة و هذا
ما يدلّ على إجرام اليهوديين في حق
الوطن و المجتمع" ⁴.

كره هتلر غير الألمان لأنه إعتبر نفسه ألمانيا بإمتياز ، و شجّع على الطبقية و العنصرية، إنطلاقا ممّا تحمله شخصيته من أمراض و عقد نفسية و أمن أنه ما من حكومة يمكن أن تبقى

¹ أدولف هتلر ، كفاحي ص 10.

² الجمعة عبد الله صالح ، عظماء بلامدارس ، ط6، (السعودية، فحمومة، مكتبة العبيكان، مكتبة الملك فهد للنشر الوطنية، 2011) ص 418 .

³ محمد كمال الدسوقي ، تاريخ ألمانيا ، دون ط، (القاهرة ، دار المعارف ، 1996) ص 135 .

⁴ أدولف هتلر ، كفاحي، ص 17 .

في السلطة إذا حاولت معاملة كل الجماعات بالتساوي ، و أنّه لابد من تفضيل البعض على البعض الآخر.

لكن لا يجب أن نعتقد أن العوامل النفسية هي وحدها المؤثرة في الظواهر السياسية فهذا تفسير أحادي الجانب و يعكس ضيق أفق و جهود ، و يحذر الباحثون من الإختزالية النفسية بمعنى التركيز فقط "على العوامل النفسية و إعتبارها وحدها المسؤولة عن الظواهر السياسية ، ليس كل الظواهر السياسية لها أبعاد نفسية فقط"¹، قد يكون كما ذكرنا سابقا بسبب التمسك ببعض النظريات العلمية و الفكرية كالداروينية و فلسفة نيتشه اللتان أثّرتا على العديد من مناحي الفكر في الدين و في علم الاجتماع و علم النفس و خاصة في السياسة ، فقد غدت هذه النظريات النازية الهتلرية التي إتخذت منها منطلقا لنشر الدعوى المادية و تدمير المجتمعات وكما إستخدموها كسند علمي لايدولوجيتهم العمياء المشبعة بكل معاني الإستغلال و اللإنسانية.

أ-2- من الناحية العلمية :

تعتبر النظريات العلمية و الأفكار الفلسفية الدعامة و القوة و الحجة العلمية لتبرير مواقف القادة السياسيين و بالخصوص هتلر ، إتجاه بلدانهم أو بلدان أخرى ، هذه النظريات أصبحت المتهم الأول في نشر العنف و الفوضى في العالم و أصبح ينظر إليها بعين الإتهام على أنها مصدر الفساد و العنف في المجتمعات و يمكن أن نستدل على صحة كلامنا بالنظرية الداروينية و فلسفة نيتشه و تأثر الزعيم الألماني هتلر بهما ، منذ ولي هتلر الحكم في ألمانيا ، وليت معه الفلسفة الحكم في الوقت نفسه و تحقق نمط جديد من أنماط الحكم في القرن العشرين مطمع أفلاطون القديم من تأكيده الجمع بين السياسة (السلطة) و الفلسفة ، لكن بصورة مشوّهة، نحن نرى أنّ هتلر كان عند ولايته الحكم مسلّحا بنظام فكري كامل معدّ للتنفيذ ، و ليس إهتمام هتلر بتأكيد الأسس الفكرية للنظام الجديد بمستغرب عن ألمانيا التي فاخر فلاسفتها بأنهم أباء الفكر في الحضارة الأوروبية الحديثة ، و أنّ الإتجاه الفلسفي صفة مميزة للألمان بين

¹ Pirages et Dennis. (1976) managing political conflict praeeger publishers. new York, pp., 1-7 .

الشعوب و يظهر هذا الربط قويا بين الفلسفة و السياسة في قول فيدر :

"إنّ العمل العظيم الذي وضعته الاشتراكية
الوطنية نصب عينها هو التصميم على إعادة
النظام و القضاء على الفوضى، ووضع العالم
المقطّع الأوصال في شكل منظم مرة ثانية
و الإضطلاع بدور الحارس لذلك النظام بأعلى
معنى قصده أفلاطون"¹.

لقد نسج هتلر مقومات مذهبة الإيديولوجي من تراث ألمانيا كما يتمثل في دعوات
فلاسفتها و كتابها و أنا لنلتقي أول ما نلتقي بين أولئك المفكرين بالفيلسوف نيتشه ، لكن
الجدور الفلسفية الاشتراكية الوطنية لا تقف عند نيتشه بل تمتد إلى ما قبله و ما بعده من حيث
المصادر التي إستقت منها تفكيرها و هنا نشير إلى الداروينية أيضا .

حيث وظّفهما لتبرير التفاوت بين الطبقات داخل مجتمعه و في تسويغه لمشروعه التوسعي
ليحتل العالم بأسره ، فاليهود مثلا الذين هم ضعاف أثبتوا أن مقدرتهم على البقاء ليست مرتفعة
هم يستحقون الفناء أو على الأقل الخضوع للطبقة الأقوى و الأصالح .

كان إذن لمفاهيم داروين الإرتقائية و لفلسفة نيتشه تأثير عميق على الحياة الفكرية
والسياسية و ليس من قبيل الصدفة أن تحمل سيرة هتلر **كفاحي** مقولات و أفكار كلتا النظريتين
كما "طالع هتلر أيضا أثناء فترة سجنه كتبا عن العرقية أثّرت في بناء فكره الإيديولوجي
العنصري"²، و لكي يتوضّح لنا أكثر إعجاب هتلر و تبنيّه لكلّ النظريات التي تروّج للعنصرية
إرتأينا تتبّع خلفيات الأفكار العنصرية ، و كيفية نشأتها و أهم روادها و مروجيها الذين تأثر بهم
هتلر و تبني أفكارهم ، قبل أن نفصل في المباحث القادمة كيفية تبنيه للداروينية و فلسفة نيتشه
و تطبيقه عمليا لفكرهما .

¹ Feder cohfried .Hither official programme and is fundamental ideas george allen and unuein, 1934, p., 51 .

² مورييس دوفر جييه ، في الفكر السياسي ، مدخل إلى علم السياسة ، 61 .

أ-3- من الناحية الفكرية و الثقافية :

إنّ الصراعات السياسية ثمرة عوامل كثيرة يؤثر بعضها في بعض و تتفاعل و كما ذكرنا سابقا أن العوامل البيولوجية لها دور فعال هناك نظريتان تنزلان العوامل البيولوجية في الصراعات السياسية منزلة الصدارة ، **نظرية التنازع للبقاء و النظرية العرقية** فأما النظرية الأولى تتناول الصورة التي رسمها داروين لتطور الأنواع الحيوانية فتنتقلها إلى المجتمعات الإنسانية هذه النظرية ترى أن كل فرد لابد أن يصارع الآخرين ليبقى و لا يبقى إلا من هم أفضل فالإصطفاء الطبيعي يكفل بقاء و نمو أخيار الناس تنازع البقاء يستحيل هنا إلى تنازع من أجل إرضاء الحاجات و يصير في الميدان السياسي صراعا من أجل السلطة ، و هو أساس نظريات الصفوة المختارة من التنافس على السلطة الذي تولده منافع السلطة يظهر خيار الأفراد و أكثرهم كفاءة و أقدرهم على الحكم، و أما **النظرية الثانية** التي أثّرت تأثيرا مباشرا و شديدا على هتلر هي النظرية العرقية * التي تؤكد على أنّ بعض العروق أقدر من بعضها الآخر لتولي القيادة و قد خلق بعضها للسيطرة بطبيعته و خلق الآخر للخضوع بطبيعته ، لكنه لا يخضع من تلقاء نفسه فالصراع بين العروق الدنيا و العروق العليا هو الصراع السياسي الأول . لقد حاول هتلر أن يتبع فكرة العنصرية الألمانية في طفولته وحدثته و أن يميّز بين أصولها النامية في البيت و المدرسة و القرية و المدينة قد وضّح ذلك في كتابه قائلا :

"لقد عثرت في طفولتي في مكتبة والدي
بين الكتب التي تعالج الموضوعات العسكرية
على كتاب من طبعة شعبية يصف الحرب
الفرنسية الألمانية منذ 1870-1871
و ما أن إطلّعت عليه حتى تساءلت في

* نشأت النظريات العرقية في القرون الوسطى حيث أراد الملوك المسيحيون أن يصادروا أموال أصحاب المصارف من اليهود، و نمت في القرن السادس عشر حتى استخدم الإسبان والبرتغاليون عبيدا إفريقيين لإستعمار مستعمراتهم في أمريكا، و لكنها لم تصبح ذات شأن سياسي خطير إلا في القرن السابع عشر ، و الفكرة المشتركة بين جميع النظريات العرقية التي تأثر بها هتلر هي أن بعض العروق أدنى من بعض في القابليات و أن العروق الدنيا عاجزة خاصة عن تنظيم و إقامة مجتمعات حديثة فإذا تركت و شأنها لم تستطع أن تتجاوز مستوى الجماعات التي تحقق من التطور إلا خطأ يسيرا، فاليهود مثلا و إن كانوا يمتازون بذكاء واضح و يتمتعون بمواهب في التجارة و أعمال المصارف و الفنون فإنهم عاجزون عن ممارسة وظائف الحكم والقيادة و عن تنظيم سلطة سياسية ناجحة و العرق الأبيض هو الوحيد القادر على إنشاء هذه الدولة، و هذا ما يتسبّب في قيام عداء سياسي هو محرك الصراعات السياسية قبل كل شيء **للمزيد ينظر**، موريس دوفرجه ، في الفكر السياسي مدخل إلى علم السياسة ، ص 30 .

نفسى عمّا إذا كان هنالك فرق بين أولئك
الألمان الذين حاربوا تلك المعارك و بين
غيرهم من الألمان الذين لم يشتركوا فيها
ذلك لإنتسابهم للنمسا و قد وجدت إجابة
أنّ كل ألماني لم يكن موقفاً لدرجة تجعله
ينتسب إلى دولة بسمارك¹.

هذه الخواطر و التأملات وجدت تركية و إثارة في المدرسة الفنية التي إلتحق بها هتلر
وهناك أصبح ثائراً سياسياً و تعلّم كيف يفهم التاريخ و يدرك مغزاه فقد أثارت في ذهنه صورة
واضحة عن القومية الحقيقية و معناها في ضوء التاريخ الألماني و تشعب الأمة الألمانية
وأصبح بعدها يدرك مغزى القوى المعارضة للحركة الجرمانية و " تقوى عنده الإحساس بانّسابه
للعنصر الألماني و حساسيته الشديدة نحو كل ما هو ليس ألماني " ².

إنطلاقاً من هذا تبني هتلر النظرية العنصرية بصفتها إيديولوجياً مصممة لتبرير اللامساواة
في حقوق المواطنين و الدفاع عنها، و قد أصبح معاداة السامية أي الشكل الألماني من أشكال
العنصرية ، "مقبولة لا كذريعة للإضطهاد فحسب بل كفلسفة حياتية حقيقية تغلب على كامل
العقيدة النازية" ³.

هذه النظرية العرقية إستوحاها كاتب فرنسي هو أرتوردوجوينو * و عمّمها في كتابه بحث
في تفاوت العروق الإنسانية 1853-1856، لقد جعل جوينو من العرق الآري الذي إفترض
وجوده إفتراضاً حجة لتسوية الإمتيازات التي تتمتع بها الأرستقراطية ، و لتفسير العداوة بينها
وبين الجماهير الشعبية قال أن "الأرستقراطيين هم أعقاب الآريين الذين حملوا إلى أوروبا التنظيم
السياسي و الفكر و الفنون و الحضارة و الثقافة و التقدم" ⁴.

¹ أدولف هتلر ، كفاحي ، ص 16 .

² محمد عبد المعز نصر ، فلسفة السياسة عند الألمان ، دراسة في الفكر الألماني الحديث ، دون ط (بيروت، دار النهضة العربية للطباعة و النشر
1985)، ص ص، 126-130 .

³ فرانز ليبولد نويمان ، البيموت ، بنية الإشتراكية القومية النازية و ممارستها ، تر: حسني زينة ، دون ط (قطر، المركز العربي للأبحاث و دراسة
السياسات) ، ص 178 .

* أرتوردوجوينو (1816-1882) أديب و دبلوماسي فرنسي إشتهر ببحوثه و دراساته في التفاوت بين الأجناس البشرية، له روايات و قصص منها
"الثريا " و قصص أسبوعية .

⁴ مورسي دوفرليه ، في الفكر السياسي ، ص ص 19-23 .

أما الشعب هو سليل المحتلين الأوليين الذين كانوا من عروق دنيا بطبيعتها و الذين يعتمدون على الآريين في كل شيء ، لولا الآريون لظلوا يعيشون حياة همجية ، غير هتلر نظريات جوبينو فأحال التعارض بين الآريين الأرستقراطيين و الشعب غير الآري ، إلى تعارض بين غير اليهود و اليهود و إعتبر اليهود في كل مجتمع من المجتمعات عنصرا مخربا يجب تدميره . أصبحت العرقية عندئذ أداة لإلقاء تبعة جميع شرور المجتمع على هذه الأقلية . من جهة أخرى هناك الكاتب الإنجليزي هوستون سيتوارت تشمبرلين* في كتابه أسس القرن العشرين تكلم عن أسطورة الشعب الألماني قائلا :

"إنّ التوتون روح حضارتنا و إنّما
تقاس قيمة كل أمة من حيث هي
قوة حيّة في هذه الأيام، بمقياس
الدم التوتوني الأصل الذي
يجري في عروقه"¹.

لقد تبني هتلر نظريات تشمبرلين بحماسة شديدة لتبرير أهدافه التوسعية ، قد زاره هتلر عجوزا سنة 1923 أي قبل أن يألّف كتابه كفاحي ، و كان هتلر الرجل السياسي الوحيد الذي شيع جنازته سنة 1927، كذلك نجد أن هردر** كتب عن الشعب الألماني بإعتباره شعبا إستطاع بحزمه و شدة بأسه الجسدي و روحه المقدامة و مجالدته في الحرب أن يساهم أكثر من أي عرق آخر في هذا الربع من الكرة الأرضية .

الألمان حسبهم هم الذين زادوا عن المسيحية في وجه الغزوات المتواصلة التي شنها "الهون و الهنغار و المغول و الترك و بفضلهم أيضا ، لم يتم فتح القسم الأكبر من أوروبا و زرع و تطويره فحسب بل و تغطيته و حمايته"²، و يشارك في هذه النظرة نفسها عدد كبير من المؤرخين و الفلاسفة الإقتصاديين الألمان.

* هوستن سيتوارت تشمبرلين، (1855 1927) مؤلف إنجليزي كتب في مجال فلسفة السياسة و العلوم الطبيعية، لقد تم وصفه في قاموس السير الذاتية الوطنية بأنه الكاتب العرقي .

¹ موريس دوفرليه ، في الفكر السياسي، ص 33 .

** بوهان جوتفريد هردر، (1744 1803) كاتب و شاعر و فيلسوف و ناقد و لاهوتي ألماني ، درس الطب و علوم الدين و الفلسفة .

² Jehann Gohfried Herder. outlines of a philosophy of the history of man, trans by t.o chinchill london.l.Hansard 1800.p. ,477 .

إذ لمح فريدريش فون شليغل **Friedrich von schlegel*** إلى المزايا العرقية ليفسّر تفوق العرق الجرمانى أو القبائل الجرمانية على الرومان ، كما أن هانيرش فون تراتشيكه فسّر التاريخ كعملية تتسم بصعود الأعراق و إنهيارها و أقام مقارنة بين الصفات العرقية للألمان والصفات العرقية للهولنديين و الإنكليز و الروس و الإيطاليين و الأمريكيين مظهرا أن كل الشعوب غير الألمانية تقع في مرتبة أدنى من الألمان من حيث السخاء و الشعور بالجمال والإخلاص البسيط الطبيعي ، و جملة القول أنه "صنع بيانا مصورا بالفضائل الألمانية لا يزال حتى اليوم مرجعا لكل صناع البروباغندا عند الألمان"¹ أما فريدريش ليست **Friedrich list**** أول نازي مفوه لم يكن مجرد سابقة من سوابق النازية بل كان نازيا كامل الصفات ، كتب كتاب مذكرة في قيمة التحالف بين بريطانيا العظمى و ألمانية و شروطه يظهر هذا الكتاب بأجلى بيان الأسباب الكامنة وراء قبول النظريات العرقية ، و يرى ليست أن القسم الحاكم من شعوب هذه الأرض لطالما يميّز نفسه وفقا لنفسه فيتكلّم المرء عن عرق جرمانى و عرق رومانى و عرق سلافي من الوجهة السياسية، و يبدو أنه "قيّض هذا التمييز وحده أن يمارس تأثيرا عظيما على السياسة العملية في المستقبل و على رأس الأعراق الثلاثة تقف بريطانيا و فرنسا و روسيا"² ، ولا يكاد يكون مجال للشك في أنّ العناية الإلهية إصطفت العرق الجرمانى و فضّلته لما يمتاز به من طبيعة وسمات كي "ينهض بالمهمة العظمى ألا و هي قيادة شؤون العالم و تمدن البلدان المتوحشة البربرية"³، هكذا كان ليست أول من وضع النظرية التي طورها هتلر في شكلها الكامل في كتابه كفاحي ، نجده ينادي بوحدة العرق الآري و بأنّه سيحكم البشرية و يكون سيّدا لها ، هذه الفكرة تأكدها حنة أرندت في قولها :

"العداوة المشكلة ضد اليهود هي بالضرورة

* فريدريش فون شليغل (1772 1829) ، درس الحقوق و اللغات القديمة ، يعتبر المنظر الحقيقي للرومانيين الأوائل .

¹ فرانز لوبولد نويمان ، البيهموت ، بنية الاشتراكية القومية النازية و ممارستها ، ص ص 195-196 .

** فريدريش ليست (1789 1846) كاتب إقتصادي ألماني كان يعتبر من أنصار مذهب التدخل و هو مذهب وسط بين الاشتراكية العلمية و المذهب الحر.

² Friedrich list , the national system of political,economy ,trans by sampsan ,s lloyd with an introduction by j , shield nicholson , (London , new York long mans , Green and 1909 , p ,130 .

³ فرانز لوبولد نويمان ، البيهموت ، بنية الاشتراكية القومية النازية ، ص ص 198-201 .

رد فعل لقدرة تأثيرهم و قوتهم، فاليهود
يراهنون على قوتهم في عدّة مجالات هذا
ما أدّى لإعادة الاعتبار للعرق الجرمانى
فإنّه أقوى الأعراق في العالم، إلا أنّه وجد
نفسه في مواجهة مباشرة مع اليهود
في أرض ألمانيا بالذات ¹.

يعود السبب في وجود التمييز العنصري حتى يومنا هذا ، لا إلى أدلة علمية بل إلى
الحاجة إلى هذا التمييز - كما هو الحال عند هتلر - إمّا من أجل تفسير الشعور بالخطر
والتهديد اللذين يشعر بها البعض أو لكي يعطي المرء تبريرا لشعوره بالتفوق على الغير فخلال
الحقبة النازية و مع هتلر ساد الإيمان بالعنصرية الخرقاء إلى درجة جعلته يقنع بإمكانية تحقيق
مستقبل مثالي للبشرية من خلال الاختيار السليم لأساليب و عناصر التكاثر في المجتمع و في
ذلك الوقت أيضا إستطاعت العنصرية أن تسدّ الحاجة و الرغبة لدى هتلر في الشعور بالتفوق،
وتعطي الحق و المبرّر لمشاعر الحقد و الكراهية إتّجاه الآخر خصوصا ذلك الآخر القريب
ويعطي الحق في تصنيفه في مراتب دنيا .

لقد أضفى هتلر بمكره و دهائه شرعية على هذه المشاعر الحاقدة ، إندرجت الكراهية في
إطار التقدم و أصبحت أمرا مقبولا كونها تدعو إلى تحقيق عالم أفضل من خلال الإرتقاء العرقي
باسم النضال و مصلحة الشعب، لكنه لم يكن يسعى إلا إلى إستغلال المنصب، و لأن هتلر
كان يدّعي أنه الوحيد الذي يعرف الحقيقة بدأ يفقد القدرة على التواصل مع الواقع بصورة متزايدة
وقام بالقضاء على كل من " يخالفه الرأي الأمر الذي سار به إلى القتل الذريع و إنتهى بكارثة" ².
إذن فإن فلسفة نيتشه و الداروينية و كل ما تشبّع به هتلر من أفكار عنصرية هي التعبير
عن هذه الأخلاقيات المادية العملية ، هي فلسفات طرحت شعارات أسالت لعاب هتلر من أجل
توظيفها و إستغلالها للتوسع ، حيث رّوجت هذه الفلسفات للصراع من أجل البقاء ، و البقاء

¹ Hannah arendt, sur l'antisémitisme , traduit de 28 l'anglais par michelin ponteau edition calman lévy , p 28 .

² وولف ووغنر، كيف تعمل السياسة؟، تر: شفيق بساط ، (لندن ، دار الحكمة ، 2009) ص 36 .

للأصلح حيث يصبح البقاء المادي ليس له مضمون خلقي أو إنساني ، و يصبح الصراع دون معايير أخلاقية أو إنسانية هو الأنسب ، و لهذا أصبح السوبرمان المثل الأعلى هو الإنسان القادر على قهر ذاته و التخلي عن إنسانيته و قهر الآخرين و توظيفهم لخدمته أصبحت هذه الشعارات الداروينية و النيتشوية دليلا للعمل و نسقا أخلاقيا في العالم الغربي كله و هو نسق يستبعد فكرة الضمير و الإنسانية المشتركة .

لا يستند البقاء هنا إلى قيم أخلاقية علمية مشتركة ، بل إلى قوة السلاح و المدافع أو إلى الانتماء البيولوجي و العرقي للإنسان و مقدرته على تسخير العلم و التكنولوجيا لإخضاع الآخرين و "إشباع لذته و خدمة مصلحته الشخصية و تحقيق ذاته بغض النظر عن المضمون الأخلاقي أو الإنساني"¹. إنطلاقا من هذا تضافرت كل هذه العناصر على خلق السياق العام اللازم لصياغة هتلر الدكتاتور الذي أصبح يرى الآخر ككائن خاضع لقوانينه قابل للتطويع وإعادة الصياغة إن صح التعبير ، و من هنا قام بإسقاط أية مرجعية إنسانية و تبني مرجعية مادية غير إنسانية و لهذا أصبح إنسانا واحدا ماديا ، لا يمارس أي إحساس بالولاء لأية منطلقات "إنسانية ثابتة أو أخلاقية مطلقة و قد أدى هذا إلى ضمور الحس الخلقى عنده وإخفاء مفهوم الطبيعة البشرية"².

و لكي نوضح هذه النقاط أكثر إرتأينا أن نفصل في المباحث القادمة تفصيلا دقيقا أهم ما جاء في كل من فلسفة نيتشه و الداروينية و كيف أسهمت كلتا النظريتين في نشر ثقافة العنف والتدمير عن طريق الزعيم الألماني هتلر .

2/- تأثر هتلر بفلسفة داروين :

أ- فلسفة داروين التطورية :

لقد كَوّن داروين * و هو في الجامعة صداقات فعلية مع العديد من الرجال المغرمين بالعلوم الطبيعية، و من المفكرين الأوائل في مجال العلوم البيولوجية الدكتور هنري سيد غويك

¹ عبد الوهاب المسيري ، العلمانية الجذرية و العلمانية الشاملة ، المجلد الثاني ، دون ط (القاهرة، دار الشروق ، دون تاريخ النشر) ص 55 .

² المرجع نفسه ، ص 105 .

* تشارلز داروين ، ولد في 12 فبراير عام 1809 ، في عائلة بريطانية توفيت والدته عام 1817 كان والده طبيبا ما جعله يعيش في رغد مكفى الحاجة ، عرف والده بقوة ملاحظته و دقة نظره و إلى هذه الصفة يعزو ابنه تشارلز نزعه إلى ترتيب الفرضيات ، التي يحلل بها غوامض مايعرض عليه من مسائل العلم ، وقد منح الطبيب لابنه التعليم النموذجي لطبقته الإجتماعية حيث درس في مدرسة نهائية و فيها تعلم حبه للقيام بجمع العينات ، إنتقل إلى

Henry Sidgwick* و هو أحد المؤسسين لعلم البيولوجيا الحديثة ، ولا يخفى أن البيولوجيا ركيزة أساسية في نظرية التطور ولعل لسبق سيد غويك فضل على داروين الذي تشرب الحكمة التقليدية التي تمتع بها مرشدوه ، لهؤلاء الفضل في إعجاب داروين بالآراء حول التطور وقد تزامن ذلك مع قراءة داروين لكتاب جده **إرازموس داروين**** "قوانين الحياة العضوية" و ذلك بين عامي 1794-1796¹ ، وكان بمثابة الأفكار المبكرة لنظرية التطور و كيف أنّ الحياة جاءت بشكل تلقائي أو عفوي ، كما تعرّف هنا داروين بالبروفيسور **هنسلو Henslow***** الذي يعتبر رجلا عالما لكل فرع من فروع العلم (النباتات - الحشرات - الكيمياء - المعدنيات) "وكان داروين يسير معه كثيرا لدرجة أنه لقب بالرجل الذي يسير مه هنسلو"² و بفضل سافر في سفينة البيجل في رحلته البحرية، هذه الرحلة تعتبر نقطة تحوّل في حياة داروين فقد إستحضرت كل رحلة بحرية قام بها رؤى لأفاق و إنعتاقات جديدة، للسفينة مكانة رمزية حيث أنها قامت بالرحلة البحرية الأعظم فقد صنعت حضارتنا بالكامل و أصبحت كنتاج لها ، "حيث أصبحت تجارب داروين المحررة خلال السنوات الخمس على متن السفينة هي تجربة العالم بأسره"³. هذه الرحلة كانت أعظم حدث في حياة داروين ، "ذلك لأنها حدّدت مجال مستقبله كله بعد أن عزف عن دراسة الطب و اللاهوت قبل ذلك"⁴ ، لقد زار داروين و هو على متن هذه الرحلة الكثير من جزر المحيط الأطلنطي والهادي ، و توقّف عند جزر غالاباغوس (Gala pagos) و هناك رأى داروين ما كان يحلم به من غرابة و تنوّع عظمة النباتات الإستوائية والأشجار و حتى الصخور و شرع في جمع الخنافس و إلتقاط الحشرات و الطيور ، وبعد عودته

=مدرسة الدكتور تيلر ، و هناك أهمل دراسته ، من ثم ذهب إلى جامعة أدنبرة لدراسة الطب لكنه شعر بالملل ، ثم إلى جامعة كامبريدج ، للمزيد ينظر فرانسيس داروين ، قصة حياة تشارلز داروين ، تر محمود محمد المليجي ، ط1 ، (القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، 2004) ص 85 .

* سيد غويك، (1838-1900)، فيلسوف نفعي و خبير إقتصادي إنجليزي .

** إرازموس داروين (1802-1731)، جد داروين ، كان رجلا عبقريا من الأوائل الذين صاغوا نظرية التطور ، طبيب ماهر إكتسب شعبية كبيرة خاصة عند ما عالج صبيبا و شفاه بعد أن قارب الموت ، ذاع صيته كثيرا لدرجة أن الملك جورج الثالث طلبه ليصبح طبيبه الخاص .

¹ <http://www.amason.com/zoonomia.origin.life.illustrated.edition.idp/1406829234> .

*** هنسلو ، (1796-1861) عالم نباتات و جيولوجي بريطاني .

² فرانسيس داروين : قصة حياة تشارلز داروين ، ص 112 .

³ مايكل دانتون ، التطور نظرية في أزمة ، تر ألاء حسكي ، مؤمن الحسن ، مهند التومي و آخرون ، ط1 ، (القاهرة ، مركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية ، 2017) ، ص 30 .

⁴ روبرت.ب. داونز ، كتب غيرت العالم ، تر: أمين سلامة ، دون ط ، (القاهرة ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، 1975) ص 267 .

بوقت قصير عام 1837 بدأ يكتب "أول مذكراته عن تحول الأنواع مقتنعا أن الأنواع جميعا تنشأت في إتجاهات مختلفة عند عزلها عن بعضها فالأنواع ليست ثابتة لكنه لم يستطع أن يتخيل الميكانيزم الذي يقف وراء تنشئتها"¹، هذا الكم الهائل من النباتات و الحيوانات المتحجرة والحية التي قام داروين بجمعها ألهمه للتركيز بدقة أكبر على ما سمّاه تحوّل الأنواع Transmutation و هو التغيّر البطيء لنوع كي يصبح نوعا آخر ، و هو ما ندعوه التطور Evolution و تعد فكرة التطور واحدة من أهمّ و أخطر الأفكار التي أفرزها العقل الإنساني عبر سنوات طوال من تأمله لظواهر الكون و تنوّع ما يحفل به من أحياء بعبارة أخرى :

"هي إحدى تلك الأفكار التي أدّت دورا كبيرا في توجيه السلوك الإنساني و تحديد ماهيته لاسيما من النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا"².

كما يمكن تعريف التطور بأنه نمو بطيء و "متدرج يؤدي إلى تحولات منظمة و متلاحقة تمرّ بمراحل مختلفة و يؤذن سابقها بلاحقها كتطور الأفكار و العادات و التقاليد"³ ، ومن وجهة نظر العلم و الفلسفة فنرى أن الكون و الحياة بكل مظاهرها و الطبيعة بكل أوجهها هي نتاج للتطور"⁴، و من جهة أخرى على عكس ما هو شائع بأن نظرية التطور وليدة العصر الحديث ، فهي في الحقيقة نظرية قديمة ترجع جذورها التاريخية إلى كل من الفلسفة اليونانية (أرسطو) والفلسفة الإسلامية (إخوان الصفاء ، ابن خلدون) و الفلسفة المسيحية (القديس أوغسطين)⁵، إلا أنها لم تصبح نظرية علمية إلا في العصور الأخيرة عندما شرع لامارك **Jean baptiste de lamarck** * في تحليل نشوء الأنواع الحية و تحوّلها المستمر بتأثير من البيئة و الوراثة ، إلا أن التفسير الذي قدمه لامارك في كتابه الفلسفة الزوولوجية 1809 بقي تفسيرا غائيا

¹ جاكوب بروتوفسكي ، التطور الحضاري للإنسان ، تر أحمد مستجير ، دون ط ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997) ، ص 177

² صلاح عثمان ، مشكلات فلسفة العالم ، الداروينية و الإنسان ، التطور من العلم إلى العولمة ، دون ط ، (الإسكندرية، منشأة المعارف، 2001) ص 25

³ إبراهيم بيومي مذكور ، مجمع اللغة العربية ، المعجم الفلسفي ، (القاهرة ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983) المادة : التطور .

⁴ Hunes ,d,(ed) Dictionnaire of philosophy , Ahelis book , published by rouma publishers totowa m,j illen 1984

evolionism, pp., 116- 117 .

⁵ جلال الدين سعيد ، معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية : دون ط ، (تونس ، دار الجنوب للنشر، 2004) المادة : التطور .

* لامارك جان بابتيست ، (1744-1829) عالم طبيعي فرنسي .

ومتيافيزيقيا ، و ذلك على خلاف الفرضية العلمية التي قدّمها داروين ، لكن لا يمكننا أن ننكر أن داروين و هو يأسس لنظريته في التطور إستمد أفكاره من العديد من العلماء و من بينهم :

1/- **لامارك** : عرض لامارك في كتابه الفلسفة الحيوانية ، النظرية اللاماركية* كما يطلق عليها و هي أول نظرية شاملة للتطور الإرتقائي للعالم الحي من حيث رأى بأن التغيرات في البيئة تجعل الأجهزة الحية تفرز صفات جيدة تنتقل بالوراثة ، و عنده أن المادة الحية تنشأ من المادة غير الحية بمساعدة سوائل مادية خاصة و في البداية تكون أبسط الأشكال و منها تتطور تدريجيا لأشكال أكثر تعقدا ، "المادة حسبها غير قادرة على الدفع الذاتي و أن ما هو حي و ما هو غير حي يسير وفق غرض فطري إلهي"¹ ، و قد إستخدم داروين في نظريته في التطور والإرتقاء فكرته في دور البيئة و الوراثة في الإرتقاء ، و من الشخصيات العلمية البارزة التي تأثر بها داروين كذكر أيضا .

2/- **الفردرسل والاس** : **alfred russel wallace** ** : تأثر داروين بكتاب والاس حول القانون الذي ينظم ظهور الأنواع الجديدة ، قد قام بأبحاثه في شواطئ أمريكا الجنوبية وفي جزر مالايا في المحيط الأطلسي ، و هناك ظهرت فكرة كانت سببا في تغيير نظرة البشرية إلى نفسها و "قد أشار إلى أن المخلوقات التي تبدي تكيفا مع بيئتها هي التي تستطيع إدامة حياتها"² . أي أنه كان يشير إلى وجود صراع بين الأحياء في الطبيعة و عندما طرح داروين نظريته كان يستند إلى مثل هذه الأطروحات .

3/- **توماس روبرت مالتوس** *** : **thomas robert malthus** : عندما نشر القس الإنجليزي مالتوس كتاب أصول الإقتصاد السياسي إستقبله داروين بكثير من الإستحسان والقبول ، و كان له الأثر الأكبر عليه حين عمّم مبدأ الصراع في الطبيعة ، و كان من أبرز

* يطلق هذا المصطلح lamarckism على نظرية عالم البيولوجيا لامارك في التطور العضوي و هي أول نظرية عامة في التطور خلال العصر الحديث كان في بداية حياته باحث في علم النبات ثم باحثا في علم الحيوان .

¹ روزنتال ،ب، يودين ، الموسوعة الفلسفية ، ص 406 .

** ألفردرسل والاس ، (1823 1913)، عالم طبيعة بريطاني و مستكشف جغرافي و عالم أنثروبولوجياو عالم أحياء .

² محمد فتح الله كولن ، حقيقة الخلق و نظرية التطور : تر: أورخان محمد علي ، ط2 ، (القاهرة ، دار النيل للطباعة و النشر ، 2006) ، ص406 .

*** توماس روبرت مالتوس (1766 1834)، باحث سكاني و إقتصادي سياسي إنجليزي

أفكار مالتوس هو أن العوامل التي تبقى السكان تحت السيطرة و تحدّ من زيادتهم و تحافظ على موارد المال و موارد الغذاء هي الحروب و المجاعات و الأمراض . و قد قبلت أفكاره بشكل واسع و ساندتها المفكرون و الأرستقراطيون و هو ما إتضح جليا في إجتماع أعضاء الطبقات الحاكمة لمناقشة مشكلة السكان ، و إبتكار طرق لزيادة معدّل الوفيات للفقراء مثل بناء قرى بجانب المستنقعات لنشر وباء الطاعون ، "بالإضافة إلى إرغام الأطفال بالعمل في المناجم ساعات طويلة ، مما أدّى إلى إزهاق الكثير من الأرواح البريئة" ¹ .

و إعتبر مالتوس أنه لا بد من وجود عوامل إعاقاة طبيعية أو إصطناعية لإيجاد التوازن بين التزايد السريع للسكان على حساب موارد الغذاء على الأمراض ، و هذا ما رأى داروين أنه يصلح لإكتمال نظريته فإذا كان هذا صحيحا بالنسبة لكافة الكائنات كما إفترض ، معنى ذلك أن الطبيعة تعمل كقوة إنتخابية تقضي على الضعيف ليتكون نوع جديد من الأحياء الذين يتوافقون مع بيئتهم ، و "بهذا الإيحاء المالتوسي وجد داروين ضالته و تكوّنت لديه أخيرا كما يقول نظرية يمكن أن يعمل على هديها" ² .

إنطلاقا من هذا راح داروين يجمع مختلف الآراء و الأفكار من مختلف المصادر و يرتبها بشكل أكثر حيوية ، و أكثر قربا من النظرية العلمية ، و لهذا إستكمل نظريته و أعاد نشرها في كتابه الرئيسي عن أصل الأنواع بواسطة الإنتخاب الطبيعي أو بقاء الأجناس المفضلة في الصراع من أجل البقاء . و قبل أن نتطرّق إلى نظريته عن الإنتخاب الطبيعي إرتأينا أن نقدّم أولا فكرة مهمة في كتابه الشهير نشأة الإنسان تتكلّم عن النشوء الذاتي لكل الموجودات من جمادات و نبات و حتى الإنسان .

ب- نظرية النشوء الذاتي :

إدّعى داروين و مؤيدوه أنّ كل مافي الكون من مجرات و نجوم و كواكب و حيوانات و نباتات و إنس قد تشكّلت نتيجة إتّحاد ذرات الهيدروجين التي إنتشرت في الفضاء الفسيح بعد الانفجار

¹ صالح الهبيلي ، التطور نظرية تاريخية علمية ، ط1 ، (الرياض ، المملكة العربية السعودية ،الدار العربية للطباعة و النشر، 2015) ، ص40 .

² عبد المنعم حنفي ، الموسوعة الفلسفية ، الجزء الأول ، ط2 ، (القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 1999) ، المادة : مالتوس .

الكبير ، ثم راحت جزيئات هذا العنصر (بروتون ، نوترون ، إلكترون) تتحد بتأثير الطاقة وبفعل هذه الطاقة الهيدروجينية الكبيرة راحت ذرات العناصر الجديدة تتحد ببعضها فأعطت العديد من الموارد و المركبات ، تشكلت مليارات المجرات في كل مجرة مليارات النجوم والكواكب والأقمار و بالأسلوب نفسه بردت الأرض تشكل الماء حولها على شكل غيوم هائلة و ثلوج تراكمت في أعالي الجبال ، بعد ذلك هطلت الأمطار و ذابت الثلوج التي إنسابت كسيول جارفة جرفت معها الكثير من العناصر و الموارد الموجودة على قشرة الأرض و "باتحاد الماء والهيدروجين تشكلت مصادفة الأحماض الأمينية التي حولتها الطبيعة * و بطريقة مجهولة إلى خمائر حية ** ذات نشاط حيوي كبير ¹، و إستناد لهذا إنّ الحياة الأولى للإنسان و الحيوان والنبات بدأت على ظهر الأرض بجرثومة أو جراثيم قليلة ، تحولت إلى حيوان صغير ثم إرتقى إلى حياة حيوانية بدائية إلى حيوانات أكبر فأكبر ، ريشية و مجنحة ثم تحولت إلى حيوان صغير شبيه بالإنسان ، ثم كانت "نهاية هذا التطور إنساناً أولاً لا يعقل و لا يدرك و لا يتكلم ، ثم إنساناً كاملاً و هو المشهود اليوم" ².

إنطلاقاً من هذا نشأ الكون و نشأ الإنسان و بعدما كان و لا يزال الإنسان كائناً متميزاً عن سائر الكائنات الحية المندرجة في الفصائل الأخرى بعقله و ذكائه جاء داروين ليضع هو وسابقوه الإنسان ضمن الرتبة المسمّاة عند علماء الطبيعة بالـ **الرئيسيات** أو **المقدمات (primates)** و هي في "الحيوانات رتبة من الثدييات ينتسب إليها القرد و الإنسان و بذلك أدّرج الإنسان ضمن التصنيف الحيواني ³ . و أقرّ بفكرة السلف المشترك هذه الأخيرة التي تقوم على أن الكائنات

* يعتبر الداروينيون أن المادة التي هي أصلاً تقتصر إلى الحياة ، بل و لا تعترف بالقوانين التي تطبق عليها أنها تملك قوة و ذكاء يمكنها من خلق كائنات حية معقدة التركيب ، راقية الإدراك **للمزيد ينظر** : هيثم طلعت سرور ، موسوعة الرد على الملحدّين ، المجلد الأول، دون ط ، (القاهرة ، مصر، دون تاريخ النشر) من موقع haithem-srour@yahoo.com و montaqid@yahoo.com ** يعتبر العلماء البيولوجيون أن معظم الكائنات الحية تتطور من خلية فريدة و يبدو أن تلك الخلية و هبت القدرة على التكاث و مواءمة نفسها على أشكال عديدة من الحياة ، و أنها أعدت لكي تعيش في كل ركن و شق على ظهر الأرض ، و يعتقد البعض أن هذا مصادفة من المواد الكيميائية و الماء سواء كانت ستصبح حيواناً رخواً أم إنساناً ، **للمزيد ينظر** : كريس موريسون ، **العلم يدعو إلى الإيمان** : تر: محمود صالح الفلكي ، أحمد الباقوري ، ط1 ، (بيروت ، لبنان ، دار وحي القلم ، 2013) ص 23 .

¹ محمد نبيل النشواني ، الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان و تنفيذ نظرية داروين ، ط1 ، (دمشق ، بيروت ، الدار الشامية ، دار القلم ، 2007) ص 7 .

² محمد أحمد باشميل ، الإسلام و نظرية داروين ، ط3 ، (بيروت ، دار الفتح للطباعة و النشر ، 1984) ، ص 31 .

³ جان شالين ، الإنسان نشوؤه و إرتقاؤه ، من نظرية داروين إلى مكتشفات العلوم الحديثة ، تر : الصادق قسومة ، ط1 ، (بيروت ، لبنان ، دار الفرات للنشر و التوزيع ، 2005) ص 18 .

الحية تتحدر من "سلف أصلي واحد أو عدة أسلاف قليلة تطورت بما سمّاه داروين النشوء والإرتقاء" ¹ .

و إستنادا لهذا يشترك البشر في "أصل واحد مع القردة و إنّ هذه الأسلاف بدورها قد إنحدرت من حيوانات أكثر بدائية" ² . لقد أقرّ داروين بالقرابة الموجودة بين الحيوان و الإنسان و ذلك موضّح في قوله :

من الغريب أنّ الإنسان مشيّد على نفس الطراز
أو النمط العام مثل الحيوانات الثديية الأخرى
إنّ العظام الموجودة في هيكله العظمي من الممكن
مقارنتها مع العظام المناظرة الموجودة في أي
قرد أو خفاش أو فقمة و الأمر كذلك فيما
يتعلّق بعضلاته أو أعصابه و أوعيته الدموية
و أحشائه الداخلية و كذلك المخ و هو الأكثر أهمية
فيها بين جميع الأعضاء الجسدية فإنّه يتبع نفس
القانون ³ .

الفروق الجينية بين الشمبانزي و الإنسان لا تتعدّى 2% "نحن نشترك معه فيما يقرب من 91% فالقوارق إذا قليلة جدا" ⁴ . و كما أنه ليس لدينا أي جزء من جهاز المناعة و الجهاز الهضمي أو الجهاز الدموي إلّا و هو موجود لدى أفراد الشمبانزي ، و لا توجد عظمة في جسد الشمبانزي لا يشاركه فيها الإنسان ، وليس من أي مادة كيميائية في مخ الشمبانزي لا يمكن العثور عليها في مخ الإنسان مع بعض الاختلافات ، و بهذا الشكل إن التطابق الموجود في "التركيب العام و في التركيب الدقيق في الأنسجة و كذا التكوين الكيميائي بين الإنسان والحيوانات الأخرى خاصة القردة المحصورة على الشكل الإنساني هو تطابق حميم جدا" ⁵ .

¹ أن جوجر ، دوجلاس إكس ، كيسي لسكين ، العلم و أصل الإنسان ، تر : مؤمن الحسن ، موسى إدريس ، ط1 ، (الإسماعيلية ، مصر دار الكاتب للنشر و التوزيع ، 2014) ، ص 4 .

² جوناثان ويلز ، أيقونات التطور علم أم خرافة ؟ تر: موسى إدريس ، أحمد ماضي ، محمد القاضي ، ط1 ، (الإسماعيلية ، مصر دار الكاتب للنشر و التوزيع ، 2014) ، ص 9 .

³ تشارلز داروين ، أصل الأنواع ، تر: مجدي محمود المليجي ، ط1 ، (القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2004) ، ص 91 .

⁴ أميمة خفاجي ، أصل الإنسان و سقوط نظرية داروين ، ط1 ، (القاهرة ، مطبعة سجل العرب ، 2002) ، ص 151 .

⁵ تشارلز داروين ، أصل الأنواع ، ص 91

إنطلقت إذا الداروينية من التشابه الموجود في الطبيعة حيث ترى أن بعض الأعضاء الظاهرة الموجودة في بعض الأحياء الراقية هي آثار عن أسلاف بدائية كانت مفيدة لكنها أصبحت بلا فائدة بعد قطع هذه الأحياء مراحل تطورية معينة ، فعلى سبيل المثال ، يقول داروين :

" إن وجود قليل من الشعر المتناثر
فوق الجزء الأكبر من جسم الرجل
وزغب شعر ناعم على ذلك الخاص بالمرأة
لدليل قاطع أنها آثار باقية من الغطاء
الطبيعي المشتق من الشعر الخاص
بالحيوانات الدنيا " ¹.

إن وضع داروين الإنسان على هامش الحياة ، أعجب بيتر سينجر* **Peter singer** المختص في أخلاقيات البحث الحيوي ، من جامعة برنستون (و هو مناصر لقتل الأجنة المعوقين) ، لذلك صرح قائلاً:

"إن الداروينية تزودنا بأسس هذه النظرة
الدونية للكائن البشري ، كل ما علينا هو
التمسك بداروين ، فقد أظهر في القرن
التاسع عشر أننا مجرد حيوانات ، لقد
إعتقد البشر أنهم جزء خاص من الخلق
أو أن شيئاً سحرياً يفصل بيننا و بين
الحيوانات و بهذا غاصت نظرية داروين
إلى أعماق العقلية الغربية لتقرر مكانة
نوعنا في هذا العالم " ².

الإنسان في نظر داروين قابل لأن يتلقى من الحيوانات الدنيا أو ينقل إليهم بعض الأمراض المعنية كداء الكلب مرض الجدري ، و هذه الحقيقة في نظره تثبت المماثلة الحميمة الخاصة

¹ تشارلز داروين ، أصل الأنواع ، ص 111 .

* بيتر سينجر ، (يوليو 1946) ، هو فيلسوف أخلاقيات أسترالي ، شغل منصب بروفييسور إيراديليو ديكامب للأخلاقيات الحيوية في جامعة برنستون ، وهو أستاذ في مركز الفلسفة التطبيقية و الأخلاقيات العامة في جامعة مليورن ، له العديد من المؤلفات أشهرها كتاب تحرير الحيوان .

² Quoted in johnn hari , " peter singer " , some people are more equal than others , the independent .july-1-2004 .

بأنسجتهم و بدمائهم و الموجودة في كل من تركيبهم و تكوينهم ، و حتى مجمل العملية الخاصة بأكثر الوظائف أهمية ، ألا وهي تكاثر النوع هي مماثلة بشكل واضح في جميع الحيوانات الثديية، بداية من أول فعل خاص بالتودّد و المغازلة بواسطة الذكر إلى الولادة و الرعاية للصغار، ليس هذا و حسب بل تعدّى داروين الجانب البيولوجي إلى الجانب الإنساني حينما حاول جعل التعبير - الذي يعتبر في الأصل خاصية إنسانية فريدة - جزءا من حالة التطور التي يتعرض لها الإنسان و الحيوان و قد عبّر عن الطبيعة الكونية للتعبير بالوجه ، واصفا إياها بقوله :

"يعبّر الصغير و الكبير من بني البشر
و الحيوانات باختلاف أنسالهم و سلالاتهم
عن أية حالة ذهنية بالحركات دائما"¹ .

يعتبر داروين الصوت من الوسائل المعبّرة سواء عند الحيوان أو الإنسان و يضرب لنا مثلا عن " غناء الطيور" و هذا يدل على أن الحيوان يصدر أصواتا موسيقية فهو يتمتع بنوتات موسيقية ، مماثلة تماما لأصوات موسيقية معينة و هو يصعد السلم الموسيقي و ينزله بنصف نوتة ، و هكذا فإن القرد هو الحيوان الوحيد من بين جميع الثدييات خشنة الطباع الذي يقال عنه أنه يغني و في هذا الصدد يقول داروين :

"من خلال هذه الحقيقة و في أنواع مماثلة
أخرى من الحيوانات يمكنني الإستدلال
أن أسلاف الإنسان ربما ترنّمت بنوتات
موسيقية قبل أن تكتسب القدرة على النطق
المتفصل (الفموي) ، فالإنسان إذا قد
إنحدر من بعض الأشكال الحيوية الأقل
رقيا"².

¹ تشارلز داروين، التعبير عن العواطف والإنفعالات عند الإنسان و الحيوان، تر: محمد عبد الستار الشخيلي، ط1، (بيروت ، لبنان ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2010)، ص 15 .
²المصدر نفسه، ص ص 103 102 .

هذه التحولات ظهرت بعد صراع مرير بين هذه الكائنات و بين عوامل الطبيعة و تقلباتها ، و بين نفس هذه الكائنات الحية بعضها مع بعض عبر آلاف القرون من أجل البقاء و التطور ، وإنطلاقاً من هذا فـنظرية التطور تعلن نهاية الإيمان التقليدي بأن خلق العالم قد رتب لغاية أو هدف ، إن كل ما نراه من "التصميم و الترتيب و التعقيد في الحياة و الغائية الغامضة وراء الأنظمة الحية هي مجرد نتيجة عمليات عشوائية عمياء تسمى **الانتقاء الطبيعي**"¹ ، يقول داروين :

"بعد إكتشاف قانون الانتخاب الطبيعي
ضعفت عندي فكرة أن الكون مخلوق
لغاية و وفق خطة معينة ، تلك الفكرة
التي كانت تبدو من قبل قوية " ².

إنطلاقاً من هذا قد خلص داروين إلى أنه هناك كفاح من أجل البقاء بين أفراد النوع الواحد وتأكد من وجود تغيير فردي في داخل النوع و أن الأفراد ذات التغيير الأكثر ملائمة يكون لها حظ أوفر في البقاء ، و أن بعض هذه "التغيرات ينتقل للخلف و يحتفظ بها في الأجيال التالية وهذا هو مبدأ الانتخاب الطبيعي"³ ، الذي يعتبر نتيجة آلية للصراع و التنافس من أجل البقاء الذي ينتصر فيها من هو أجدر و أقوى و أقدر على البقاء .

ج - نظرية التنافس من أجل البقاء :

بالنسبة لداروين و في كتابه أصل الأنواع التنافس من أجل البقاء نتيجة حتمية للمعدل العالي للزيادة الذي تميل إليه جميع الكائنات العضوية ، إن أعدادهم سرعان ما سوف تصبح كبيرة بشكل مغالي فيه ، بما أنه يتم "إنتاج أفراد أكثر مما يحتمل أن يعيش لابد أن يوجد تنافس من

* الانتخاب الطبيعي ، أو الانتقاء الطبيعي selection naturelle هو عند داروين نتيجة آلية للتنافس الحيوي الذي يؤدي إلى بقاء الأقوى و الأصلح والأحقق الانتخاب عملية إنتقاء أو إصطفاء تؤدي إلى حفظ بقاء الأفراد المتصفين بأكمل الصفات إما على الإطلاق و إما بالقياس على غيرهم ، و هو قسمان : إرادي و طبيعي ، أما الانتخاب الإرادي selection volontaire هو الإنتقاء الموجه إلى تحقيق غاية معينة ، هو في علم الفلاحة إنتخاب أحسن البذور للزراعة أو أكمل الحيوانات للإنسان و هو في التوجيه المهني إجراء بعض التقنيات النفسية و التربوية لإنتخاب أصلح الأشخاص لبعض الوظائف ، **للمزيد ينظر** ، جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، الجزء الأول ، المادة : الانتخاب الطبيعي .

¹ مايكل دانتون ، التطور نظرية في أزمة ، ص ص 16 ، 17 .

² francis darwin , (ed) .the anthobiography of charles darwin and selected .P.,57.

³ محمود بن محمد المختار الشنقيطي ، الداروينية حين تتحزم بالقرآن ، ط1، (المملكة العربية السعودية ، مركز الفكر المعاصر ، دار الوعي ، 2005) ص 9 .

أجل البقاء في كل حالة "1، إما بين أحد الأفراد مع فرد آخر تابع لنفس النوع أو الأفراد التابعين لنوع مختلف أو مع الظروف المادية للحياة - و ما هذا إلا تطبيق لقانون مالتوس كما ذكرنا سابقا - و حتى بالنسبة للإنسان البطيء التناسل قد تضاعف تعدادة خلال خمسة و عشرون عاما ، وإذا إستمر في هذا المعدل ففي "خلال أقل من ألف عام إنه لن يكون هناك بالمعنى الحرفي أي مساحة لوقوف ذريته"2.

إن سهولة الإعاشة و إتساع المكان سيؤدي إلى تضاعف السكان بشكل سريع لذلك على الدول أن تعمل على تحديد الزواج ، و إعتياد اللجوء إلى الإجهاض و إشاعة العنف و تشجيعه بشكل مقصود على أساس أنه وسيلة للمحافظة على عدد السكان من الإرتفاع ، و قد يصل الحد إلى "قتل الأطفال الرضع و خاصة الإناث من الأطفال كما قد شاع بين البدائيين الذين لم يستطيعون إعالة جميع الأطفال المولودين "3، إن كمية الغذاء و المناخ يلعبان أيضا دورا مهما في تحديد متوسط العدد الخاص بنوع ما ، يؤثر المناخ بشكل رئيسي على نقصان الغذاء و هذا ما يجلب أكثر الصراعات شراسة بين الأفراد ، سواء أكانت تابعة لنفس النوع أو تابعة لأي نوع من الأنواع المختلفة التي تعيش على نفس النوع من الغذاء ، يقول داروين موضحا ذلك :

"إنّ التنازع من أجل الحياة يكون أكثر
شراسة بين الأفراد التابعين لنفس
النوع ، إنّ الأنواع التي تتشابه في
العادات و البنيان و دائما في التركيبة
يكون فيها التنازع بشكل عام أكثر
ضراوة إذا ما حدث تنافس بين بعضها
بعض " 4.

هناك نوع من الإنتقاء يسميه داروين بال**إنتقاء الجنسي** ، يعتمد على تنازع الأفراد التابعين لنفس الجنس الواحد ، و هو عادة عند الذكور من أجل الإستحواذ على الشق الجنسي الآخر ،

1 تشارلز داروين ، أصل الأنواع ، ص 139 .

2 المصدر نفسه ، ص 140 .

3 تشارلز داروين ، نشأة الإنسان و الإنتقاء الجنسي ، تر : مجدي محمود المليحي ، المجلد الأول ، دون ط ، (القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2005 ، ص ص 155 ، 157 .

4 _____ ، أصل الأنواع ، ص 157 .

والنتيجة هي ليست موت المنافس الذي يفشل و لكنها تنحصر في إنجاب القليل من الذراري أو عدم الإنجاب و "عادة إن الذكور أكثر قوة و أفضل ملائمة لشغل أماكنهم في الطبيعة و ترك خلفهم معظم الذراري"¹.

إنّ قانون التنارع من أجل البقاء عند داروين يؤكد أن المخلوقات في نزاع شديد فيبين الأنواع حرب ضروس ، ترى أسودا تفترس ذئبا و ذئبا تفترس خرفانا و إنسانا يفترس كثيرا من الحيوانات البرية و البحرية ، أضف إلى ذلك أنّ النوع الواحد قد يتنازع مع بعض عند "الإزدحام على شيء يكفي لسدّ رغباتها جميعا ، كما نرى من تنازع القطط على قطعة اللحم و كما نرى من تنازع الإنسان مع الإنسان"².

ووفقا لهذا يتبين لنا أن الانتخاب الطبيعي آلية للإبقاء على التنوعات المفيدة و تصفية التنوعات الضارة ، يضيف الاختلاف على بعض الأفراد ميزة على غيرهم و ذلك في طريق الصراع من أجل البقاء ، و بذلك تكون لديهم فرصة للتنازل و البقاء و تلك "الكائنات بطبيعة الحال هي التي تتلائم و بيئتها الجديدة لذلك فالتطور يحدث نتيجة للإختيار الطبيعي"³ و التغير في الأنواع يحدث بإنقراض الأفراد الضعيفة و التي لا تلائم البيئة التي تعيش فيها و تحيط بها وبذلك تنقرض و لا تورث صفاتها ، في المناطق الباردة مثلا لا تستطيع أن تحي هناك إلا الحيوانات ذات الفراء السميك و أما الحيوانات الأخرى تضعف تدريجيا و تموت بذلك و تنقرض إذا ظاهرة الانتخاب الطبيعي التي إعتدبها داروين تعني أن الطبيعة إختارت كائنات معينة لتعيش و تتنازل و تتكاثر و لتبقى و ذلك موضح في قوله :

"إنّ الثمار ذات الجلد الناعم تعاني بصورة أكبر
بكثير من أحد أنواع الخنافس و هي خنفساء
الفاكهة عن الثمار المغطاة بالزغب ، و إنّ

¹ تشارلز داروين ، أصل الأنواع ، ص 170 .

² صالح إسحاق بامبا صالح ، "الإلحاد و آثاره في الحياة الأوروبية الحديثة" ، رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص الأولى الماجستير ، 1401 هـ ، جامعة مملكة عبد العزيز ، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية .

³ ماهر خليل ، سقوط نظرية داروين في ضوء الإكتشافات العلمية الحديثة ، دون ط ، (القاهرة ، المركز العربي للنشر و التوزيع ، دون تاريخ النشر) ، ص 46 .

البرقوق الأرجواني يعاني بصورة أكبر بكثير من مرض معين من البرقوق الأصفر ، بينما يوجد مرض آخر يهاجم الخوخ ذو اللب الأصفر بصورة أكبر من الخوخ الذي لّبه من لون آخر و إن كانت هذه الاختلافات بسيطة مع كل المساعدات الخاصة بالمهنة إلا أنها تمثل اختلافا كبيرا في زراعة الضروب العديدة المختلفة إنه من المؤكد في البيئة الطبيعية و عندما تكون الأشجار مضطرة إلى التنازع مع أي أشجار أخرى و مع حشد من الأعداء فإن هذه الاختلافات هي التي سوف تحسم تماما أي نوع من الضروب سواء أكان ناعما أو ذا زغب أصفر كان أو أرجواني اللب هو الذي سوف يتفوق" ¹.

إنّ ملاحظة داروين لوجود هذه الاختلافات و في كل الأنواع ، بعض الأفراد أكبر وبعضها أصغر ، بعضها أسرع و بعضها أخف في اللون و هكذا ، فسّر هذا بأنّ مخزونات الطعام لا يمكنها أن تدعم كل الكائنات التي تولد ، فالكائنات التي يوفّر لها إختلاف تصادفي ، ميزة في الصراع من أجل الحياة تميل إلى البقاء على قيد الحياة و التكاثر ، متفوقة على الكائنات الأقل تفضيلا ، إذا كان هذا" الإختلاف قابلا للتوريث فإنّ ميزات هذا النوع قد تتغيّر عبر الزمن و قد تحصل تغيرات هائلة عبر فترات طويلة من الزمن" ².

قد اشتغل داروين بدراسة المجموعات الحيوانية و بخاصة أشكال مناقير الطيور ما عرف فيما بعد بحساسين داروين ، و إكتشف أن هذه المناقير قد تكيفت مع مكان وجود غذائها وكذلك لفت إنتباهه حافر الحصان و لون الفراشة ، و توزع الحياة حول العالم و حول العصور و بهذا بين كيف لنوع من الأنواع أن يتطور إلى نوع آخر عن طريق عملية الانتخاب الطبيعي ،

¹ تشارلز داروين ، أصل الأنواع ، ص 167 .

² مايكل بيهي ، صندوق داروين الأسود ، تحدي الكيمياء الحيوية لنظرية التطور ، تر : مؤمن الحسن ، أسامة إبراهيم ، زيد الهبري ، ط1 ، (مصر ، الإسماعيلية ، دار الكتاب للنشر و التوزيع ، 2014) ، ص 14 .

كل جيل جديد من نوع ما يشمل صغاراً يختلفون عن آبائهم في عدّة وجوه ، و تنشأ هذه الاختلافات عن أخطاء متنوعة في عملية إنتقال الوراثة ، وقد تكون بعض هذه "التغيرات ذات أثر ضار على الكائن بينما قد يمكنه بعضها الآخر من أن يستمر في حياته بشكل أفضل من زملائه" ¹ ، بل و من أبنائه و مثل هذه التوزيعات تكون لها قيمة خاصة في بيئة متغيرة لا تثبت على حال ، إذ أن الحيوانات التي تمتلكها ستكون هي التي تتحمل منافسات الحياة العنيفة وتنتقل إلى أبنائها و بالتالي صفاتها الجديدة الأكثر ملائمة و كفاءة و سيتعرض هؤلاء الصغار بدورهم لطفرات معينة تساعدهم في حياتهم بشكل أفضل .

تقوم الداروينية الأصل كما وردت في كتاب أصل الأنواع و كتاب نشأة الإنسان على أربعة فرضيات أساسية أقام عليها داروين تفسيراته لنظرية التطور هي :

1/- التطور موجود لأن العالم " قابل للتغيير و الأجناس قابلة للتحول بشكل مستمر " ² ، وقد جعل داروين الإنسان آخر حلقة في سلسلة الأحياء التي بدأت منذ نشوء الكوكب .

2/- إرجاع أصل الإنسان إلى "القردة الإفريقية و بخاصة الشمبانزي" ³ ، إلى جذع تطوري مشترك واحد فالإنسان ناشئ من صورة دنيا هي أقرب إلى القردة العليا منها إلى أي صورة أخرى من صور الأحياء .

3/- التنافس من أجل البقاء ، و البقاء للأصلح و الأقوى .

4/- العشوائية الكلية لسيرورة "التطور و نشوء الأنواع بواسطة الإنتقاء الطبيعي" ⁴ . إنطلاقاً من هذا إن جميع تنوعات الحياة على كوكب الأرض قد نتج عن عمليات طبيعية و عشوائية .

إن "العقيدة المركزية للداروينية هي فكرة القدرة الخلاقة المزعومة للإنتقاء الطبيعي" ⁵ ، هذه الفكرة التي إنتشرت إنتشاراً واسعاً و أخذت تستقطب أفكار العلماء و المفكرين حتى أنه في سنة

¹ جون -ج- تايلور ، عقول المستقبل ، تر: لطفي عظيم ، دون ط ، (الكويت ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، 1978) ، ص 7 .

² هشام طالب ، بناء الكون و مصير الإنسان ، نقض لنظرية الانفجار الكبير ، ط1 ، (بيروت ، لبنان ، دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع ، 2006) ، ص 627 .

³ هاني خليل رزق ، أصل الإنسان ، التفسير الدارويني في ضوء المكتشفات الحديثة ، ط1 ، (دمشق ، دار الفكر ، أفق معرفة متجددة، 2010) ، ص 28 .

⁴ هشام عزمي ، التطور الموجه بين العلم و الدين ، ط1 ، (القاهرة ، دار الكتاب للنشر و التوزيع ، 2006) ، ص 6 .

⁵ ستيفن ماير ، شك داروين ، النشوء المفاجئ لحياة الكائنات و حجة التصميم الذكي ، تر: موسي إدريس ، مؤمن الحسن و آخرون ، ط1 ، (الإسماعيلية ، مصر ، دار الكاتب للنشر و التوزيع ، 2016) ، ص 23 .

1870 أخذت نظرية التطور تنتشر في كل صقع تقريبا ، و في سنة 1880 ، " كان نفوذ المذهب الدارويني عاما و مطلقا " ¹، قد تمتعت هذه النظرية بإستحسان عالمي بين المدونين والصحفيين العلميين و ثلّة من أشهر الملحنين بإسم العلم كنظرية عظيمة ، ومن العلماء الذين أيدوا نظرية التطور جورج غايلور دسيمبسون **George Gaylor disimpson** * ، الذي قال فيما نقله عنه الأستاذ وحيد الدين خان :

"إن نظرية النشوء و الإرتقاء حقيقة
ثابتة أخيرا و كليا ، و ليست بقياس
أو فرض بديل صيغ للبحث العلمي". ²

التطور حسبهم بالإنتخاب الطبيعي سيكون سهلا للحصول على عالم مليء بالحياة ، و الله في تلك الحال لن يحتاج إلى عمل شيء ، فلو كان هناك إله لا "يعتقدون أنه شرير ، و أسوأ ما يمكن أن يقولوا عنه أنه ضعيف إنتاجيا " ³، يقدم أنصار الداروينية التطور لا كنظرية يمكن مناقشتها و الحوار بشأن أدلتها و إنما كمسلمة لا ينكرها إلا جاهل متعصب ، لأنها باتت حاسمة و محسومة معا، حاسمة في الدلالة على صحة نموذج التطور الدارويني و محسومة "بإجماع العلماء المعبرين على صواب تلك الأدلة و على صحة إطار التفسير الدارويني ككل" ⁴.

إنطلاقا من هذا أصبحت تقدم مناهج الجامعات و المدارس العليا العقيدة التطورية دون مبرّر و لا تعترف بوجود إنتقادات علمية مهمّة لها ، لكن بالرغم من هذا إلا أن هناك عددا كبيرا من الحقائق لا تتسجم مع الداروينية و هذا ما أدى إلى ظهور بعض الشكوك و بعض المقاومات و علامات التصدع ، فقد إكتسبت هذه النظرية أهميتها الكبيرة و حساسيتها البالغة من جهة إحياءاتها و تداعياتها الدينية المباشرة ، و من جهة تأثيرها في شكل المعرفة الإنسانية و تصريف السعي البشري ككل ، و هذا ما أدى بنا إلى التساؤل عن ما مدى مصداقية هذه النظرية القائمة

¹ محمد علي يوسف ، مصرع الداروينية ، ط1 ، (جدة ، المملكة العربية السعودية ، 1983) ، ص 65 .

* جورج غايلور دسيمبسون (1902 1984) كان عالم حفريات أمريكي ، من أكثر العلماء تأثيرا في القرن العشرين ، أحد المشاركين الرئيسيين في الإصطناع التطوري الحديث ، كان خبير في الثدييات المنقرضة و هجرتها للقارات .

² وحيد الدين خان ، الإسلام يتحدى ، تر : ظفر الدين خان ، دون ط ، (المملكة العربية السعودية ، مكتبة الرسالة ، دون تاريخ النشر) ، ص 49 .

³ ريتشارد دوكينز ، وهم الإله ، تر: بسام البغدادي ، ط1 ، (أيار ، 2009) ، ص 53 .

⁴ ويليام ديمبسكي و جوناثان ويلز ، تصميم الحياة ، إكتشاف علامات الذكاء في النظم البيولوجية،تر: موسى إدريس ، مؤمن الحسن ، محمد القاضي، ط1، (الإسماعيلية ، دار الكاتب للنشر و التوزيع ، 2014) ، ص 1 .

على فكرة الانتخاب الطبيعي ؟ و هل أثبت العلم الحديث صدق فرضية التطور ؟ و بناء على هذا هل فرضية التطور نظرية علمية أم إيديولوجية ؟

3/- قراءات نقدية لنظرية التطور:

مما لا شك فيه أنّ داروين عالم فذّ و قد قام بإنجاز عمل علمي عظيم ، إلا أنه لم يسلم من النقد و قد حاولنا ذكر بعض النقاط المهمة الخاصة بالانتخاب الطبيعي و هي على سبيل المثال لا الحصر :

- لم يفهم داروين العلاقة بين الطبيعة و الإنسان لقصور نظريته و قلة أدلته أكبر من شأن التنازع من أجل البقاء ، وقد حال هذا بينه و بين رؤية التعاون بين الإنسان و الحيوان و النبات الذي هو أوسع و أكبر من التنازع .

- لقد تبين فساد نظرية التطور حين قال مثلا أن الزرافة حين أعطتها الطبيعة إرتفاع القامة جعلتها هي الأقوى بينما ظلت الحيوانات الأخرى تقاسي الجوع فهلك بعضها و إندثر ، و إذا كانت الزرافة التي يبلغ طولها ثمانية أقدام هي نتاج الإصطفاء الطبيعي ، فكيف يكون الحال مع الخروف الذي لا يزيد طول رقبتة عن بضع بوصات ، أليست الزرافة و النعجة كلاهما ينتميان إلى المملكة الحيوانية وقد تولد كلاهما من أصل واحد ، فكيف يمكن تفسير بقاء كل منهما أصلح للبقاء من الأخرى ، إحداهما بسبب طول عنقها و الأخرى بسبب قصر ذلك العنق ؟¹ و من البديهي أن الحيوانات كما النباتات المتروكة لذاتها في الطبيعة و التي تظهر فيها عاهة مدعوة للزوال مثل غيرها ، كما أن الموت لا يفرق دائما بأن يقتل الضعفاء و يتبقى الأقوياء كما يريده داروين ، إننا لا نميز في مرحلة معينة للتطور الأسباب التي من أجلها يستطيع قسم أن يتطور عاديا و الآخر لا ، "إذا كانت الديناصورات تمثل مظهرا ساطعا من مظاهر نجاح التطور لماذا إذن إندثرت قبل خمسة وستين مليون سنة رغم ضخامتها ؟"².

¹ أنور الجندي ، سقوط نظرية داروين في دائرة الضوء ، دون ط ، (القاهرة ، دار الإعتصام ، دار العلوم للطباعة ، دون تاريخ النشر) ، ص 1 .
² إيريك بوكتو ، هل الديناصورات مثال حي لفشل التطور ؟ ، تر: رشيد برهون ، ط1 ، (الإمارات ، هيئة أبوظبي للسياحة و الثقافة ، كلمة ، 2012) ، ص 41 .

- بالإضافة إلى أنه في الصراعات بين الحيوانات لا ينتصر دائما من هو أقوى أو مجهز أفضل، إذ أنه بحسب مصادفة الظروف تختلف نسب المنتصرين ، و الاختيار الجنسي كذلك معرض للنقد فإختيار الأنثى للذكر الأقوى هي رؤية غير حقيقية لأن صدفة اللقاءات تلعب دورها أكثر من التفضيلات الفردية ¹ .

- إذا كان البقاء للأصلح لماذا يكون مرضى فقر الدم المنجلي (البرداء) و مرضى داء هنتغتون و متخالفى الزوجات للإعراضيين (أي أن أحد الأبوين يحمل الجين المعيب) ، يكونون إذا أكثر خصوبة من متوسط الأفراد الأصحاء ، كان على الإنتقاء الطبيعي و وفقا لمبدأ البقاء للأصلح أن يتسبب " في إندثار و ليس في زيادة خصوبة هؤلاء المرضى لأنهم ليسوا الأصلح " ².

- لقد عجز داروين تماما من الناحية العلمية عن إثبات كثير من فرضياته و لذا هناك حديث عن الحلقات المفقودة ، و هي تعني وجود مسافة بين القرد و الإنسان ، قد تبين لنا من الواقع أنه بين الإنسان و القرد فرقا بعيدا و لا يمكننا أن نحلم بأن الإنسان من سلالة قرده أو غيره ، بين البشر و القرده فروقات عظيمة في البيئة الجسدية و طريقة الحياة ، و رغم أن البشر و قرده الشمبانزي متشابهون إلى حد ما في الصدر و الأذرع إلا أنهما مختلفان جوهريا لا في حجم الدماغ فحسب و إنما في تركيب الحوض و القدم و الفك بالإضافة إلى الطول النسبي في الأعضاء و الأصابع ، كذلك يفتقر البشر عن القرده على نحو مهم في كثير من النواحي الشخصية الأخرى ، لدرجة أن كل عظم تقريبا في بدن الشمبانزي يمكن تمييزه على الفور في الحجم و الشكل عن نظيره البشري ، ناهيك عن " الاختلافات الموجودة في طريقة التنقل وأساليب حيازة الطعام و وسائل التواصل " ³ ، و ما يثبت الفرق الشاسع بين القرد و الإنسان ، هو قضية التزوير و الخداع التي تمت بمهارة من قبل أناس محترفين ، و تثبت تمويه بعض التطوريين

¹ موريس بوكاي ، أصل الإنسان بين العلم و الكتب السماوية ، تر: فوزي شعبان ، ط5، (الكويت، المكتبة العلمية، 1983) ، ص 42 .

² رزق هاني ، الجينوم البشري و أخلاقياته ، دون ط ، (دمشق ، دار الفكر ، 2007) ، ص ص 107-117 .

³ ديفيد بيرلنسكي ، وهم الشيطان ، تر: عبد الله الشهري ، ط2 ، (الرياض ، المملكة العربية السعودية ، مركز دلائل ، الدار العربية للطباعة و النشر ، 2015) ، ص 306 .

وأكاذيبهم و نقصد **جمجمة إنسان بلتداون** سنة 1912 ، هذه القصة التي أقامت دنيا العلم وأقعدتها ، حيث **أصرّ تشارلز داوون*** و هو أحد هواة التنقيب عن الآثار ، عندما عثر على جمجمة إنسان و عظام فك يعود إلى قرد الأورانج في إحدى الحفريات في بلتداون** على أن الفك يعود إلى تلك الجمجمة ، حيث قام بخداع أشهر العلماء ، تعود الجمجمة إلى إنسان معاصر أما عظام الفك هي لقرد أورانج بعمر عشر سنوات ، و الأسنان هي أسنان إنسان غرست بشكل إصطناعي وركبت على عظام الفك ، و ظهرت كذلك أن "العظام عوملت بمحلول ديكرومايت البوتاسيوم لإحداث آثار بقع للتمويه و إعطاء شكل تاريخي قديم لها"¹ ، من جهة أخرى يرى المعارضون "لنظرية التطور أنه لا يمكن لعملية عشوائية تعتمد على مجرد الصدفة أن تقود مثلاً إلى تشكيل بنية معقدة كالخلية الحية"².

إنطلاقاً من هذا لا يتم النشوء إلا وفق خطة إلهية حكيمة و أن الإصطفاء إذا حل محلّ الخلق الإلهي فإن الإنسان قد جرّد من روحه و غدى آلة صماء ، التفسير الحرفي لنظرية داروين يمنح المجال لتأليه "الإنسان و تمجيد قواه البدنية على إعتبار أنها الأساس الوحيد لسلوك الإنسان"³ ، يدل على عدم قدرة الداروينية على الإعتراف بوجود كائن حي أعلى يشرف على الحياة و الأحياء و يتدخل في الخلق و الإنشاء ، و بهذا هي فلسفة ترفض كل ما لا تستطيع الحواس أن تدركه ، ولا تؤمن إلا بهذا الواقع المتغير الصغير الذي يبصره العقل و يصل إلى ميدانه العلم .

إنّ عرضنا لبعض الملاحظات النقدية للداروينية لا يقلّل من شأنها بإعتبارها نظرية علمية قائمة بذاتها ، بل لنسلط الضوء على منطقة الخطر في نظرية داروين ، لا ينبع الخطر من كونها نظرية لم تبلغ من الناحية العلمية درجة الصحة و اليقين فداروين بنفسه إعترف بقصور

*تشارلز داوون (1864 1916) ، من أهم المنقبين عن الآثار ، محامي في مدينة سوساك بإنجلترا .

**بلتداون : مدينة تقع شرق ساسكس في إنجلترا .

¹ شمس الدين آق بلوت ، داروين و نظرية التطور ، تر: أورخان محمد علي ، دون ط ، (القاهرة ، مصر ، دار الصحوه ، 1910) ، ص 96 .

² دعاس ناصيف ، داروين بمنظار العلماء المؤيدين و المعارضين ، ط1 ، (بيروت ، لبنان ، دار الفارابي ، 2015) ، ص 355 .

³ أنور الجندي ، سقوط نظرية داروين في دائرة الضوء ، ص 14 .

مذهبه في كتابه أصل الأنواع * و إنما يتولد عن الإيمان بها في محيط قصار النظر و ضعيفي الإيمان من ميول تحليلية وجودية تربط الإنسان بها على الوجه من ميول بهيمية و نزعات تدميرية و تقطع صلته بما سواها على إعتبار أن الإنسان إنما هو في الأصل حيوان يصارع أخيه الإنسان و ينازعه لكي يفوز و يبقى ، و هو ما تلقّقه هتلر و طبقه على شعبه الذي نكلّ به أشدّ تنكيل ، و في هذا السياق يقول الأستاذ محمد قطب :

"إنّ عيب نظرية داروين ليس في الوقائع العلمية التي سجلها في كتبه و تابعه عليها أعوانه و مؤيدوه إنما في إحياءات تلك النظرية التي خلفت طابع الخطر ، لا في أفكار الجماهير وحدها بل في إتجاه بعض العلماء و شخصيات السياسة المشهورين " ¹ .

إنطلاقاً من هذا تحولت نظرية التطور من إطارها العلمي إلى إطار إيديولوجي حيث رسّخت لأفكار الواحدية المادية التي تذهب إلى أن العالم إن هو إلا "مادّة واحدة صدر عنها كل شيء ، مادة خالية من الغرض و الهدف و الغاية"²، و من الجائز أن داروين لم يكن يدري مدى الخطورة من وراء قوله بأنّ الأجناس كلها من أصل واحد و أن الإنسان من أصل حيواني ، لذا يجب عليه الإقتتال و الصراع ، لكنه فتح باباً خطيراً من أبواب الشبهة إلتنقها أعداء الإنسانية ، يقول هارون يحي :

"هذه النظرية تشكّل القاعدة التي يعتمد عليها كل الفلاسفة الملحدّين ، منذ أن أنكرت الداروينية حقيقة الخلق تخلّى الكثيرون عن أديانهم ، لذلك يعتبر دحض هذه النظرية واجباً يحتمّه علينا ديننا و تقع مسؤوليته على كل واحد منا " ³

* لقد كان داروين ذكياً بما فيه الكفاية ليعلم مدى القصور في نظريته ، و مدى عدم كفاية الأدلة لإثباتها فجعل في كتابه فصلاً مخصصاً للكلام عن نقاط الضعف و قال أن ما سيكشفه العلم كفيلاً بأن يكمل ما نقص من أدلته .

¹ محمد قطب ، الإنسان بين المادية و الإسلام ، ط9 ، (بيروت ، لبنان ، دار الشروق ، 1988) ، ص 19 .

² محمود بن محمد المختار الشنقيطي ، الداروينية حين تتحزم بالقرآن ، ص 15 .

³ هارون يحي ، الأمم البائدة ، تر : ميسون نهلوي ، أورخان محمد علي ، ص 143 .

بعد أن زرع داروين و أنصاره في عقول الناس فكرة نشوئهم من خلية بدائية كانت مستقرة في مستنقع قبل ملايين السنين ، و بعد أن أعطوا للطبيعة دورا فعالا كاذبا في تحريك سلم الإرتقاء و التطور و إختيارها للأصلح و إزالة السلالات الضعيفة ، حتى أنتجت الإنسان المتطور ، "سيطرت الأفكار المادية على العقول التي صارت تعتقد بمادية الإنسان و خضوعه لقوانين المادة و الطبيعة التي لا حدود لقدراتها و أنها قادرة على الخلق" ¹ .

قد دعت فرضيات داروين إلى حيوانية الإنسان و ماديته من خلال تصريحها بأن الظروف المادية البيئية التي وجد فيها كانت وراء وجوده و تطوره و بلوغه هذا الجمال و الذكاء ، صور داروين الحياة و كأنها صراع و حراك من أجل البقاء تنقصه الرحمة و العاطفة و كأن الغاية الوحيدة من الحياة هي تحصيل الغذاء ، و هنا قام عبّاد الطبيعة من تطوريين إضفاء المشروعية لإستخدام القوة ، و تقديم الذريعة للأقوياء للبقاء على حساب الضعفاء ، و رغم أن الصراع في سباق البقاء حقيقة واضحة فإن مظاهر التعاون و التضامن و الرحمة تظل لا غنى عنها في الصراع ، كل حدث في الطبيعة خلق لحكمة لا نعلمها ، مثلا للحفاظ على توازن النظام البيئي تصبح الحيوانات المريضة و الضعيفة طعاما للحيوانات و الأخرى و هكذا حتى لا يتحول سطح الأرض إلى مرمى نفايات ، بل تظل هناك مساحة كافية للأجيال الجديدة بعد "التخلص من الأجيال القديمة ، و يصبح إستقرار دورة الطعام أمرا مؤكدا" ² ، أما بالنسبة لنظرية التطور الإنتخاب الطبيعي هو صراع مرير يكون فيه البقاء للأقوى و الموت للأضعف ، أما الحقائق الروحانية مثل العاطفة و الرحمة هما مفقودان ، و "المنطق السائد هو مركزية الأنا و التفكير بأنانية ، لقد مارس العلماء المتعصبون لنظرية داروين الإرهاب العلمي و الفكري" ³ ، حيث فرضوا نظريتهم فرضا على طلاب العلم ، و أصبحت تدرس في المدارس و الجامعات على أنها حقيقة علمية مطلقة مسلم بها ، بل بلغ من بعضهم أن ينعتوا كل من لا يؤمن بها بالجمود

¹ محمد نبيل النشواني ، الإسلام يتحدى الغرب الملحد ، ط1 ، (دمشق ، دار القلم ، 2010) ، ص 187 .

² عرفان يلماز ، التطور نظرية علمية أم إيديولوجيا ، تر : حسن رشا ، محسن هويدي ، ط1 ، (القاهرة ، مصر ، دار النيل للطباعة و النشر ، 2013) ، ص 54 .

³ مرتضى فرج ، الداروينية ، ط1 ، (العتبة العباسية المقدسة ، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية ، 2017) ، ص 80 .

الفكري و التخلف العلمي و الإنغلاق و عدم التماشي مع عصر العلم و التكنولوجيا ، و بهذا إكتسبت برداء العلم أفضل المواضع في الكتب العلمية و هذا ما جعل جيريمي ريفكان * يقول :

"إن فرضية التطور وضعت في النقطة المركزية من نظامنا التعليمي و أقيمت جدران عالية حولها لحمايتها من أية إساءة و بذلت الجهود لضمان عدم المساس بها، لأنّ أقل خدش فيها قد يقود إلى المساس الفكري الكلي للرؤية العالمية الحديثة"¹ .

وجدت نظرية داروين دعما كبيرا من طرف العلماء بالرغم من أنهم هم أنفسهم يضمرون شكوكا كبيرة حولها ، لأن إنكارها يؤثر على حياتهم المهنية و ذلك لأن الجهات التي بيدها المستقبل المهني لهؤلاء العلماء "تتبنى النظرية و تتوقع منهم أن يشاركو أهم في تبنيها ، و تحارب من ينكرها أو يعارضها"² ، و ما هو جدير بالذكر أن هذا الإكتساح للساحة الفكرية بالنسبة لنظرية التطور ليس وليد الصدفة فقد وجد العلم في هذا التفسير بغيته العقلانية التي تستبعد وجود تدخل إلهي في العالم و تضع الطبيعة موضوع الإله ، و كان هذا متسقا تماما مع المرحلة الفلسفية التي كانت تجتاج "أوروبا في هذا الوقت بالذات و بالتالي بدأت النظرية تترسخ في المناهج".

و أصبحت هي نواة البيولوجيا التي يبدأ منها كل شيء فرويد ** مثلا أشار في إحدى محاضراته إلى تأثير هذه النظرية على الإنسان الحديث حيث قال :

"لقد تلّقت الإنسانية على يد العلم فيما سلف طعنة خطيرة أصابت في الصميم أنايتنا الساذجة ، جاءت على يد علم الأحياء يوم إنتزع من الإنسان ما يدعيه من مكانة تمتازة

* جيريمي ريفكان (26 يناير 1945) هو باحث أمريكي في مجالات علم الاجتماع و الإقتصاد و مؤلف ، قام بتأسيس جمعية خيرية للممول الإقتصادية ، في واشنطن العامة .

¹ jeremy rifkin , *algemy* , new word , a new word , (penguim , 1984) .

² روبرت جيمس غالغي ، خرافة التطور ، تر : فداء ياسر الجندي ، ط1 (المملكة العربية السعودية ، مركز الفكر المعاصر ، 1436 هـ) ، ص 14 .

** سيغموند فرويد ، (1856 1939) ، طبيب نمساوي من أصل يهودي إختص بدراسة الطب العصبي و مفكر حر يعتبر مؤسس علم التحليل النفسي .

في نظام الخلق ، فخرج عليه بأنه ينحدر من
سلالة حيوانية و بين له ما تتطوي عليه نفسه
من طبيعة بهيمية لا يمكن أن تستأصل و قد
قام بهذا الإنقلاب في عصرنا داروين و من
سبقوه فإستهدفوا أعنف ضروب المقاومة ممن
كانو يعاصرونهم من الناس ¹.

لقد تمّ تناول موضوع التطور خارج إطار علمي و تم ترسيخه في إطار إيديولوجي ، و إتخذ
منه غطاء علميا لعقليتهم ، و رغم أن فكرة التطور فرضية بيولوجية فحسب ، لكنها تحولت إلى
نظام عقائدي أو رؤية عالمية ، هزّت أركان المجتمع الغربي بل و المجتمعات العالمية
بالتوجيهات المطالبة بها ، قد كانت هذه الفرضية هي "الخلفية الفلسفية لما سمّي بالثورة الجنسية
sexual revolution أو الإباحة الجنسية التي إنتشرت في العالم الغربي ²، مادام الإنسان
سليل الحيوانات فإن الضمير و المثل الأخلاقية و حتى المثل العليا و الحقائق المطلقة ماهي إلا
وهم و أكاذيب ، و ما على الإنسان إلا إتباع غرائزه كما فعل أجداده من الحيوانات ، تعتبر هذه
الفرضية إهانة كبيرة في حق الإنسان الذي كرم بالعقل ، الذي جعله يسموا و يعلوا على سائر
الكائنات ، الغاية بحسب هذه الفكرة الصدئة تبرر الوسيلة ، هذه النظرية تعود بالإنسان عودة
أليمة و تنزلق به إلى مجاهل الجاهلية الأولى ، حيث أحاطوها بهالة من الشعارات التي لا تخدم
في الحقيقة إلا توجّهاتهم الفلسفية و مصالحهم الشخصية و ليس هذا فحسب ، بل أثرت نظرية
التطور على العديد من مناحي الفكر في الدين و علم النفس و خاصة في السياسة ، حيث غذت
العديد من النظريات السياسية التي إتخذت منها منطلقا لنشر الدعوى المادية و تدمير
المجتمعات، وكما إستخدموها كسند علمي لإيديولوجيتهم العمياء المشبعة بكل معاني الإستغلال
والإنسانية ، و من أهم هذه النظريات السياسية نذكر النازية و ممثلها الزعيم " أدولف هتلر "
الذي يعتبر من أبرز الشخصيات التاريخية و من أكثر المعجبين بها .

¹ سيغ蒙德 فرويد ، محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي، تر : أحمد عزت راجح، الجزء الثالث، (القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1966) ، ص216 .

² أورخان محمد علي ، تهافت نظرية داروين في التطور أمام العلم الحديث، ط1 (بيروت ، لبنان ، مؤسسة الرسالة للنشر و التوزيع ، 1997)، ص9.

4/- إسهام النظرية الداروينية في نشر ثقافة العنف عن طريق الزعيم الألماني هتلر :

يبدو تأثر الزعيم الألماني هتلر بالداروينية واضحا من خلال كتابة المشهور كفاحي الذي إستوحى العديد من الأفكار التطورية خاصة فكرة البقاء للأقوى ، فقد أعلن داروين كما ذكرنا سابقا أن تطور الكائنات الحية يعتمد على الصراع من أجل البقاء ، و هو ما أعجب به هتلر و صرّح به قائلا :

"من يريد الحياة عليه أن يكافح إذ ليس هناك في عالمنا هذا مكان لمن يتهرب من النضال"¹ .

لقد أعجب إذن هتلر كثيرا بنظرية التطور و عرف قيمتها و عمل بها لكنه أساء قراءتها وتوظيفها ، إذ كان يحمل في نفسه بغضاء جنونية لليهود ، كما أنه كان مجنونا من ناحية الإعتقاد بأن السلالة الألمانية هي خير السلالات في العالم ، وقد "إستعمل التطور هنا كما إستعملت أمريكا القنبلة الذرية للعدوان و ليس للبنيان"² يقول هتلر :

"هكذا نرى البشر دون إستثناء يتزوّجون في حديقة الطبيعة متوهّمين معرفة كل ما يحيط بهم ، و لكنهم يتصرّفون كالعميان حيال مبدأ بارز تقدّمه إليهم الطبيعة هو وجود أكثر من طابع عضوي للتمييز بين الأنواع التي تدخل فيها الكائنات الحية في عالمنا ، هذا فنظرة سطحية تكفي لإكتشاف الناموس الأساسي الذي تخضع له الكائنات في عملية التناسل فالحيوان الذكر يبحث عن أنثى من نوعه البلبل يبحث عن أنثاه و مثله الفأر و الأسد و الذئب و المعز"³ .

¹ أدولف هتلر ، كفاحي، ص 151 .

² سلامة موسى ، نظرية التطور و أصل الإنسان ، دون ط ، (مصر ، القاهرة ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، 2012) ، ص 38 .

³ أدولف هتلر ، كفاحي، ص 147 .

يبدو هتلر هنا متأثر كثيرا بمبدأ الإنتخاب الطبيعي و التنارع للبقاء الذي أسسه داروين ، حين قال أن الكائنات الحية في تنارع مستمر و البقاء يكون للأقوى ، و يضرب مثالا عن ذلك في قوله :

"إذا فرضنا وجود سرب من الأبقار الوحشية يسير في غاية متحدة كعادتها لطلب الغذاء فإذا رأت مرعى تزاحمت عليه القوي منها يفوز بأطايب هذا المراعي ، فتزداد قوة على قوتها أما ضعيفها فيزداد ضعفا إلى ضعفه و لا يزال يتناقص حتى يتلاشى " ¹.

أما الإنتخاب الطبيعي يشرحه داروين بما معناه مضيئا : " إذا إنتقل هذا السرب من الأبقار إلى مسافة بعيدة و مرّ بطريق وعرة لا يقوى على إختراقها إلا الممتازون منها بالقوة " ² ، و هذا يبين أن نتيجة هذا التنارع كله بقاء الأصلح و هلاك غير الأصلح ، و كأن الطبيعة في نظر داروين تنتخب الأقوى فتبقيه و تلاشي الأضعف و تبيده ، وهو ما نجده فعليا عند هتلر و يثبت أن فكره مستقى و مستلهم من فكر داروين ، يصرح هتلر قائلا :

"إن إقتتال الأجناس فيما بينها مبعثه الجوع الكفاح من أجل الخبز اليومي يفضي بالنتيجة إلى هزيمة كل كائن ضعيف أو غير جدير بالبقاء و يظل الكفاح الوسيلة المثلى لتقوية صحة البدن و طاقة النوع على إحتمال المشاق و يظل بالتالي شرطا أوليا لتقدم البشر و تطورهم " ³.

إنطلاقا من هذا إدعى هتلر أن نقاء العنصر عامل هام في الحياة لأنّ الناس مقدّر عليها الهلاك مالم تحافظ على نقاء جنسها و دماءها و عرقها ، و إدعى أن كلّ حضارات العالم إنهارت و تحطّمت بسبب الإختلاط العرقي لذا الغاية الهامة التي تأتي في المقام الأول وبخاصة

¹ تشارلز داروين ، أصل الأنواع ، ص 250 .

² المصدر نفسه ، 151 .

³ أدولف هتلر ، كفاحي ، ص 144 .

في ألمانيا هي الحفاظ على نقاء العنصر "الصفات المميزة للحصان الأصيل تفقد بالإختلاط مع عنصر آخر أقل و الحواس و الذكاء المرهف لبعض سلالات الكلاب النقية تضيق إذا إختلطت بعناصر أخرى" ¹ .

فكرة هتلر الجوهرية الثانية عن العنصر هي إدعاؤه بأن الجنس الآري و الجرمانى جنس متفوق على كافة الأجناس و بهذا حاول هتلر أن يؤسس نظاما يكفل به الدم النقي و يحميه ، يقول هتلر :

"فلنترك الرحمة جانبا و نميت الضعيف ، الحياة موقوفة على ذوي الدماء النقية النبيلة كل ما أريده هو أن أضع الدم النبيل في محله كي يسمو الشعب على الشعوب الأخرى ، يجب أن نعترف بأرقى الأجناس، فهل يستطيع من تلقى علم الزراعة و تربية الماشية أن يحصل من ماشيته على ذرية قوية إن لم يحسن إنتقاء نوعها أو جنسها ، لذلك أريد تحرير الشعوب من تاريخها والنهوض بها إلى مستوى أرقى و ذلك لا يتم إلا بتوحيد دماء أبنائنا " ² .

إنطلاقا من هذا القول نلاحظ حضور فكر داروين في فكر هتلر جليا لأن هذا الإنتقاء هو ما يعبر عنه داروين حينما وضع مدى سرعة السلالات الجديدة من الماشية و من المعروف حسبه أنه في مقاطعة يوركشير شمال إنجلترا أن الماشية السوداء قد أزيحت و أستبدلت بواسطة الماشية ذات القرون الطويلة و أن هذه "الأخيرة تم إكتساحها بواسطة الماشية قصيرة القرون كما لوكان ذلك بواسطة وباء قاتل" ³ ، و بهذا ينصبّ الشعب الألماني نفسه إليها على بقية الشعوب الأخرى و قد ترجم هذا إلى مفهوم العرق السيد ، و هو العرق الألماني أما الأعراق الأخرى هي غير نافعة مستهلكة و غير منتجة و أحيانا ضارة ، من بينها "المعوقون و الشواذ جنسيا و الشيوعيون

¹ د.لويس .ل.سيندر ، أدولف هتلر الرجل الذي أراد عمليا إحتلال العالم ، تر : طارق السيد خاطر، ط3 ، (القاهرة ، مكتبة ابن سينا للطبع و النشر والتوزيع ، 2001) ، ص 103 .

² خليل تادرس ، إعتراقات هتلر ، دون ط ، (لبنان ، دار كتابنا للنشر ، دون تاريخ النشر) ، ص 137 .

³ تشارلز داروين ، أصل الأنواع ، ص 198 .

و العجر و المصابون بأمراض وراثية مزمنة و الأقزام ، و اليهود خصوصا ¹ ، هؤلاء كانوا حسب هتلر و التصور النازي أهم القطاعات الغير نافعة ، هم مثل البكتيريا و الطفيليات التي تعيش مع الآخرين إلا أنهم يدعون أنهم يشكلون عرقا ساميا وشعبا مختارا * .

إنطلاقا من هذا كانت مهمة هتلر إقناع الشعب الألماني بتفوقه الفكري و الجسدي على بقية شعوب العالم و كانت هذه الفكرة هي النواة التي بنى عليها دعاة العرق الآري نظريات العرق الألماني السائد ، "عكس ما قاله اليهود أنهم شعب الله المختار الذي إختاره ليرث الأرض و من عليها"²، إذن السبب الحقيقي وراء الصراع بين "هتلر و اليهود " هو إيمان الجنس الآري بتفوقهم و نقاء جنسهم ، فقام اليهود بالتشكيك بهم و بأسطورة الجنس الآري ، و هذا ما زاد من حدة الصراع ، كون اليهود جنس يختلف عن الجنس الآري في الشكل و الخلقة ، ونتيجة تزواجهم بالألمان و محاولة الاندماج معهم أصر هتلر على إبادتهم" لكي لا يختلطوا بالجنس الآري والذي سعى فيها بعد لتطهيره من خلال حصر الزواج فيما بين الجنس الآري فقط "³، لأن إختلاط الجنس الآري بغيره يفقده أصالته و جوهره ، يوضح هتلر ذلك قائلا :

"إذا تساوت حظوظ البشر في التناسل و البقاء
تفوق غير الأكفاء على الأكفاء دون كبير عناء
هنا وجب التدخل لمصلحة الصفوة و الطبيعة
تتدخل بإخضاعها للضعفاء لشروط قاسية
تخدم عدددهم و لا تسمح بالتناسل إلا للذين
تنتخبهم هي من بين الأصحاء و الأقوياء و إذا
كانت الطبيعة تأبى على الضعفاء و الأقوياء أن
يتزاوجوا فإنها تحارب دون هوادة إختلاط عرق
متفوق بعرق وضعيع لأن هذا الإختلاط يؤدي

¹ عبد الوهاب المسيري ، الصهيونية النازية و نهاية التاريخ ، رؤية حضارية جديدة ، ط1 ، (القاهرة ، دار الشروق ، 1994) ، ص 54 .
* معاداة السامية هو مصطلح يعكس التحيزات العرقية و المركزية الغربية التي ترجمت نفسها إلى نظام تصنيفي آري و سامي ، و السامي بالنسبة للغرب هو اليهودي ، وقد أصبح المصطلح يشير إلى أي شيء ابتداء من محاولة إبادة اليهود ، للمزيد ينظر ، عبد الوهاب المسيري ، اليهودية و اليهودية الصهيونية ، المجلد الأول ، ط1 ، (القاهرة ، دار الشروق ، 1999) ، ص 43 .

² وليام كار ، اليهود وراء كل جريمة ، تر : خير الله الطلفاح ، ط2 ، (لبنان ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1982) ، ص 47 .

³ مصطفى محمود ، سفاحون عبر التاريخ ، دون ط ، (الجزائر ، دار المجد للنشر و التوزيع ، 2017) ، ص 58 .

إلى تأخر مادي و روحي يفضي في النهاية
إلى التفسخ و الإنحلال" ¹ .

يشير هتلر إلى أن أي ضرر لحق ألمانيا كان سببه اليهود الذين أحاكوا مؤامرات عالمية للسيطرة و لذا هم يحاولون إشعال الحروب و الثورات و ألقى اللوم عليهم باعتبارهم مسؤولين عن هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى * ، لذا قرّر الألمان أن يجعلوا المجال الحيوي الألماني خاليا من اليهود و في هذا الصدد يقول هتلر واصفا اليهود :

"إن اليهود يلعبون لعبتهم و هي لعبة سداها و لحمتها
الكذب و الرياء ممّا يتنافى و الطهارة الخلقية التي
يدّعونها ، وحتى الطهارة البدنية فبعدهم عن النظافة
البعـد كله النظر منذ أن تقع العين على يهودي
و قد اضطرت لسد أنفى في كل مرة ألتقي أحد لابسى
القفطان ، لأن الرائحة التي تنبعث من أبدانهم تنم عن
العداء المستحكم بينهم و بين الماء و الصابون و لكن
قدارتهم المادية ليست شيئا مذكورا مع قذارة نفوسهم فقد
إكتشفت مع الأيام أن مامن فعل مغاير للأخلاق و ما
من جريمة بحق المجتمع إلاو لليهود يد فيهاو إستطعت
أن أقيس مدى تأثير الشعب المختار في تسميم أفكار
الشعب و تخديره و شلّ حيويته" ² .

في نظر هتلر التفاوت بين السلالة الآرية و السلالات الأخرى تتفاوت في تركيب الجسد ووظائف الأعضاء و خصائص القشرة البشرية فغير الآريين لهم أسنان و فكوك عليا تشبه في ضيقها و منظرها خراطيم الحيوان إذن غير الآريين ينزلون في مرتبة بين طبقة الإنسان الشمالي و طبقة الحيوان من فصيلة فوق فصائل القردة العليا ليسوا أهم بأناس يقابلون "الصفات الحيوانية

¹ أدولف هتلر ، كفاحي ، ص 149 .

* في الحرب العالمية الأولى و في معاهدة فرساي طلب الجيش الألماني الهدنة و ليس الإستسلام و ذلك للتفرغ للخطر الداخلي الذي كان يستهدفها آنذاك، خطر الشيوعية بزعامة روزا لوكسمبورغ اليهودية لكن تأزمت الحالة بعد الشائعات التي أصدرها اليهود بين بحارة الأسطول الألماني بأن القيادة إعتزمت التضحية بمعظم السفن الحربية في هجوم إنتحاري شامل على الأساطيل الأمريكية و الإنجليزية ، تمرد البحارة و أعلنوا العصيان و إنتشرت بسبب اليهود الروح الإنهزامية ما أدى بالقصر إلى التنازل بالعرش يوم 9 نوفمبر 1911 ، و لهذا إنقلبت الزعيمة اليهودية على الإشتراكيين و أعلنت الثورة على برلين و إنتزعت الحكم من أعوانها ، لقد أدت هذه الثورة إلى رد فعل عنيف لدى للمواطنين الألمان الذين ثارت فيهم القومية الألمانية إقتضوا على أنصار لوكسمبورغ و أعملوا فيهم القتل و التذبيح ثم إنقلبت إلى مجزرة تفجر فيها الحقد الكامن على اليهود الذين إعتبروا المسؤولين عن خسارة الحرب و الإضطرابات ، للمزيد ينظر : وليام كار ، اليهود وراء كل جريمة ، ص 190 .

² أدولف هتلر ، كفاحي ، ص 16 .

بالصفات الإنسانية و لكنهم حلقة وسطى في الطريق أخرى بهم أن يشبهوا بشر" ¹، كان العرق إذن هو المبدأ الموجه لكل ألمانيا معاداة السامية إكتسبت القوة الضرورية لتنفيذ مخططاتها بسبب شعبية هتلر الهائلة ، الذي كان يتمتع بقدرة فذة في الخطابة و قوة شخصية إستطاع بها أن يؤثر على كل الجماهير .

لقد كانت خطبه بعباراته المرتجلة تأخذ بقلوب و عقول مشاهديه ، حيث إمتلك حتى النهاية قدرة غير عادية في غسل عقول الشعب حيث أخضع أجيالا من "أفضل القادة و ضباط الأركان و أكثرهم حرفية على مستوى العالم و بجميع الأسلحة لقراراته" ²، من أجله إستمر معظم القادة والجنرالات العظماء في الخدمة معه و تحت قيادته بمنتهى الحماسة ، و الشعور الشديد بالواجب و الضرورة حتى النهاية و حتى تحطم آخر صخرة بالرايخ الثالث *، حتى عند إنتحار هتلر بعد سقوط برلين أمر القادة "بإحراق جثته و في ذلك الحين كانوا جميعا يشعرون بالرهبة من وجوده حتى بعد وفاته" ³.

لم تكن إذن مسيرة التعصب العرقي و العنصرية ضربا عشوائيا من المشاعر المشبعة بالكراهية أو السلوكات الإجرامية فحسب ، بل لعب العلم مثلا و بالخصوص نظرية داروين دورا مهما في ترسيخها رغبة لهتلر في التخلص من أصحاب الأجناس الدنيا ، مضى هتلر بإيحاء من العديد من العلماء بالدعوى إلى تحسين الميزات الوراثية البشرية من خلال تشجيع الإنجاب. فيما بين ذوي الصفات الوراثية الأفضل أو تقليل عدد السكان ذوي "الصفات المتدنية وشملت سياسات تحسين النسل كلا من الإبادة الجماعية و الإجهاض القسري و العقم الإجباري" ⁴ ، مقدّما المسوغ

¹ عباس محمود العقاد ، هتلر في الميزان ، ط1 ، (القاهرة ، مكتبة إين سيناء ، 2017) ، ص 54 .

² عصام فؤاد ، جنرالات هتلر ، ط1 ، (القاهرة ، مكتبة إين سيناء ، 2016) ، ص 7 .

* عندما صار كل من الحلفاء الغربيون و الروس على أبواب العاصمة الألمانية ، كان هتلر كالنسر الجريح ، و لكنه يسعى بالرغم من ذلك على تقوية غرائم جيشه و حثهم على القتال حتى النهاية دفاعا عن برلين و يؤكد عزمه على البقاء فيها و بعد سحق الروس لألمانيا حاول القادة أن يقتنعوا هتلر على مغادرة برلين مؤكدين أن الشعب الألماني باق على إخلاصه لزعيمة العظيم ، لكن هذا الزعيم العظيم الذي نبى أمجاد ألمانيا و كان قلبها النابض و عقلها المفكر أبى أن يهرب و فضل الإنتحار للمزيد ينظر ميكائيل موسمانو ، عشرة أيام بين هتلر و الموت ، تر : باسيل دقاق ، دون ط ، (بيروت ، منشورات مكتبة بيروت ، 1951) ، ص 11.

³ محور ليناس ريان ، سقوط برلين ، القصة الكاملة لإنهيار إمبراطورية هتلر ، الجزء الثالث ، دون ط ، (مايو ، 1966) ، ص 33 .

⁴ إيان لوم ، العنصرية و التعصب العرقي ، من التمييز إلى الإبادة الجماعية ، تر : عاطف معتمد ، كرم عباس ، عادل عبد الحميد ، ط1 ، (القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، 2015) ، ص ص 8-9 .

العلمي للجرائم التي إرتكبها و عليه يمكن القول أن هذه الدعاوي المقتّعة بالعلم ، الزائفة والإجرامية و ضعت حجر الأساس لما نراه اليوم من عمليات إبادة جماعية و جرائم عرقية في العالم كافة ، و بتواطؤ مع النظرية العنصرية و بصمات من الأفكار الداروينية أخذ هذا طابعه الجلي في قياس الأيوجينك (إتخاذ إجراءات كي لا تكون هناك تشوهات وراثية لدى الأجنة) للمحافظة على العرق النقي ، و إدعى أصحاب هذه النظريات أن المجتمع تهدده الجينات الوراثية البائسة للضعفاء ، و إدّعوا أنه بالإمكانية حماية و تحسين نوعية المجتمع من خلال منع هذه "الجينات من التكاثر و الإنتشار و نفّذت هذه الأفكار من خلال إعدام عدد كبير من النساء"¹.

لقد وضعت كل العوامل الإيديولوجية و النفسية و التقنية الأساس للإبادة و نفّذت "عمليات القتل نتيجة لإيديولوجية هتلر الشنيعة التي مورست بدون أن تكون هناك رقابة أخلاقية وقانونية"²، و "هذا كله تحت ذريعة الدونية و لولادة الإنسان الأعلى"³ ، فالمجازر التي إرتكبها هتلر قد "أنجزت حسب حبه بإسم المستقبل حيث أخذ على عاتقه تهيئة نشئ جديد"⁴، و خلال سنوات حكمه قامت ألمانيا بإبادة الجنس البشري ليس لها نظير و هذا ما جعله يتحالف مع أكبر دكتاتور عرفته البشرية و هو **موسيلني** * ، قد كان من أهدافه تقتيل كل يهودي في العالم ، و في عهده أقامت ألمانيا معسكرات لإبادة اليهود و كانت هذه المعسكرات مزودة بغرف الغاز الخانق ، و في كل أرض احتلتها كان يدفع بالأبرياء من الرجال و النساء و الأطفال إلى غرف الموت ، ولم يكن اليهود وحدهم ضحايا هتلر في "عهده أعدم عددا من الروس و الغجر و كل الذين أحسّ

¹ ستيفان بروسفلد و بولفين ، أخبروا به **بنيم** ، كتاب عن الإبادة في أوروبا 1933-1945 ، تر : إباد جبار ، دون ط ، (مطبعة نورشت ، ستوكهولم، دون تاريخ النشر) ، ص ص 3-4 .

² ترفيتان تودوروف ، **الأمل و الذاكرة** ، خلاصة القرن العشرين ، تر : نرمن العمري ، دون ط ، (السعودية، دار العبيكان للنشر، دون تاريخ النشر) ، ص 335 .

³ فرانسيس فوكوياما ، **الإستراتيجية** ، مستقبنا بعد البشري ، عواقب ثورة التقنية الحيوية ، تر : إيهاب عبد الرحيم محمد ، ط 1 (الإمارات مركز الإمارات للدراسات و البحوث ، 2006) ، ص 115 .

⁴ مجموعة مؤلفين ، **البيوتيقا و مهمة الفلسفة** ، ط 1 ، (الجزائر ، منشورات ضفاف منشورات الاختلاف ، 2014) ، ص 253 .
* بنيتو موسيلي (1945/1983) زعيم إيطاليا ، إن تحالف موسيليني و هتلر تابع من الإتجاه لأعضاء الشيوعية معاداة اليهود و لهذا أصبحت الميول الإستعمارية تجمع بينهما و أصبحت سياسة العنف و القوة قائما مشتركا بينهما ، و قد جعل هتلر النازية تقليدا لوحشية الفاشية ، و إنطلاقا من هذا التحالف قررت إيطاليا طرد جميع اليهود **للمزيد ينظر** أيمن أبو الروس ، **شخصيات لا ينساها التاريخ** ، موسيليني ديكاتور إيطالي قاد شعبه إلى الخراب والهاوية، ط 1 ، (القاهرة ، مكتبة ابن سينا ، 2015) ، ص 82 .

أنهم من الناحية العنصرية أخط مرتبة من الجنس الآري¹، و لم يقر هتلر بهذه المذابح أثناء الحرب و إنما كانت تقام بمنتهى الهدوء و كانت هناك قوائم بإستدعاء الناس المطلوبين إعدامهم و حرقهم ، وهذه المذابح كانت تسمى بمذابح الهولوكوست* ، إن حرق هتلر لهؤلاء في أفران معدة لذلك كان بحكمة تكمن في أن التخلص من الجثث بالحرق بالنار يمنع إنتشار التلوث والأمراض و كانت أسباب الموت متعددة نتيجة التعذيب و نتيجة للبرد القارس ، لأنهم "كانوا يتعرضون للإستحمام الجبري و بعد الإستحمام يتم تطهيرهم"². لقد طغت مسألة العرق على جميع جوانب النازية و يظهر ذلك من خلال تصنيف هتلر للأعراق في ترتيب هرمي يحتل الآريون قمته وذهب إلى أن الأعراق تتصارع صراعا داروينيا على الهيمنة يقول هتلر :

"إن كل نتائج الحضارة من فن و علم و تكتيك
هو ثمرة النشاط الآري الخلاق و هذا الواقع يجيز
لنا أن نستنتج بحق أن الآريين قد أسسوا في
الماضي بشرية متفوقة و لهذا إنهم يمثلون النموذج
البدائي لما تم تسميته الإنسان، لقد كان الآري ولا يزال
المشعل الإلهي الذي يضيء السبل أمام البشر فشرارة
العبقرية الإلهية إنبعثت دائما من جنسه المشرق و هو
الذي قاد الإنسان على دروب المعرفة و دله على
السبل التي تجعل منه سيد الكائنات على الأرض"³.

إنّ إعلاء هتلر لمنزلة بعض الأجناس على الأخرى إستنادا لتبنيه نظرية التطور جعله يظهر بمظهر أشدّ حكام التاريخ قسوة و شؤما ، هو لم يبالي بما خلفه في العالم الخارجي بل كان يمقت كل من يخالفه بل من ينتقده فالشعور بالنقص جعل منه سيئ الخلق و أدى به إلى بذل جهود تعويضية إبتغاء نيل الإعجاب نتيجة لذلك يتقدم الألماني الصفوف للسعي إلى نيل الخطوة أو يبرهن على فاعليته الألمانية بنوع من الثقة بالنفس تؤدي إلى حكم إرهابي أو قتل الرهائن رميا بالرصاص ، و عندئذ لا يعود "الألماني يعتبر هذه الأشياء من قبيل القتل لأنه غارق في

¹ أنيس منصور، الخالدون مائة، المكتب المصري الحديث، إنتاج بدران المعرفة للنشر الإلكتروني المجاني the now ledge walls@yahoo.com .

* كلمة يونانية الأصل تعني حرق القرايين لخالق الكون ، و الكلمة الآن ترمز إلى مذابح هتلر التي قام بها ضد اليهود.

² مصطفى محمود ، سفاحون عبر التاريخ ، ص 61 .

³ أدولف هتلر ، كفاحي ، ص 150 .

إِعتبارات هيئته"¹، لكن جميع الإنجازات العقلية و التقنية في العالم لا تستطيع أن تعوّض النقص في مسألة الشعور ، فالنظرية العرقية المزيفة علميا التي كان النازيون يتباهون بها لم تجعل من القضاء على اليهود أمرا مقبولا ولا تزييف التاريخ جعل من السياسة الخاطئة أمرا موثوقا ، الإبادة العرقية التي حدثت وصفت بأنها أقصى أشكال التطرف حين شكلت سلطة سياسية يحكمها زعيم مستبد منحه فعله الشنيع إحساسا عميقا بالأهمية إكتسب من خلاله حقا غير مشروع في القضاء على من جرى تحديد أنهم أعداء فقط ، قد أظهر على أوسع نطاق ميلا ملحوظا نحو الحرب والعدوان ، قد قدمت هذه المحارق في زمننا مثلا فذا عن التعصب و التمييز العنصري و يبقى عمل "الإبادة النازية مدانا سواء في محكمة القانون الدولي أو في الأخلاق الإنسانية المشتركة"². ما هو جدير بالذكر أن النظرية التطورية جاءت لحل علمي بغض النظر عن إيديولوجية داروين لكن سوء قراءة هتلر لنظرية داروين جرّ البشر إلى كثير من الويلات حيث فتح الباب على مصراعيه لأكبر و أقدر عمليات قتل و "إبادة في التاريخ بإسم التطور و علو الجنس الآري على باقي أجناس الأرض الذين هم أقرب للقرود"³، لا عجب بعد ذلك أن يتهرب العلماء من أي سؤال يتعلق بتطبيق "نظرية التطور بالفعل على الناس اليوم ، فبالرغم من أنهم ضد الداروينية لكن عليهم تطبيقها حين يتعلق الأمر بحياتهم"⁴.

إستطاع هتلر إذن من خلال تبنيّه للداروينية التي تقدّم من وجهة نظره التبرير الأخلاقي لعملية الإبادة الجماعية و التطهير العرقي أن يدخل العالم في صراع من أجل البقاء بدل نشر ثقافة الحوار و التواصل و قبول الاختلاف و التعايش و الدعم المتبادل ، حيث مارس الحرب بوصفها جريمة عاطفية ليس لأنها تقتل و فظاعة و معاناة و إنفجار للعنف إنما على وجه الخصوص لأنها تتسبب في إنسانة في الإنسان عبر نسف كل مجهود لتحقيق العدل ، فالحرب

¹ كارل غوستاف يونغ ، النازية في ضوء علم النفس ، تر : نهاد خياطة ، ط1 ، (بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 1992) ، ص45 .

² دوغلاس ج. ديفيس ، الوجيز في تاريخ الموت ، تر: محمود منقذ الهاشمي ، دون ط ، (دمشق ، منشورات الهيئة السورية للكتاب ، 2014) ، ص194 .

³ أبو حب الله ، "السينما و اللاوعي بالخطاب الشعبي للإلحاد" ، مجلة براهين ، العدد2 ، دورية فصلية تصدر عن مركز براهين لدراسة الإلحاد من منظور علمي فلسفي ، ماي 2014 ، ص 87 .

⁴ francis Hitching, the neck of giraffe, when darwin went wrong new york, thichnow and fields 1982, p., 204.

هي الفساد الأخلاقي الأساسي إنها إنفعال ، و لأنه لا عقل ، فإنّ الإنفعال صراع يقول ألان :
"الشعب في الحرب مثل الجريح الذي يمزق ضماداته"¹.

جعل الإنسان النازي إذن من نفسه المركز و المطلق المنفصل تماما عن القيم الإنسانية وأصبح هو نفسه تجسيد لقانون الطبيعة و لحركة المادة و من ثم خوّل لنفسه أن يحول كل العالم و" يخضعه لخدمة مصالحه و أغراضه الخاصة و بهذا تحولت النازية إلى إمبريالية إيدانية عنصرية"²، و هذا ما نسميه بالنفعية الداروينية و هي المنظومة التي ذهبت إلى أن من يملك القوة له الحق أن يوظف الآخرين لخدمة مصالحه و هذه الفكرة أدت إلى نشر الشر الذي يعتبر "عودة إلى ما قبل البشرية و التخلص من كل ما يميز البشر من منطق وحب و خير فالشر إذن هو خسارة الإنسان لنفسه و مبادئه وقيمه"³.

و ما هو جدير بالذكر أن الداروينية لم تكن المنتج الوحيد للنزعة النازية بل أصابع الاتهام تتجه كذلك نحو فلسفة نيشته الذي يعتبر بمثابة أهم فيلسوف لا عقلاني روج لذلك ، قد إتهم بأنه الممهّد الأول لكل الصراعات و النزاعات اللاعقلانية التي إكتسحت العالم الغربي فكان لفلسفته الدور الأكبر في إنبثاق النازية حيث أصبحت هي الأخرى بمثابة إيديولوجيا للقوى السياسية حيث إستغلها هتلر و وظيفها فيما يخدم إطماعه و مآربه التوسعية و هو ما نتطرق له في الفصل القادم.

¹ Alain, echec de la force, N.R.F, p143 .

² عبد الوهاب الميسري ، الصهيونية النازية و نهاية التاريخ ، ص 27 .

³ إيريك فروم ، جوهر الإنسان ، 20.

الفصل الرابع : التوظيف الإيديولوجي

للفكر الفلسفي-02- نيتشه نموذجاً

1/- تأثر هتلر بفلسفة نيتشه

أ- فلسفة نيتشه

أ-1-العدمية في فلسفة نيتشه

أ-2- إرادة القوة عند نيتشه

أ-3- الإنسان الأعلى

أ-4- أسلوب نيتشه في الكتابة

2/- إسهام فلسفة نيتشه في نشر ثقافة العنف عند طريق الزعيم الألماني هتلر

3/- كيف نقرأ الفلسفة بعيداً عن التأويلات

1/- تأثر هتلر بفلسفة نيتشه :

أ- فلسفة نيتشه :

لقد أسس نيتشه* فلسفته إنطلاقاً من إعجابه وتأثر بالفيلسوف شوبنهاور آرثر **Shopenhaouer Arthur**** خاصة بعد قراءته لكتابه الرئيسي العالم كإرادة وتمثل الذي عثر عليه عن طريق المصادفة في دار لبيع الكتب القديمة في مدينة لاينزج الألمانية وعندما إنتهى من قراءة الكتاب في نهاية أكتوبر عام 1865 كتب في أوراقه الخاصة بحماس :

"هنا يصرخ كل سطر عن رفض ونكران الذات
وترويض للنفس ،هنا رأيت مرآة لمحت فيها
العالم والحياة وروحي في تمجيد رهيب ،هنا رأيت
المرض والعلاج المنفى والملاذ الجحيم والجنة"¹.

على ضوء ذلك يمكن القول أن الكتاب كان بمثابة فاتحة فكرية وجمالية قادت نيتشه فيما بعد إلى عوالم أخرى ومهدت له أن يضع بعض الأسس التي يبني عليها أفكاره لاحقاً ،لم يرى نيتشه في كتاب شوبنهاور مجرد كتاب فلسفي بل إعتبره مشروع حياة ،والتمس فيه كما يقول الراحة وسط عالم قلق"² ،وكان الحدث المهم أيضاً في شباب نيتشه هو لقاءه بالموسيقار **فاغنر richard wagnor** "الذي كان يكن له إعجاباً لا حد له بإعتبار أن الموسيقى هي الخلاص الوحيد من الحياة لأنها تصوير دقيق وشامل للحياة أي للوجود"³ ، وهو ما عبّر عنه

قائلاً :

*فريدريك فيلهلم نيتشه: ولد هذا الفيلسوف النازي في (بروكسن 15 تشرين الأول 1844) يوم عيد الملك فريدريك فيلهلم الرابع فسمي بإسمه ومات في (فايمار 25 آب 1900) توفي أبوه وهو في الرابعة من عمره وأعقب وفاة أبيه وفاة أخيه الصغير وهو ما خلق لديه صدمة موجعة على الدوام في الثانية عشر دخل معهداً بفورتا وفي 18 جامعة بون ومنها إلى جامعة لاينتزيغ ،لقد إنتهى نيتشه في أيامه الأخيرة وقد أصبح الهذيان رفيقه الدائم وخمدت روحه أو اضطربت هذه الروح التي لطالما "بحثت عن المجد والعظمة ،وإن كان نيتشه قد عاش أفكاره وهذا قلماً يتحقق للفلاسفة للمزيد ينظر جورج طرابيشي ،معجم الفلاسفة ،ط3،(بيروت ،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بوليو ،2006) ،ص 177. وينظر أيضاً رضوان زيادة ،"معنى الحقيقة في خطاب ما بعد الحداثة" ،مجلة يتفكرون ،الرباط ،المملكة المغربية ،مؤسسة مؤمنون بلا حدود ،العدد 3 ،17-12-2014 ،ص 54.

**آرثر شوبنهاور (1788-1860) فيلسوف ألماني معروف بفلسفته التشاؤمية تزايدت شهرته في حقبة الإمبريالية ،كان عدواً للمادية و الجدل ووضع المثالية الميتافيزيقية في معارضة الفهم العلمي للعالم و ذهب إلى أن الإرادة العمياء و اللاعقلانية هي جوهر العالم و مثاليته الإرادية هي شكل من أشكال العالم و الإرادة التي تحكم العالم تستبعد أي قوانين للطبيعة و المجتمع ، و ثم تستبعد إمكان المعرفة العلمية ، نظرت له للعالم مشبعة بكرهية الثورة و الناس و هي نظرة متشائمة للغاية ، كان لأرائه الجمالية تأثير كبيراً دعا إلى الجمالية التي تحقر الواقع و التي تكون بمنأى عن المصالح الحيوية للناس للمزيد ينظر م روزنتال .ب يودين ، الموسوعة الفلسفية ، ص 316 .

¹فريدريك نيتشه ،شوبنهاور مريبيا ،تر :قحطان جاسم ،ط1،(بيروت ،الجزائر ،منشورات ضفاف ،منشورات الاختلاف ،2016) ،ص 8.

² المصدر نفسه ،ص 9.

³ عبدالرحمن بدوي ،خلاصة الفكر الأوروبي نيتشه،ط5، (الكويت ، وكالة المطبوعات ،1975) ،ص 11.

"إن أفضل وأسمى لحظات حياتي مرتبطة حقا
بإسمك فاغنر ، ويوجد واحد فقط أوقره على
حد سواء ، قرينك الروحي العظيم شوبنهاور
الذي أعبدته في الحقيقة تقريبا"¹.

في عام 1870 كرس نيتشه أوقاته لدراسة أصول المسألة اليونانية وعند الإعلان عن
الانتصار الألماني تطوع في الجيش وقد تراءى له يومئذ أن ألمانيا تخلف اليونان* ، بسمارك**
زعيمها و مولتكه*** جنديها وفاغنر منشدها ونيتشه فيلسوفها ، لكن إنقطعت الصداقة بين
نيتشه وفاغنر لأن هذا الأخير كان يقدر نيتشه باعتباره رسولا لامعا يمثل فكر غيره ، وصبيا
يقوم بقضاء المهام لسواه ، وفعلا لم تدم العلاقة طويلا سرعان ما أدرك نيتشه أن فاغنر عاجز
تماما على أن يقدم للبشرية شيئا ، نيتشه كان يريد إنقلابا في الفكر والفن وفي كل ما يقدمه
الإنسان الحديث من قيم لقد يؤس من أي إصلاح عن طريقه ومن هنا أصبح الطريق ممهدا
للانفصال² ، "وقد تمت القطيعة فعلا بعد أن تصالح فاغنر مع الإمبراطورية الألمانية الناشئة
التي كان يمقتها نيتشه"³ ، ولعل علاقة الانفصال بينهما موضحة في هذه الأبيات الشعرية
لنيتشه حيث يقول:

"في إحدى العطل التي قضيتها مرة في ترييستن**** ، انطلقت

¹ فريدريك نيتشه ، شوبنهاور مريبا ، ص 10.

* إن دراسة نيتشه للحضارة اليونانية والإعجاب بها تحول إلى مجرد وسيلة لهدف أعلى وأسمى منها بالذات وهذا الهدف هو مستقبل الحضارة الإنسانية
عامة والشعب الألماني خاصة ، فلن كان نيتشه ينفر من الشعب الألماني وينتقز من المثالية المنتشرة متوجها نحو الجنوب ، نحو قدامة الحضارة
اليونانية كما يعبر عن ذلك في قوله "ألمانيا تجعل المرء ومرتيكا تصبره ، قلت للريح أن تحملني والطائر علمني التحليق مررت فوق البحر نحو
الجنوب ، للمزيد ينظر فريدريك نيتشه ، ديوان نيتشه ، تر: محمد صالح بن صالح ، ط1 ، (بغداد، منشورات الجمل، كولونيا ، 2006) ، ص 172.

إن موقف نيتشه الرجوعي الأصلي كان يهدف ويريد إصلاح الثقافة الألمانية بالأدوات والوسائل اليونانية ، لأن هناك شيئا هيلينيا من إرادة القوة ، إذ
يمكن تطعيم الحضارة الألمانية الفاسدة بالحضارة الإغريقية القوية والصالحة والماهرة في التفلسف فقد عرف هؤلاء كيف يبدؤون التفلسف في الوقت
المناسب ، وقت العافية ، إذ ليس من المفروض أن نبدأ بالتفلسف حين نكون تعساء ، بل حين نكون سعداء ومتنصرين للمزيد ينظر ، فريدريك نيتشه
، الفلسفة في العصر المأساوي ، تر: سهيل القش ، دون ط ، (بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، 1981) ، الفقرة 01 ، ص 120 ، انظر أيضا ، عبد
الكريم عينات ، نيتشه والإغريق ، إشكالية أصل الفلسفة ، ط1 ، (بيروت ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، دون تاريخ النشر) ، ص 295.

** بسمارك أوتو ، سياسي بروسي ولد في شاتهاورن ، (عام 1815 ، توفي عام 1898) ، كان واحد من مؤسسي الإتحاد الألماني ، نجح في أن يوجه
ألمانيا في ميدان الإستعمار ، كان له دور هام خلال مستشاريته للرايخ الألماني ، أثرت أفكاره على السياسة الداخلية والخارجية لألمانيا في نهاية القرن
التاسع عشر ، لذا عرف بسمارك بلقب المستشار الحديدي ، أعجب به نيتشه كثيرا لشجاعته ، للمزيد ينظر ، ادوارد ميدارل وآخرون ، رواد الإستراتيجية
الحديثة ، الفكر العسكري من ميكيا فيللي إلى هتلر ، تر: محمد عبدالفتاح إبراهيم ، الكتاب الثاني ، دون ط ، دون تاريخ النشر ، ص 29.

*** هيلموت فون مولتكه ، (1800-1891) قائد بروسي تولى رئاسة أركان الجيش البروسي الذي صار الجيش الألماني بعد تأسيس الإمبراطورية
الألمانية عام 1871.

² فؤاد زكرياء ، نوايغ الفكر العربي ، نيتشه ، ط2 ، (مصر ، دار المعارف ، دون تاريخ النشر) ، ص 30.

³ جورج طرايبيشي ، معجم الفلاسفة ، ص 177.

**** ترييستن منطقة تابعة لمدينة لوسيرين في وسط سويسرا ، أهم ما يميزها أنها كانت موطن المؤلف الألماني ريتشارد فاغنر من مارس 1872 إلى
1886 ، هناك قام بتأليف الفصل الثالث من أوبرا سيغفريد .

من مرسى فاغمر على حافة حقل الأزهار البرية الصفراء
وأجراس الكنائس تنتهي إلى مسامعي من أقصى أقاصي
المياه، جذفت شرقاً نحو الأفق الصخري، حتى أنك الألم
نراعي، لا بد أن النعاس قد غلبني لهنية من الزمن، إذ حينما
فتحت عيني مجدداً كان كل ما حولي غارقاً في سحابة من
ظلام، توقفت لأكتشف أن الكون إنذار، وأنا أجذب إلى ما
لا نهاية في ذلك العدم، لقد عدلت مساري لأجذب في الاتجاه
الصحيح وأخرج لدائرة الضوء"¹.

يوضح نيتشه إنفصاليه عن هذين الرجلين قائلاً:

"لقد مثل إنفصالي عن فاغمر حدثاً كارثياً بالنسبة لي، وأن يكون
بوسعك أن تحب شيئاً بعدها فذلك ما يعدّ نصراً، ربما ليس هناك
من أحد قد تورط على نحو أكثر خطراً في الفاغمرية مني، وما من
أحد كان عليه أن يحمي نفسه منها مثل هذه الحد، وما من أحد
إستطاع أن يبتهج أكثر بالتخلص منها"².

يضيف أيضاً قائلاً في السياق نفسه:

"لقد إتخذت موقفاً ضد كل ما كان مرضاً فيّ، بما في ذلك فاغمر
بما في ذلك شوبنهاور وبما في ذلك مجمل الأفكار، الأحاسيس
الإنسانية الحديثة، إنفصال عميق برودة قصوى وفتورا إتجاه كل
ما هو معاد وكل ما هو موافق للعصر، ورغبة وحيدة أرقى من كل
الرغبات هي عين التي تنتظر إلى مجمل الظاهرة المسماة إنساناً
وتراه يعيد نحتها، وتحقق إنتصاراً على النفس"³.

بعد أن خيل لنيتشه أنه قد وجد النور لبناء مشروع فلسفي متكامل من خلال إيمانه بأن
الخلاص الأبدي يمكن أن يكون في موسيقى فاغمر وفي النزعة التشاؤمية لشوبنهاور، إستيقظ
نيتشه من حلمه المؤقت الذي آمن فيه شديد الإيمان بقدرة كل من هذين الرجلين بإحداث

¹ لانس أولسن، قيلات نيتشه، ط1، (بيروت، لبنان، دار التنوير للطباعة والنشر، 2017)، ص 14.
² فريدريك نيتشه، قضية فاغمر، تر: علي مصباح، ط1، (بيروت، لبنان، منشورات الجمل، 2016)، ص 5.
³ المصدر نفسه، ص 6.

التوازن بين حياة هادئة يميزها السكون ،وبين حياة مشحونة بالقلق والإضطراب لكن حدث ما لم يرغب فيه ، كانت نزعة شوبنهاور التشاؤمية ،وموسيقى فاغنر نشوة للضعف والإنحلال ،لا نشوة للقوة ،وهذا ما "إستدعاه لأن يتفطن من سباته ويكتب مؤلفاته التي كشفت عن فجر جديد في مجال الفلسفة والكتابة"¹ .

إنَّ القارئ لكتب نيتشه يتأكد من أنَّ فلسفته إمتزجت بحياته* ،لأنه يتفلسف بكيانه كله وبوجوده الكامل ،ولا يتفلسف نظريا فقط ،أو يفكر في مشاكل تجريدية جامدة فقدت صلتها بالحياة وهكذا كان نيتشه يقبل نوعا فريدا من الفلسفة ،نوعا يجعل حياته في هوية مع فكره فلا يثق بأي "مشكلة عقلية لا تسري مع الحياة في تيارها ،ولا تتبع من أعماق شخصية من يفكر فيها"²،و إنطلاقا من هذا قد "ألم من حياة عصره وحياته وأحس إحساسا عميقا قد جعلته تجربته الخاصة بالحياة يائسا قانطا قبل أن تغرق ملكاته الفذة ومواهبه في بحر الإختلاط والجنون"³ يقول أندريه جيد :

"نعم إنَّ نيتشه ينقض ،ويهدم ،لكنه لا يفعل ذلك بوصفه محبطا فقط ،بل بوصفه شرسا يفعل ذلك بنبل ومجد وبصورة فوق بشرية ،مثلما يغضب فاتح جديد أشياء باتت قديمة ، والحماس الذي يبدو في عمله ،هذا يعطيه مجددا لآخرين من أجل البناء ،هل يهدم نيتشه؟ كفى هذا إنه يبني أقول لكم يبني بعنف"⁴ .

لكن لا يجب أن نفهم من ذلك أنَّ فلسفة نيتشه هي إستسلام لمزاجه الشخصي لأن أسلوبه الحدسي والشعري ، في آن واحد أسلوب غير معتاد ، ولذلك "هو فريد لأسباب فلسفية ، ولأن لمفرداته على الأقل معنى فلسفيا"⁵ .

نظرا لأهمية فكر نيتشه وتفرده وتميزه عن غيره من الفلاسفة ،لقي صدى واسعا وقبولا مبهرًا وسط الساحات الفكرية كان تأثيره واسعا ووراء إتجاهات فكرية جديدة ظهرت في فرنسا

¹عبد الرحمن بدوي ،نيتشه،ص13.

* من الممكن القول أن حياة نيتشه الشخصية كانت مصداقا عمليا لفلسفته و هذاما أعطى أفكاره بعد إستثنائيا ذلك لأنها تنطلق من تجربة أنطولوجية معاشة ، هناك علاقة جدلية بين تجربته الشخصية و تجربته الفكرية للمزيد ينظر رودولف تشاينر، نيتشه مكافحا ضد عصره ، تر : حسن صقر ، دون ط ،(دمشق ، دار الحصاد ، 1998) ، ص 52 .

² فؤاد زكرياء ،نوايغ الفكر الغربي ،نيتشه،ص17.

³ عادل العوا ،العمدة في فلسفة القيم ،ط1،(دمشق ،أوتوستراد المزة للدراسات والنشر والتوزيع ،1986) ،ص122.

⁴ بيار هيبرسوفرين ،زرادشت نيتشه،تر:أسامة الحاج ،(بيروت ،لبنان ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،1994) ،ص61.

⁵ المصدر نفسه،ص38.

في النصف الثاني من القرن العشرين مثل ما بعد البنيوية، والتفكيكية، وما بعد الحداثة إشتغل معظم أعلام هذه التيارات في إعادة تفسير أعمال نيتشه ووضع أفكاره في سياق إتجاهاتهم مثل فوكو و باتاي و دريدا و دولوز، "ويعد نيتشه تراثا مشتركا بين هذه الإتجاهات الفكرية الفرنسية والجيل الأول من مدرسة فرانكفورت، ويمارس تأثيرا مماثلا عليها معا، وهذا ما دفع هابرماس إلى البدء بنيتشه ورؤيته للحداثة، بإعتباره النقطة التي يبدأ منها ويعتمد عليها فكر ما بعد الحداثة وفكر مدرسة فرانكفورت"¹، وهو ما لاحظته كارل لوفيت وهو يتابع فكر القرن التاسع عشر حيث قال:

"إن هيجل و نيتشه يمثلان الحدين الذين تحرك بينهما الحدث الأصلي لتاريخ الفكر الألماني، في القرن التاسع عشر هيجل يبدو بعيدا جدا عنا، فيما يبدو نيتشه قريبا منه، يمثل هيجل الإكمال و نيتشه البداية الجديدة".²

يميز كارل لوفيت فيما ذكره بين تيارين فلسفيين الأول يمثل هيجل الذي تحدت في كتاباته معالم الحداثة، والثاني نيتشه الذي سعى إلى تجاوز الميتافيزيقا منبئا بما بعد الحداثة، عبر نقده الذي يوجهه للعدمية الأوروبية وهو نفس ما أكدته الفيلسوف ميشيل فوكو حين قال:

"إن نيتشه هو أحد ثلاثة مفكرين كبار دشّنوا النقد الجذري للحداثة في الغرب، وهم ماركس ونيتشه وفرويد وإن كان نيتشه هو الأكثر جذرية، حيث طاول تقريبا كل الأسس التي قام عليها كل التراث الفلسفي للإنسانية".³

إنطلاقا من هذا لُقّب نيتشه بفيلسوف ما بعد الحداثة، "أين تبدو كل المفاهيم متغيرة، تعبر عن التبعض والإختلاف والتعدد والنسبية والانفتاح وقابلية التغير الكامل والدائم"⁴، وهذا يدل على الجهد الجبار الذي قام به فيلسوفا عندما عمل على إسقاط كل الزوائد التي علقت بالإنسان

¹ أشرف حسن منصور، "التأثير النيتشوي على مدرسة فرانكفورت"، رؤية هابرماس، مجلة الملتقى، 16 ماي 2007، ص 78.
² كارل لوفيت، من هيجل إلى نيتشه، التفجير الثوري في فكر القرن التاسع عشر، تر: ميشيل كيلو، دون ط، (دمشق، منشورات وزارة الثقافة السورية، 1988)، ص 8.

³ ميشيل فوكو، جينالوجيا المعرفة، تر: أحمد السطائي. عبد السلام بنعيد العالي، ط1، (المغرب، دار توبقال للنشر، 1988)، ص 35.
⁴ تيري إنغلتن، أو هام ما بعد الحداثة، تر: منى السلام، (القاهرة، مصر، مركز اللغات والترجمة، أكاديمية الفنون، 1988)، ص 112.

والتاريخ مثل العقل، المنطق والدين المسيحي خصوصا وغيرها، فأزمة الحاضر عند نيتشه تتلخص في إنهيار الحضارة المدنية، "إذ لم يبق منها إلا مجرد الحبر السطحي الذي لا جذور له، وفقدان الفن لجوهره وتعويض ذلك في التصنع وتحويل الحياة إلى كان، أي فقدان الشيء نفسه والإلتجاء إلى المثل وضياع اليقين والوقوع في الشك فالعدمية هي النتيجة المنطقية لكل القيم والمثل"¹ تعتبر العدمية من أهم المرتكزات والمفاهيم الأساسية التي بنى نيتشه عليها فلسفته لذلك إرتأينا أن نوضحها قبل أن نتطرق إلى فكرته عن الإنسان السوبرمان وإرادة القوة .

أ-1- العدمية في فلسفة نيتشه :

إن فكرة العدمية* تشكل محورا مهما من محاور فلسفة نيتشه، وهي فكرة متجذرة في التراث الفلسفي، ويوصف نيتشه بأنه آخر العدميين وأن رسالته هي الكشف عن تصدع عصره البرجوازي وإنهياره على رؤوس رجاله وتعري وعيه الكاذب بأسره، وتغير ألواح قيمه التي فقدت قيمتها بعد أن تداعى عمود النظام الميتافيزيقي الذي كان يستند إليه². لا يفهم نيتشه الفلسفة الغربية إلا وهي أفلاطونية أو كمتظهر للأفلاطونية في أكثر من مستوى سواء الفلسفي أو الديني أو الفني، لذا يضع نيتشه عنوانا لفلسفته على أنها الحركة المضادة للميتافيزيقا، أي مضادة للأفلاطونية بمعنى واحد³.

إن نيتشه هو أول من ذكر مبدأ العدمية بصورة جديدة ومعنى جديد، ويقصد بهذا المبدأ أن لا قيمة للقيم أي ما كان في العصور السالفة مبادئ رائجة وثابتة ومثلا عليا سامية، صار علما فقد القيم كل معنى أو حقيقة، إن جديد نيتشه هو وصفه لعدمية الأزمنة الحديثة بالعدمية

¹ عبد الكريم عينات، نيتشه والإغريق، إشكالية أصل الفلسفة، ص 13.

*العدمية Nihilisme مشتقة من اللفظ اللاتيني Nihil ومعناه لا شيء، وهي ثلاثة أقسام، فلسفية وأخلاقية وسياسية، أما العدمية الفلسفية (Nihilisme) هي (Philosophie) فهي مطلقة أو نقدية، الأولى تتميز بإنكار قدرة العقل على الوصول إلى الحقيقة، وأما العدمية الأخلاقية (Nihilisme moral) هي مذهب نظري أو نزعة فكرية دلت على خلو العقل من تصور هذه القيم، وأما العدمية السياسية (Nihilisme politique) هي إصطلاح سياسي إستعمله للمرة الأولى تورجنيف في روايته المسماة الأبناء 1863، ويطلق على المذهب السياسي والاجتماعي الذي إعتنقه عدد كبير من الثوريين الروس قبل سقوط الحكومة القيصرية عام 1917، وقوام هذا المذهب إنتقاد الأوضاع السياسية والاجتماعية، والإمتناع عن الإعتراف بشرعية القيود القانونية المفروضة على الأفراد والعدمية السياسية مرادفة للفوضوية (A marchisme). بتعبير آخر العدمية نزعة تقوم على النقي والإنكار في الفلسفة والأخلاق والسياسة، فتتكرر أي حقيقة ثابتة على الإطلاق، وتذهب إلى أن القيم الأخلاقية مجرد وهم وخيال كما يرى نيتشه وتزعم ألا داعي مطلقا لدولة أو لتنظيم سياسي يسلب الفرد حريته". للمزيد ينظر، جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الأول، ص 67، و أيضا إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، ص 118.

² عبد القادر مكاوي، "نيتشه والتحليل النفسي"، مجلة الملتقى، 16، ماي 2007، ص 18.

³ Martin Heiddegger , chemins qui ne mènent nulle part , op cit , pp 261-262.

الناقصة أما العدمية السلبية* التي يقول عنها نيتشه "وضع مركز ثقل الحياة لا في الحياة وإنما هي الأكثر بعدا في الآخرة، في اللاشيء سلب الحياة من أهميتها وثقلها"¹ وهو يبرر ذلك بما لاحظته على الفلسفة من ميل إلى البحث عن قيم جديدة تعوض بها القيم المنهارة نتيجة أفول عالم الآلهة وإحساس الإنسان بالتقلب والتبدل الدائمين، وفقدانه لمرجع ثابت يستند إليه .

بعبارة أوضح لقد بحثت الفلسفة الحديثة عن قيم هي في النهاية من طينة القيم السابقة نفسها، أي كونها ميتافيزيقية متعالية أفلاطونية، وحتى يتجاوز نيتشه هذا التردد نادى بالعدمية الكاملة، يقصد تلك العدمية التي لا تحفل بانهيار القيم القديمة أو تنزعج لفقدانها وأنها هي تقول في مبدئها "لقد إنهارت القيم القديمة، هذا أمر غير مأسوف عليه، لنضع لأنفسنا قيما جديدة أخرى غير القيم الميتافيزيقية"²، في نظر نيتشه النقد الجذري للفكر الميتافيزيقي لا يتحقق إلا بفضح الحقيقة التي تكمن في أنه مجرد أخلاق، وهنا هو ينتقد الميتافيزيقا بكل مفاهيمها الأساسية من زاوية أنها تزيف صارخ ومقصود للوجود، "هي تحيك تصورات زائفة على العالم وعلى الواقع وتضفي على هذا الواقع أوهام الذات وإستيهاماتها، وهنا تظهر الميتافيزيقا في جوهرها بأنها تجاهل وإستبعاد من الواقع الحقيقي وتوجه وتعال نحو واقع آخر مختلف ووهمي ومن ناحية ثانية تشيّد للإنسان عالما آخرًا مثاليا ووهميا وتخلع عليه جميع صفات الكمال، الثبات، الخير والخلود"³، أمّا الهدف الآخر من نقد نيتشه للميتافيزيقا هو نزع الهالات الأسطورية عن صورة الإنسان كما رسمتها قرون عديدة من الأكاذيب والأضاليل، تلك الأساطير الفلسفية التي ساهمت في تثبيت أفكار انكار الحياة وقتل الذات بإسم قيم عليا

* للعدمية في فلسفة نيتشه معان عدة تختلف عن بعضها البعض لكنها تتوحد في كونها عملية نفي وإلغاء وسلب لوجود ما إن كان في العالم الظاهر أو عالم المثل المعنى الأولى من العدمية يسميه نيتشه بالعدمية السلبية وهي كما يرى انحطاط وارتداد الروح أي هيمنة الروح الإنكارية على الفلسفة وفي الحضارة الغربية، وسيادة مبدأ تحقير الحياة والوجود وتحقير الجسد وإعتبار الحياة مصدر ألم وعذاب، وهذه الروح الإنكارية بدأت مع سقراط وصولا إلى الفلسفة الحديثة، ومعها الديانات أما المعنى الثاني للعدمية فيسميه نيتشه بالعدمية الفاعلة وهي علامة على زيادة في الروح، وهذا الشكل من العدمية هو الذي يعدّه نيتشه إيجابيا وفاعلا وهي تقوم على ترابط وتعاضد القوة للإرادة والفكرة والعدمية التي يؤمن بها نيتشه هي التي تعني أن القيم العليا قد فقدت قيمتها في ذاتها، للمزيد ينظر: عبد الله عبد الهادي المهرج، نقد المركزية في فلسفة نيتشه، ط1، (بيروت، لبنان، دار الروافد الثقافية ناشرون، 2012)، ص 193، أنظر أيضا: جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، تر: أسامة الحاج، ط2، (بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، 2001)، ص ص 164-190.

¹ فريديريك نيتشه، عدو المسيح، تر: ميخائيل ديب، ط2، (سوريا، دار الحوار، دون تاريخ النشر)، ص 119.

² محمد الشيخ، ياسر الطائي، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، ط1، (بيروت، لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1996)، ص 14.

³ عبد الرزاق الداوي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، هيدجر، ليفي شتراوس، ميشيل فوكو، دون ط، (بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، دون تاريخ للنشر)، ص 34.

مزعومة، وربما لا نجد في خطاب نقد الميتافيزيقا عند نيتشه أبلغ من عبارته "عن موت الإله" للإيفاء بالدلالة الجذرية التي يريد إعطاؤها لمشروعه النقدي: إسقاط جميع الأطروحات، جميع العوالم الماورائية، و"نسف جميع القيم والمثل العليا بصفة خاصة تلك التي نشأت في فلسفة الأزمنة الحديثة، العقل، الديمقراطية...."¹.

لقد شكّل مفهوم العدمية عند نيتشه نهاية لحقبة ساد فيها الله، الحقيقة الأساس، حيث يتلخص مسار العدمية كله بالنسبة إليه بموت الله*، وأيضا بإفراغ القيم العليا من قيمتها ولا تقتصر العدمية على مجرد إختفاء القيم بل يتركز على إختفاء القيم العليا المختصرة تماما في القيمة العليا بامتياز -الله- إن كان الله يموت لأنه ينبغي إنكاره بإسم الأمر عينه الخاص بالحقيقة والذي لطالما تقدم لنا على أنه قانونها، معه يفقد أيضا أمر الحقيقة معناه. وهذا في النهاية لأن "ظروف الوجود أضحت أقل عنفا وبالتالي وبصورة خاصة أقل إثارة للشفقة هنا في هذا التركيز على عدم جدوية القيم الأخيرة تكمن جذور العدمية"².

لقد أنكر نيتشه وجود قيم مطلقة أو معايير ثابتة لا تتغير ورفض القول بإرجاعها إلى الله كما أنكر القول بردها إلى العقل، أنكر بالتالي وجود خير في ذاته أو حق في ذاته، ورأى أن مرّد المعايير إلى الإنسان الذي يتغير بتغير ظروفه وأحواله.

إنّ نيتشه هو بلا منازع رائد الفلسفة المادية اللاعقلانية، ولخص رؤيته كما أشرنا في عبارته الشهيرة "لقد مات الإله"، بمعنى نهاية فكرة المركز الكائن خارج المادة بل وفكرة الكل ذاتها، بإعتباره كيانا متماسكا يعلو على الأشياء، ومن ثمّ يسقط المركز بسقوط فكرة الكل

¹ عبد الرزاق الداوي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، هيدجر، ليفي شتراوس، ميشيل فوكو، ص 41.

* يرى البعض أن فكرة موت الإله من وجهة نظر نيتشه تقود إلى العدمية والعدمية تشير إلى أنّ العالم يفتقر إلى المعنى الموضوعي والثقافي، وبالتالي فإن القيم الأخلاقية والسياسية والاجتماعية تصبح عبارة عن تأويلات مبدعة وخلاقة وذلك لأنّ بدون الإله لا يمكن أن يوجد أي أساس موضوعي ثابت لكل قيم للمزيد ينظر :

Douglais J, soccio :AR chetypewisdon ,AN introduction to Philosophy ,fifth edition ,U.S.A ,2004 ,p 477.

² جاني فاتيمو، نهاية الحدائث، تر: نجم بوفاضل، ط1 (بيروت، لبنان، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، 2014)، ص 30-35.

المتجاوز فيصبح العالم أجزاء لا تشكل كلاً ولا مركزاً لها وذرات لا يربطها رابط ، مما يعني إنكار وجود رؤية حقيقية ثابتة وإنكار فكرة العالمي والعام .

أعلن نيتشه أن الإيمان السائد بأن العقل الإنساني قادر إلى التوصل إلى علم يستطيع أن يزوده بمعرفة يقينية وأنساق أخلاقية هو "وهم ليس إلّا وأنّ المركزية التي تخلعها الفلسفة على الإنسان مركزية زائفة"¹ ، هو كائن طبيعي ليست له أهمية خاصة ، بل وأعلن نيتشه أنّ الطبيعة ذاتها لا قداسة لها هي مجموعة من القوى المتصارعة والحديث عن أي مطلّقية هو عبث ، فكل الأمور مادية وكل الأمور المادية متساوية ، والفلسفة الحديثة حسبته تصدر عن موت الإله أي إنكار وجود أي نقطة ثابتة أو صلبة ، هي فلسفة تبذل قصارى جهدها أن تزيل ظلال الإله ، لذا جعل نيتشه همّه أن يحرّر الإنسان من أية أوهام منبثقة عن الثبات والتجاوز والكلية وتطهيره من أي قيم وثوابت وكلّيات قد حاول أن يحطم كل ما كان يسمى مقدساً وخيراً وحقاً وجميلاً ومطلقاً ، وذلك "حتى يقضي على اليقين المعرفي والأساس الديني للأخلاق وأيضاً القضاء على مفهوم وفكرة الأخلاق ذاتها"² .

حتى مفهوم الحقيقة يراه نيتشه إنعدام أصلي منه يشرع في خلق ما هو حقيقي ، إنّها ليست حصيلة ما هو موجود بل ما هو مفقود وليس لهذا الفقدان مضمون ثابت ولا وحدة داخلية ولا شكل راسخ ، "ولذلك هو يحافظ على حضوره بإمكانات متجددة ، وهو نفسه الذي يجعل من الأوهام التي تم نسيانها باعتبارها كذلك حقيقة"³ .

إنّ عدمية نيتشه الوجودية كانت مصداق خطابه العدمي الذي لم يقرأ فيه دعوة إلى مجرد السلب والعبث ، بقدر ما أراد إحصاء مظاهر المرض أو الإنهاك التي تعرّضت لها القيم في المجتمعات الحديثة ، لقد أراد نيتشه "أن يبعث الروح في خواء الإنسان ، أن يخلق معنى وجوده

¹ عبد الوهاب المسيري ، فتحي التريكي ، الحداثة وما بعد الحداثة ، ط3 ، (دمشق ، دار الفكر ، 2003) ، ص 38.

² المرجع نفسه ، ص 29.

³ عبد العزيز بومسحولي ، عبد الصمد الكياص ، حسن أوزال ، أفول الحقيقة ، الإنسان ينقض ذاته ، دون ط. (المغرب ، إفريقيا الشرق ، 2004) ، ص 47.

ويتحمل مسؤوليته في إدارة مصيره، ووضع مستقبله بصورة لا تأسره فيها هوية مسبقة أو تعريف حاسم نهائي¹.

من وجهة نظر أخرى يفسر هيدغر هذه الفكرة أي "موت الإله" في وجهها السلبي بأنها لا تنصب على الإله المسيحي ولا على آلهة الأديان الأخرى بوجه عام بل إنّ المقصود بها هو عالم ما فوق المحسوس وعالم الميتافيزيقا والمثل بوجه عام، فالعالم الآخر بكل صوره الفلسفية قد فقد دعامته وإنهار من أساسه، تلك الفكرة إذن مرتبطة بموقفه من الفلسفات التقليدية كل الارتباط، وهي تمهد تمهيدا مباشرا لرفض الميتافيزيقا القديمة بحيث لا يتبقى أمام الفكر إلّا البحث عن القيم، وتنتقل الفلسفة إلى البحث في الذات وفيما له قيمة بالنسبة إليها لذلك قيل أنّها تعبر في ظاهرها من نفي لكل حقيقة عليا، عن سعي لنيتشه إلى التعالي، وبينما تبحث الأديان على التعالي فيما يتجاوز الإنسان يريد نيتشه أن يحقق هذا التعالي ذاته عن طريق الإنسان، لم "يقبل نيتشه بفكرة موت الإله إلّا لإفساح الطريق أمام الإنسان حتى يمكنه أن يحقق كل ما تسع له جهوده"².

أ-2- إرادة القوة عند نيتشه :

عيب كل الفلاسفة المشترك في نظرية نيتشه هو كونهم ينطلقون من الإنسان الحالي ويتخيلون أنهم قد بلغوا الهدف من خلال تحليلهم له بشكل غامض، يتخيلون الإنسان دون أن يقصدوا ذلك وكأنه حقيقة خالدة، يتخيلونه واقفا ثابتا وسط دوامة الكل، ومقياسا ثابتا للأشياء، لكن كل ما يذكره الفيلسوف عن الإنسان ليس في الحقيقة سوى شهادة حول إنسان فترة زمنية جد محدودة، يعتبرون "صورة الإنسان الأخيرة مثلما شكلتها تأثيرات بعض الديانات هي الشكل الثابت الذي منه ينبغي أن يكون المنطق"³، فقد الإنسان في نظر نيتشه قدرا كبيرا من كرامته لأن الإنسان كان مركز الوجود دائما والحقيقة أنّه فقد الإيمان بقيمته ولا يشعر بها ما دام الكائن

¹ علي حرب، "الجنون من فرط العقل أو محنة الإنسان الأعلى"، السفير الثقافي، الجمعة 23 حزيران، 2001.

² عبد الرحمن بدوي، نيتشه، ص 45-46.

³ فريدريك نيتشه، إنسان مفرط في إنسانيته، كتاب العقول الحرة، الجزء الأول، تر: محمد الناجي، دون ط، (بيروت، لبنان، إفريقيا الشرق، 2002)، ص 18.

الكلي العزيز غير كامن من وراء تصرفاته (وهنا يقصد نيتشه الإنسان الأعلى أو الأقوى) فالقيم الواجبة التي وجب على الإنسان أن يعيش في خدمتها قد تم تقويتها ورفعها فوق الإنسان كحقائق، لأنها "أوامر الرب، كما لو كانت هي العالم الحقيقي، هي الأمل في عالم آت حيث بدا بوضوح أصل هذه القيم الحقيرة، وبدا العالم بسبب ذلك حقيراً كما أنه فقد معناه"¹.

نظر نيتشه للأديان والفلسفات باعتبارها ليست سوى منظومات خطابية ضد صيرورة الوجود بكليتها، إنها تخدم الإفتراء على العالم، وعلى القوة، وعلى الإنسان لصالح العاجزين، وتهدف إلى إهانة السعيدين الأقوياء وتحقير مواقف الإحتفاء الذاتي، كذلك كل ما ظلت تحمله الميتافيزيقا وتنقله من حكم صالحة وعلوم وخبرات حياتية إنما هو الخطوة الأولى لتحركها الخفي والواثق باتجاه تحقير الواقع بإسم حقيقة أرقى وعالم مضاد، ستظل تطري عليه بهدف التقليل من شأن العالم الآخر وتحقيره، إنه في نفس الوقت ذلك الإطراء الذاتي الذي تمارسه الرغبة الإنتقامية لتستطيع بفضلها أن تمنح الضعفاء والحمق إمكانية للإعلاء من شأن ضعفهم وحمقهم داخل الخطاب الديني الميتافيزيقي، بحيث "يتحول الوضع والمحتقر إلى طاقة مأكرة لعنف معكوس"². يوضح نيتشه ذلك قائلاً:

"إنَّ الأديان التي سادت لحد الآن تدخل في باب الأسباب الرئيسية التي كبلت طراز الإنسان وأبقته على درجة متدنية إنها أفرطت في الحفاظ على كثير مما كان يجب أن يهلك لقد آمنوا للمتألمين تعزية، وللمقموعين واليائسين طمأنينة وللا مستقلين عماداً أو سنداً، فحفظوا كل مريض ومتألم حطموا بهذا الأقوياء، وقضوا على الآمال الكبيرة، ونكسوا كل متجبر ورجولي، غاز تائق للسلطة، وكل الفطر الخاصة بأعلى طراز بشري وأنجح، وأن يحولوها إلى قلق وإزعاج ضمير ذاتي"³.

¹ فريدريك نيتشه، إرادة القوة، محاولة لقلب القيم، تر: محمد الناجي، دون ط، (المغرب، إفريقيا الشرق، 2001)، ص ص 15-16.

² بيتر سلوتردايك، الإنجيل الخامس لنيتشه، تر: علي مصباح، دون ط، (بغداد، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، 2002)، ص ص 48-49.

³ فريدريك نيتشه، ما وراء الخير والشر، تبشير فلسفة المستقبل، تر: جيزيلا فالور حجار، ط1، (بيروت، لبنان، دار الفارابي، 2003)، ص 98.

إنْتَفُض نيتشه ضد الفلسفات التي تصنع بفكرها صورة عن الإنسان الضعيف ،وتدعوا إلى إعتناق مذهب الإنحطاط والإستسلام والرضوخ ،ودعى إلى ضرورة بناء خطاب فلسفي يلقي الإنسان مسميات القوة والصلابة ،يقول نيتشه:

"هل تعلمون ما يعنيه لي هذا العالم ،إنّه بحر من القوة لا أول له ولا آخر ،كم من قوة فولاذية لا يزيد حجمها ولا ينقص ،إنّ العالم هو لعبة القوى،بحر من القوى الهائجة هو العاصفة المحركة لها"¹.

بهذا وصل فكر نيتشه إلى أقصى حدوده بعد أن عجم الفكر الغربي طويلا ،وقلبه على كافة وجوهه ،وقام "بأكبر عملية نقد للمسيحية والأخلاق الكلاسيكية ،لقد غامر بعيدا حتى وصل إلى الطرف الآخر للفكر"².

يرى نيتشه أن المسيحية قد إنحرفت عن المسيح ولم يكن في التاريخ مسيحي واحد هو المسيح ،وقد مات على الصليب وكل ما ألصق به بعد ذلك كان نتيجة للمصادفة التاريخية المحضة أو لدوافع ومآرب شخصية ،المسيح هو المسيحي الوحيد أما الجماعة المسيحية الأولى هي عدوة المسيح ونيتشه نفسه عدو للمسيحية وعدو للمسيح لذا نشأ الإنحراف التاريخي على ما يقول نيتشه من الشعور بالحق الذي يتولد عند الفاشلين والمضطهدين ويعني به الحق الناشئ عن إرادة القوة ،وقد يكون خالقا للقيم والمثل ،العدالة الخلقية تدل على رغبة في الإستعلاء والعدالة تدل على رغبة مكبوتة للانتقام ،والمثل العليا قد تشير إلى " معركة كامنة ضد من يمثلون المناصب العليا هذه الدوافع التي يكنها الضعيف للقوي والتي تظهر في مظهر عال تحتوي على إنحرافات شديدة"³ ، لقد كانت المسيحية حسبه رد فعل على اليهودية فهي ظاهرة يهودية أثر اليهود إختيار الوجود على عدم ،وانقلبت الآية في المسيحية التي تم فيها أخذ عدم وترك الوجود ،كرد فعل على الإختيار الأول ،وكان الثمن تزيف كل شيء من قيم ومثل وأخلاق ،وبالتالي خلقت غريزة الحق عالما جديدا تصبح الإستجابة فيه للحياة شرا ،ويفسر نيتشه اليهودية كما يفسر المسيحية بغريزة الحق و يصرح قائلا:

¹ فريدريك نيتشه ،إرادة القوة ،ص 304.

² هاشم صالح ،"فيلسوف القاعة الثامنة" ،مجلة الكرمل ،يوليو ،1984 ،ص 16.

³ حسن حنفي ،"بين ياسبرز ونيتشه" ،مكتبتنا العربية ،تيارات فلسفية ،العدد 56 ،أكتوبر 1969 ،ص 11.

"لقد أدانت اليهودية القوة والسيطرة والنجاح في الأمور
الدنيوية ولذة الحياة مما إضطر اليهود إلى إنكار
الوقائع والتوصل من تاريخهم المليء بالحروب
والمغامرات"¹ ،

لقد عمد إذن نيتشه إلى نقد دعوة المسيحية التي إمتازت بالرحمة وحب المساكين
والضعفاء ،حمل عليها ووجد فيها ميدانا لبحث القيم والأوزان التي يعيش بها الأوروبيون
المسيحيون رأى أنّ "الأخلاق تعارض بقاء الصقور وتصدّمهم عن حقّهم الذي تنطق به
الطبيعة"² ،وهو أنّ الصقر يجب أن يأكل العصفور ،إنّ بين البشر عصفير ضعفاء يستحقون
الفناء ،كما أنّ بينهم صقور قوية تستحق البقاء ،إنطلاقا من هذا ترمي فلسفة نيتشه لجعل
غاية الحياة خدمة الأقلية من الشخصيات السامية وليس خدمة الأكثرية أو سواد الأمة ،وهو هنا
بمعنى آخر "يطلب أخلاق السادة بدلا من أخلاق العبيد"³.

يلمح نيتشه إلى أن الناس العاديين أنهم كائنات غير متقنة ومارقة ولا يجد إعتراضا على
معاناتهم إن كان ذلك ضروريا لإنتاج رجال عظام ،لأنّ الفضيلة معادية للنظام وتؤدي من هم
أدنى ،ومن "الضروري لمن هم أعلى أن يتصلوا من الفضيلة ويشنوا الحرب على الجماهير
ويقاوموا الميول الديمقراطية للعصر"⁴ ،يقول نيتشه :

"إنّ الأحكام القيمية لدى الأرستقراطية المقاتلة تعتمد
على بنية جسمية قوية على صحة عارمة دون نسيان
الشرط اللازم ليعهد هذا النشاط المتدفق الذي هو
الحرب ،المغامرة والتمارين الرياضية وكل ما يقتضي
حيوية شديدة البأس ،أما طريقة التفسير لدى
الشريحة الكهنوتية العليا تقوم على شروط أخرى ،ليس

¹ حسن حنفي ،"بين ياسبرز ونيتشه" ،ص 19.

² سلامة موسى ،هؤلاء علموني ،ط2،(القاهرة ،دار المعارف ،دون تاريخ النشر) ،ص 75.

³ المرجع نفسه ،ص 71.

⁴ برتراند راسل ،تاريخ الفلسفة الغربية ،الكتاب الثالث ،الفلسفة الحديثة ،تر: محمد فتحي الشنيطي ،بدون ط،(القاهرة ،دار المصرية العامة للكتاب
1977) ،ص 397-398.

الأمور بالنسبة لها الحرب ،من الواضح أن اليهود
أسوأ الأعداء"¹ .

لقد وصل نيتشه إلى قمة هرمه النقدي بمبدأ إرادة القوة ،طرحها ندًا في مواجهة السلطة
الإلهية ثم بدأ بعملية إقصاء أو إلغاء الإله من على الوجود ،من "أجل إحلال مبدأ إرادة القوة
باعتبارها الهدف الذي يسعى الإنسان إلى الوصول إليه"² ،لقد أزال نيتشه صفة الألوهية عن
الطبيعة ونفى إرادة الإله في تفسير التاريخ وقد سمح له ذلك بالقول بصراع الإرادات كمحرك
للتاريخ بدل الإله المدبر ،فإعتبر الصراع الأبدي هو الروح المدبرة لأمر التاريخ إلى ما لا
نهاية³ ،يبين ذلك نيتشه في قوله:

"حتى الآن يتم تعليم الناس لا هذا ولا ذاك ، بل
تعليمهم الفضيلة والإستقامة والرحمة بل حتى
جحود الحياة ، وهذه هي قيم المنهكين أي الضعفاء
وراء أكثر الأسماء قداسة وجدت أشد الميول تدميرًا
لقد أطلقوا إسم الرب على ما يضعف، على ما يعلم
الضعف ،على ما يصيب بعدوى الضعف ،وجدت
أنّ الإنسان الصالح إثبات ذاتي للإنحطاط"⁴ .

يضيف في الموضع نفسه:

"لقد أطلقوا إسم الرب على مقاومة القدر على إفناء
الإنسانية وإفسادها -العرق فاسد- لم تفسده رذائله
بل جهله ،لقد فسد لأنّه لم ينظر إلى الإنهاك على أنّه
إنهاك ، الغموض الفيزيولوجي هو أصل كل شر
الفضيلة أكبر سوء تفاهم بيننا"⁵ .

¹ فريدريك نيتشه ،أصل الأخلاق وفصلها ،تر:حسن قيسي ،دون ط،(لبنان،مجد للدراسات و النشر و التوزيع،دون تاريخ النشر)، ص 29 .

² عبد الهادي المهرج ،نقد المركزية في فلسفة نيتشه،ص182.

³ الحسين خدوش ،نيتشه ونقد المعرفة التاريخية الحديثة، دون ط،(الرباط ،المغرب ،مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والبحث، دون تاريخ النشر)،ص 120 .

⁴ فريدريك نيتشه ،إرادة القوة ،ص 69.

⁵ المصدر نفسه ، الموضع نفسه .

إنّ إثبات الحياة في جوهره رغبة ملحة تسكن الإنسان في تجاوز القيم السائدة وخلق قيم جديدة، فإنّ هذه القيم لا تنشأ إلاّ إنطلاقاً من مقولة إرادة القوة التي هي مصدر كل تقويم إنّ إرادة القوة هي موضوع الفلسفة النيتشوية بإطلاق. وكما كانت فلسفة نيتشه تتعلق أساساً بالحياة من حيث هي مجال لخلق القيم، إنّ هذه الفلسفة تكاد تسوّي بين إرادة القوة وبين الحياة من جهة أخرى، إذ أنّ العالم والحياة والوجود في الحقيقة وجوه متعددة لإرادة القوة، وجوهر الحياة نفسها هو "إرادة القوة التي تعني المقدرة والرغبة التي تسكن كل شخص في أن يهيمن على الآخرين ويخضع الأشياء لسلطته"¹.

يمكن القول بأنّ الأخلاق برمتها ليست شيئاً آخر سوى العلم بأحوال السيطرة وهي "السبيل الذي يمكننا من إيجاد الوسائل الممكنة لتحقيق الإرادة"²، فما هو حقيقي بالنسبة للإحساس هو ما يثيره بقوة الأنا، وما هو حقيقي بالنسبة للفكر هو ما يعطي للفكر أكبر قدر من الإحساس بالقوة، وما هو حقيقي بالنسبة للسمع والرؤية هو "ما يتطلب منها أكبر قدر من المقاومة، إنّ الإحساس بالقوة والصراع بالمقاومة تقنعنا أنّ هناك شيئاً ما نقاومه"³.

لا يعني نيتشه بالإرادة القوى النفسية كما عرّفها علماء النفس، بل هي نزوع الكائن إلى تجاوز ذاته نحو المزيد من القدرة والعمل على تحقيق هذا المشروع فعلياً والذهاب به إلى أبعد الحدود، وبهذا المعنى إنّ إرادة القوة موجودة في كل كائن حي، في النباتات والحيوان والإنسان هي ساكنة في الغرائز والأهواء والإنفعالات والإحساس والشعور أي في كل الطاقات الحية وأما غاية إرادة القوة تتمثل في "تحقيق المزيد من القدرة لدى الكائن بهدف السيطرة والتحكم وإملاك وسائل الإبداع"⁴.

فكل ما تحتوي عليه حياتنا وإرادتنا وفكرتنا هو في الحقيقة نتاج كل ما فينا من الغرائز الحاكمة، وهذه "الغرائز المتفرقة إنما تتشعب بها السبل إلى غريزة واحدة ترد إليها إلاّ وتصدر

¹ Haar Michel, Nietzsche et la métaphysique, Gallimard 1993, p 24.

² إبراهيم عمر، "جوبو ضد نيتشه"، مجلة إبداع، العدد 9، سبتمبر، 2001.

³ محمد سبيلا، عيد السلام بنعبد العالي، الحقيقة، دفاتر فلسفية، ط2، (الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر، 2005)، ص 76.

⁴ يوحنا قمير، نيتشه نبي التفوق، دون ط، (بيروت، لبنان، منشورات الشرق، 1986)، ص 23.

عنها ،هذه الغريزة هي إرادة القوة"¹ ،هذه الإرادة التي تعيننا لو رجعنا إليها في تحليل جميع ظواهر الحياة التي تحيط بنا ،كل كائن يسعى إلى بسط سلطانه على غيره من الكائنات حتى تخضع له ما يخضع منها ،وإنّ هذه الحروب القائمة وهذه الجهود الدائمة، حيث "لا تشعر حياة موجود إلا ببسط نفوذها ونشر قوتها التي تعتبر الشريعة الأساسية في الوجود وفي كل مظاهر الحياة"² .

إنّ تعدد الغرائز وتفكّكها وغياب نظام يجمع شملها يؤدي إلى ضعف الإرادة ،أما تنظيم هذه الغرائز تحت سيادة غريزة واحدة ،يؤدي إلى إرادة قوية ،في الحالة الأولى "نجد التآرجح وعدم التوازن ،وفي الحالة الثانية نجد الدقة و وضوح التوجه"³ .

إنّ كل إرادة قوة تذهب إلى حدها الأقصى لأنّ الحياة لا تزدهر إلّا بإخضاع ما حولها والبطل الذي يقهر نفسه ويقهر الغير لا يطلب سعادة شخصية ،وإنّما هو "يخدم غاية تعلو عليه هي إيجاد الإنسان الأعلى أي صنف أقوى من الناس"⁴ .

يرى نيتشه أنّ الحياة هي إرادة القوة ،وتكريس القوة ،والغرض هو التغلب و الإمتلاك والإستحواذ والحياة العضوية هي صورة دائمة لضروب القوة ،والروح هي في خدمة السمو بالحياة ،وصعود الحياة وإنحدارهما ،هما دائما المعيار لكل القيم والحياة هي القيمة العليا، والحياة عملية خلق دائم وتدمير دائم .

من وجهة نظر نيتشه ليس هناك في الحياة ما يمكن أن تكون له قيمة عدا درجة القوة وذلك طبعا بشرط أن تكون الحياة نفسها هي إرادة القوة ،قوة أولئك الناس المعتدلين الذين ليسوا في حاجة إلى عقائد متطرفة ،أولئك الذين لا يسلمون المخاطرة هم الأوفر صحة الذين لا

¹ سالم حسين العادي ،"فلسفة الحرب عند فريدريك نيتشه" ،المجلة الجامعة ،المجلد الأول ،العدد الخامس ،2013 ،ص 136.

² هنري ليشابزجر ،نيتشه،تر:خليل الهنداوي ،دون ط،(بيروت ،دار بيروت للطباعة والنشر ،1954) ،ص ص 63-65.

³ فريدريك نيتشه ،إرادة القوة ،ص 66.

⁴ فؤاد كامل ،أعلام الفكر الفلسفي ،ط1،(بيروت ،دار الجيل ،1993) ،ص 190.

يخشون المصائب، "رجال متيقنون من قوتهم، ويشكلون القوة التي بلغها الإنسان، مفتخرين بذلك عن وعي"¹.

فإرادة القوة تكمن في الخلق والعطاء، والقوة ليست هي ما تريده الإرادة بل هي ذلك الذي يريد داخل الإرادة، أي الإنسان الأعلى ذاته، إنّ إرادة القوة هي العنصر الاختلافي الذي تنشق منه القوى الحاضرة ونوعيتها داخل مركب معين، هي لذلك عنصر متعدد ومتحرك في إرادة القوة تتحكم قوة ما، وبإرادة القوة تستجيب قوة أخرى، أي أنّ إرادة القوة هي التي تجعل القوى الفاعلة (الأسياء) تؤكد إختلافها، إنّ ما "يؤكد نيتشه هو أنّه لا إرادة سوى إرادة الحياة، وإرادة الحياة هي في حقيقتها إرادة سلطة وقوة"².

يندرج هنا نقد نيتشه للأخلاق والقيم العليا باعتبارها حالة تصعيد غرضها في النهاية هو نفي الحياة، إنّ إرادة قوتها هي إرادة عدم، لا تؤدّ الحياة الضعيفة المبتورة والإرتكاسية، وهكذا يتم الحكم على الحياة من خلال القيم التي تعتبر أعلى من الحياة، إنّ هذه القيم الورعة تتناقض مع الحياة وتندّد بها وتقودها إلى العدم، إنّها "تضمن الخلاص سوى لأشكال الحياة الأكثر ضعفا ومرضا"³، ما نلاحظه هنا أن نيتشه حساس للغاية إزاء المسائل المتعلقة بالقوة، هو يرفض المشاركة في أي عملية يدرك أنّه يسلم فيها قوته إلى شخص آخر، والإعتقاد بأنّ المرء يطور قدراته من خلال التنافس، إذ أنّه يرتاب كثيرا لدوافع أي شخص يتخلّى عن المنافسة ويدعي أنّه شخص يؤمن بالإيثار، هو يؤمن أنّه لا أحد يريد مساعدة الآخر، بل لا يرغب الناس إلّا في الهيمنة على الآخرين وزيادة قوتهم، وفي "المرات القليلة التي يسلم فيها قوته إلى شخص آخر ينتهي به الأمر إلى الشعور بأنّه أصبح مدمرا وغازبا"⁴.

يرى جيل دولوز أنّ نيتشه ينتقد الفلاسفة الذين حللوا مفهوم الإرادة بالقوة بهذا المعنى، حيث تكون القوة هي الشيء المرغوب فيه، والمفضل من قبل الإرادة، إنّ فلسفة الإرادة النشوية

¹ فريدريك نيتشه، إرادة القوة، ص 24.

² السيد ولد أباه، التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، دون ط، (بيروت، لبنان، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، 1994)، ص 57.

³ المرجع نفسه، ص 58.

⁴ أرفين د. بالوم، عندما بكى نيتشه، تر: خالد الجبيلي، ط1، (بيروت، لبنان، منشورات الجمل، 2015)، ص 38.

تدمر الميتافيزيقا القديمة ،وتعلن "أن فعل الإرادة هو فعل الخلق وأن الإرادة في حد ذاتها تحرر الكائن عبر خلق قيم جديدة"¹ .

جوهر القوة هو أن تكون القوة في علاقة مع قوى أخرى وفي هذه العلاقة تتلقن جوهرها ونوعيتها ،تسمى العلاقة بين القوة والقوة إرادة ،وحسب جيل دولوز ينبغي أن يتحاشى التفسيرات المعكوسة بصدد إرادة الإقتدار النيتشوي ،هذا المبدأ لا يعني أن الإرادة تريد الإقتدار أو ترغب في السيطرة طالما يتم تغييرها ،بمعنى الرغبة في السيطرة ،يجري جعلها تابعة بالضرورة لقيم سائدة ،هي وحدها القادرة على تحديد من يجب الاعتراف به على أنه الأكثر إقتدارا في هذه الحالة أو تلك ،وفي هذا النزاع أو ذلك يجري تجاهل طبيعة الإرادة الإقتدار كمبدأ ضروري لكل تقويماتنا كمبدأ مخفي لخلق قيم جديدة غير معترف بها.

حسب نيتشه إرادة الإقتدار لا تمثل في الإشتهاء ولا حتى في الأخذ بل في الخلق والعطاء والحال أن التاريخ يضعنا إزاء ظواهر غريبة تتصرفها القوى الإرتكاسية ،ويتغلب النفي في إرادة الإقتدار ذلك "النصر المشترك للقوى الإرتكاسية ولإرادة النفي ،يسميه نيتشه عدمية أو إنتصار العبيد"² ،فالعدمية الجذرية هي القناعة بالنقص القطيع في صلاية الحياة حين يتعلق الأمر بالقيم الراقية التي تعترف بها ،يضاف إلى ذلك معرفة أنه لا حق لنا كلية في تحديد ما وراء ما ،أو تحديد ذاتية الأشياء ،هذه المعركة هي نتاج العقل الصادق الذي ترعرع فينا وهي كذلك "نتيجة الإيمان بالأخلاق ،وهذا هو التناقض ،كلما آمنا بالأخلاق كلما كان ذلك إدانة للحياة"³ .

إشتهر نيتشه بأنه فيلسوف إرادة القوة و قد أسىء فهم مثل هذه الفلسفة إساءة بالغة إذ أنه كان قد أكد أن مايريده الإنسان و كل حي هو زيادة القوة و فسرت هذه الزيادة تفسيراً بيولوجياً على أنها السعي لخلق صنف جديد من البشر،صنف الإنسان المتفوق* ، الواقع أن نيتشه كان

¹ جيل دولوز ،نيتشه والفلسفة ، ص 109.

² المرجع نفسه ،ص ص 27-28.

³ فريدريك نيتشه ،إرادة القوة ،ص 19.

* بالرغم من تأثر نيتشه بالمذهب الدارويني إلا أنه يختلف معه بل يصل به الحد إلى نفي علاقته به ،فمذهب داروين بالنسبة له مذهب باطل إذا كان يريد أن يفسر به جوهر الحياة والوجود فليست الحياة تنازع بقاء وإنما تنازع القوة والسيطرة ،إن إرادة القوة تختلف عن الصراع من أجل البقاء لأن هذا الأخير يمثل صورة سلبية لإرادة الحياة التي تعني النمو والتطور وليس الصراع من أجل البقاء لأن هذا الصراع يمكن أن يتأسس من الضعفاء

يعني من إرادة القوة قلب لوح القيم وتحويل كل القيم القديمة إلى قيم جديدة، نفس أخلاق القطيع من التافهين والضعفاء وإقامة أخلاق السادة، يقول نيتشه:

"نحن الأسياذ حشريون إلى حد الرذيلة، باحثون إلى حد الضراوة، بأصابع لا تتردد في لقف ما لا يلقف بأسنان وأمعاء تهضم ما لا يهضم مستعدون لأي صنعة تتطلب حواسا ورهفة، مستعدون لكل مجازفة بفضل فائض الإرادة الحرة، بنفوس أمامية وخلفية لا يبصر أحد بسهولة مقاصدها الأخيرة، مخفيون تحت راية النور، غزاة، منظمون ومجمعون من الفجر إلى الشفق، بخلاء في ثروتنا وجوارينا المليئة وعند الحاجة نعم نصير فزاعة"¹.

لقد أقام نيتشه أخلاق السادة وذلك للإنطلاق في آفاق الحياة الرحبة البريئة المتمثلة في العود الأبدي، والرجوع الأبدي، يعني أن "كل الأشياء والصور والأشكال تعود مئات المرات دون أن يكون هناك أي مثل أعلى تسعى الحياة لتحقيقه"²، هناك فقط صيرورة دائمة بريئة خالية من أي هدف، ومنه تكمل حلقاتها لتعود فتبدأ حلقة جديدة، وهذا يعني بأن الحياة تكرر نفسها مرة تلو الأخرى، وأن الطاقة التي تستخدمها ثابتة لا تزيد ولا تنقص، وأن القوة التي تحركها محدودة، غير أنّ العود رمز نشوة الحياة، وهوس الخلق، وروعة المغامرة، وفرح البراءة، وهذا يعني أنّ كل شيء يتغير باستمرار وأن الحركة لا تتوقف وإن كانت الأشكال والصور تعود مرات لا متناهية*.

= فدعوة داروين سيادة للضعفاء على حساب الأقوياء، يذكر نيتشه في بعض المواضع من كتبه إنكار علاقته بالداروينية قائلا "قد بلغ الأمر ببعض الدواب العالمة من ذوات القرون أن تتهمني بالداروينية لكنني لست كذلك" **للمزيد ينظر**: عبد الرحمان بدوي، نيتشه، ص 222، و نيتشه، العلم الجذل، تر: سعاد حرب، دون ط، (بيروت، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر، دون تاريخ النشر) ص 203، **للمزيد ينظر**: عبد الرزاق بلعقروز، نيتشه ومهمة الفلسفة، قلب تراتب القيم والتأويل الجمالي للحياة، ط1 (بيروت، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010)، ص 49.

¹ فريدريك نيتشه، ما وراء الخير والشر، ص 76.

² جورج زيناتي، رحلات داخل الفلسفة الغربية، ط1، (بيروت، لبنان، دار المنتخب العربي، 1993)، ص 69.

* لفكرة العود الأبدي تاريخ طويل في الفلسفة حيث إنبتقت في الفلسفة اليونانية ويعتقد البعض أنها ظهرت عند إقليطس و نيتشه على إطلاع بها وربما كان هيراقليطس هو الأب الشرعي لفكرة العود الأبدي فقد كان يؤمن بتكرار دوري لنهاية العالم، وإنبتاق متجدد لعالم آخر، **للمزيد ينظر** نهلة الحمزاوي، فلسفة الأخلاق عند نيتشه، دون ط، (عمان، دار الفضاءات، 2013)، ص 51.

لقد أراد نيتشه بإرادة القوة أن يعود إلى وثنية يونانية متحررة من فكرة الخطيئة ممثلة بالحياة المتدفقة في تغيرها الدائب، رغم الطابع المأساوي القاسي الذي يلف الوجود البشري، يقول نيتشه:

"الجبن، لا أحب جبن المرء أمام فعلته، لا يجب عليه
أن يستسلم بنفسه تحت ضغط خجل أو حزن غير
منتظرين، وعوض ذلك سيكون الإفتخار الشديد أفضل
من الإعتراف بالخطيئة والندم"¹.

أ-3- الإنسان الأعلى :

لقد استطاع نيتشه في ميدان فلسفة الأخلاق أن يترك بصمات، وآثار قوية ظاهرة وعميقة وعنيفة كذلك، وهذا ما يجعل الكثير من "المؤرخين يصفونه كفيلسوف أخلاقي، لأن المكان الأصلي والحقيقي لفلسفته هو الأخلاق"²، والسبب الذي جعله يرمي بكل ثقله على المسألة الأخلاقية هو أن موضوع الأخلاق والتقويم هو "الذي يشكل ماهية الإنسان وحقيقته، الإنسان هو ذلك الكائن الذي يقوم الأشياء ويصدر عليها أحكاماً وأثماً"³، ويطلق عليه نيتشه **الإنسان الأعلى** أو المقوم، ويتجلى كل هذا في أعظم كتب نيتشه **هكذا تكلم زرادشت** الذي يعد من أهم ما أبدع وتفنن، "صواعقه (أي العبارات الغريبة والجريئة فيه) تنقض نحو مستقبل لم يتفطن إليه أحد"⁴، كتابه عن زرادشت ممتلئ بالحكمة قرر فيه تنوير الناس وتنقيفهم، تميز هذا الكتاب الذي كتبه نيتشه عن المؤلفات الفلسفية الأخرى كونه ذا طابع شعري وأدبي متميز تحمل لنصوص في طياتها أفكاراً متناقضة ومتداخلة ومعقدة .

إنّ جزءاً كبيراً من آثار نيتشه خاصة كتابه **هكذا تكلم زرادشت** يمكن إعتباره إلى حد ما رد فعل لما كان يعتبره تبلور حضارة كاملة لأناس بلا شجاعة ومجتمع من البرجوازيين الذين لا

¹ فريديك نيتشه، إرادة القوة، ص 78.

² هنري د. أيك، عصر الإيديولوجيا، تر: فؤاد زكرياء، دون ط، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1963)، ص 248.

³ عبد الكريم عينا، نيتشه والإغريق، إشكالية أصل الفلسفة، ص 53.

⁴ فرح أنطوان، "الفيلسوف نيتشه وفلسفته"، مجلة الجامعة، الجزء الثالث، السنة السادسة، نيسان، أبريل، 1908، ص 43.

يتطلعون إلّا إلى الحفاظ على نقائهم الذاتي المريح، جوهر الإنسان الحقيقي بالنسبة إليه ليس رغبته ولا عقله، بل في قدرته على التقويم، إنّ القيم التي يخلقها الإنسان ليست بالنسبة لنيتشه المشكلة المركزية، لأن الإنسان يسير وراء ألف هدف وهدف، وكل شعب من شعوب الأرض له لغة خاصة عن الخير والشر لا يمكن لجيرانه أن يفهموها، ولكن "ما يشكل جوهر الإنسان هو فعل التقويم الذاتي وفيما يحدد لنفسه من قيم طالبا أن يعترف بها"¹، إنّ الإنسان بالنظر إليه هو خالق القيم وهو الذي أضفى على الكون كل ما فيه من معنى، يقول نيتشه:

"الإنسان هو الذي إبتدع القيم أولا من أجل البقاء
هو الذي إبتدع معنى الأشياء معنى إنسانيا، لذلك
يسمي نفسه إنسانا، يعني أنّه المقيّم"².

لو أدرك الإنسان عن وعي أنه خالق القيم لعمل على تحقيق هذه الغايات التي يريد لها لنفسه تحقيقا واقعيا، ولإزادات ثقته بنفسه وبقدرته المبدعة، ولكنه في واقع الأمر ينكر ذلك ويوهم نفسه أنه وجدها فحسب، إنّ "إرجاع القيم إلى الإنسان عند نيتشه دعوة صريحة له كي يمارس فاعليته على أوسع نطاق ممكن"³.

إنّ الوجود عند نيتشه هو الحياة، وليست الحياة إلّا إرادة، وليست الإرادة إلّا قوة، والحياة تقويم لأنه كي يحي الإنسان يجب أن يضع له قيما بمعنى أن يفاضل ويوازن ويعطي لهذا الشيء من القيمة أكبر مما يعطيه للآخر، هذا التقويم هو نفسه الوجود أيضا، فالحياة تقويم وإرادة، لكنها إرادة قوى، أي إرادة تسلط وإستيلاء وتمّلك وإخضاع، مهمة الإنسان الحر هو أن يكون خالق للقيم عليه أن يناضل وحده واضعا للأشياء ما يريده من قيم، وهو الإنسان الذي يحدد معتقدات العصر كله، و"يمنح الحضارة صورتها فارضا قيمه على الناس وعليهم طاعته طالما كانوا لا يرقون لطبقته العليا أو ينسبون إليها"⁴.

¹ فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، الإنسان الأخير، تر: فؤاد شاهين، جميل قاسم، رضا الشابي، دون ط، (بيروت، لبنان، مركز الإنماء القومي 1993)، ص 187.

² فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، تر: فليكس فارس، دون ط، (الإسكندرية، مطبعة جريدة البصير، 1938)، ص 131.

³ فؤاد زكرياء، نوايغ الفكر الغربي، نيتشه، ص 58-59.

⁴ صلاح قنصوة، نظرية القيم في الفكر المعاصر، دون ط، (بيروت، لبنان، التتوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2010)، ص 154-157.

إنّ فعل التقويم هذا هو في الأساس مبني على التفاوت وعدم المساواة لأنه يتطلب التمييز بين الأفضل والأسوأ، إنّ أعمال نيتشه كما هو ظاهر هي تعظيم للسيد الأرستقراطي ولصراعه المميت من أجل "الإعتبار المحض وهي إدانة غاضبة لحدثة إعتمدت كليا أخلاقية على أنّ العبد"¹، يقول نيتشه مؤكداً ذلك:

"ما الذي يمنح النبيل إنه ليس بالطبع القيام بالتضحيات
فأعنى الفاسقين يقدم على ذلك أيضا، لا إنّ ما يمنح
النبيل لكائن ما، إنه الحدس بقيم لم تبتكر لها بعد ميزان
إنه التضحية التي تقدم على مذبح إله مجهول، إنه النبالة
دون طموح إلى التكريم"².

لقد أسس نيتشه فلسفته إنطلاقاً من كثير من المقولات الكامنة العدمية للرؤية المادية وأطلق عبارته الشهيرة "قد مات الإله"، ثم بذل قصارى جهده ليظهر العالم من أي ظلال يكون قد تركها الإله على الأرض بعد موته، قد أقر أنّ فكرة الإله فكرة زائدة ومن الضروري إستئصال هذه الفكرة من دماغ البشر، وما الإيمان بالإله إلا نتيجة ضعف، بل هو حمق وجبن إضافة إلى أنّ الإيمان بالإله شك بالإنسان، في "حين أنّ الإنسان يكفي ذاته بذاته، ولم يخلق العالم الآخر غير الألم والعجز"³، يقول نيتشه "لقد مضى زمن كان فيه الإثم إتجاه الله أكبر الآثام، لكن الله قد مات، وبهذا مات أيضاً كل أولئك الآثمين"⁴، وموت الإله إذن يحل محله الإنسان الأعلى الذي يفوق بقدرته وطاقاته جميع البشر، يقول ميشيل فوكو في هذا السياق مدعماً موقف نيتشه:

"إنّ الإنسان كذات فاعلة لوعيها وحريتها هو في الحق
صورة متعلقة بالإله، إنسان القرن التاسع عشر هو
الإله متجسداً في الإنسانية، لقد حصل ما يشبه تأليه
الإنسان، حصل نزول جديد للإله على الأرض، نزولا
كان من نتيجته أنّ قام إنسان القرن التاسع عشر على

¹ فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، ص 188.

² فريدريك نيتشه، العلم الجذلي، ص 69.

³ عادل العوا، المذاهب الأخلاقية، الجزء الثاني، دون ط، (دمشق، مطبعة جامعة دمشق، 1959)، ص 312.

⁴ فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ص 43.

نحو من الأنحاء بتأليه نفسه ، وإذا كان نيتشه هو الذي أشهر موت الإله فإنه هو الذي أشهر في الوقت ذاته ذلك الإنسان المؤله الذي لم يكن القرن التاسع عشر يحلم به ، وعندما يشير نيتشه بمقدم الإنسان الأعلى وإن ما يشير به ليس مقدم إنسان أشبه بالله منه بالإنسان وإنما هو مقدم إنسان لا علاقة له بذلك الإله الذي ما زال يحمل صورته¹ .

وما ينقصنا حسب نيتشه هو الرجل العظيم المركب الذي "تخضع له كل القوى المتنافرة وما بحوزتنا نحن ليس إلا الإنسان المتكثر الضعيف"².

تملكت نيتشه فكرة الإنسان الأعلى وهي حسب نوعية جديدة من البشر لا بالمعنى الدارويني وإنما هو موجود عظيم وإنسان حقيقي ، والإنسان الأعلى هو الإنسان الذي يقهر طبيعته الحيوانية وينظم نفسه مع الكل ويسيطر على عواطفه ودوافعه بحيث يتمكن من تقبل الحياة بآلمها ومعاناتها ، وفي الوقت نفسه يحياها بكل إمتلائها وعلى نحو مبدع ، وهكذا إن "الإنسان الأعلى ليس مثلاً أعلى فحسب ، إنما هو ضرورة هو وحده الذي يمكنه تحمل الحقيقة وأن يجد الحياة قابلة للإحتمال"³ ، يقول نيتشه :

"الإنسان الأعلى كأنه الأرض ، فلنعلن إرادتكم ليكون الإنسان الأعلى معنى الأرض ، أناشدكم أن تظلوا أوفياء للأرض ، ولا تصدقوا أولئك الذين يحدثونكم عن آمال فوق أرضية ، أولئك مستخفون بالحياة هم محتضرون ، ومسممون بدورهم"⁴ .

عنيت فلسفة نيتشه نقطة ثبات في كل الوجود هي إرادة القوة التي يجسدها حسبه أقلية من السادة الأقوياء ، ويذهب نيتشه إلى أن سعادة الأفراد وآلامهم خيرهم وشرهم أمور تافهة يجب عدم الإهتمام بها حينما نتحدث عن الإنسان الأعلى ومستقبل الجنس البشري ، هدف الوجود الإنساني يجب أن لا يكون تحقيق السعادة للأفراد وإنما تكثيف كل القوى للصعود بالإنسانية في

¹ ميشيل فوكو ، هم الحقيقة ، ص 30.

² فريدريك نيتشه ، إرادة القوة ، ص 142.

³ جاك شورن ، الموت في الفكر الغربي ، تر: كامل يوسف حسين ، دون ط ، (الكويت ، عالم المعرفة ، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، يناير ، 1978) ، ص 230.

⁴ فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زرادشت ، ص 40.

سَلَّم الإرتقاء في الحياة ،وتحقيق كل الإمكانيات الحيوية ،إذ "يجب أن يأتي من الإنسان ما يفوق الإنسان ،والبشر أجمعهم لهم يخلقوا إلّا ليكونوا بمثابة السلم له"¹ ،العرق الأدنى حسب نيتشه وجد لخدمة النوع الأرقى وله السيادة ،إذ سيعتمد عليه هذا النوع ليرقى إلى مستوى مهمته ،لن يكون عرق أسياد تنحصر مهتهم في الحكم فقط ،بل عرقا له منطقته الحيوية الخاصة به مع فائض قوة يخصصه للجمال وللشجاعة والثقافة ،وذلك حتى في المجال الفكري المحض عرق فعال يمكنه السماح لنفسه بكل أصناف الشرف الكبير ،وقوي لا أحد يغنيه عن الحاجة الإِدْخار والتَحْذَلق ، "متموقعا في ما وراء الخير والشر ،بيت زجاجي تزرع فيه النباتات الفريدة والمنتقاة"² .

إنّ طبقة السادة هي المرشحة وحدها لأن يولد منها الإنسان الأعلى ولذا يجب توظيفها هي وحدها في هذا الشأن وأهم آلية لتوليد الإنسان الأعلى هي أن تقوم القلة الأرستقراطية (السادة) بنبذ الأديان التي تمتص منهم عناصر القوة وتبقيهم في حالة الضعف والهوان ،فقد "أعلن نيتشه الحرب على المثل الأعلى المسيحي الضعيف ،ليضع حدا لطغيانه و ليهيئ الساحة لإستقبال مثل أعلى جديد ،مثل أقوى"³ ،ونبذ كل أناس ليس لهم نشوة وعلو يكفيان أناس ليس لهم قوة وبعد نظر كافيان ،أناس ليس لهم نبيل يكفي ليبصروا التراتبية والهوة الحقيقية في الرتب بين إنسان وإنسان ،أناس من هذا القبيل قد سادوا حتى الآن شعارهم نحن سواسية أمام الله ، "لقد تم تربية نوع مصغر يكاد يكون أضحوكة ،حيوان قطيع ،طيب السريرة سقيم ووسطي"⁴ ،يوضح نيتشه ذلك في قوله :

"لقد إنحازت المسيحية إلى كل ضعيف ومنحط وفاشل
وشكّلت مناهضتها لغرائز التشبث بالحياة المفعمة
مثال مفسدة وتسَلَّلت من خلال ذلك إلى صميم تلك
الطبائع النفسية الأكثر قوة عبر تعليمها لإعتبار القيم

1 أحمد عبد الحليم عطية ،نيتشه وجذور ما بعد الحداثة ،ط1،(بيروت،لبنان،دار الفارابي ،2010) ،ص 188.

2 فريدريك نيتشه ،إرادة القوة ،ص 307.

3 المصدر نفسه ،ص 322.

4 فريدريك نيتشه ،ما وراء الخير والشر ،ص ص 98-99.

العليا المندفعة للنفس خطيئة وظلالات وغوايات"¹.

لقد قدّم نيتشه أسطورة الإنسان الأعلى أو السوبرمان من حيث أنها دافع ، فليست البشرية هي الهدف بل الإنسان الأعلى ، فالإنسان هو شيء يجب أن يعلى عليه ، فالإنسان هو معبر وليس هدفاً ، هكذا تكلم زرادشت مخاطباً شعبه :

"إني أعلمكم الإنسان الأعلى ، الإنسان شيء لا بد من تجاوزه فالإنسان يطمح إلى نوع جديد وكيان مختلف نوعياً ، يجب أن نتجاوز الإنسان لكي لا نعود إلى منزله الحيوان ، ما القرد بالنسبة للإنسان؟ أضحكة أو موضوع خجل أليم ، كذا يجب أن يكون الإنسان بالنسبة للإنسان الأعلى أضحكة أو موضوع خجل أليم"².

فالإنسان الأعلى هذه الإرادة لا يمكن أن يأتي إذا لم تكن لدى الأفراد المتميزين الشجاعة لأن يتجاوزوا القيم كلها ، فالقيم الجديدة سوف تعطي توجيهها للإنسان الأعلى لبلوغ أقصى المراتب يؤكد نيتشه ذلك قائلاً :

"يتميز الرجال الفائقون عن الرجال السافلين بقدرة فائقة على الرؤية والسمع وهم لا يرون ولا يسمعون إلا مع التأمل ، وهذا بالضبط ما يميز الإنسان عن الحيوان والحيوانات العليا عن الحيوانات الدنيا"³.

يشير نيتشه إلى أن الإنسان الأعلى هو جوته و نابليون معا ، أو الإله الأوروبي الذي يظهر على الأرض أننا قد نقول أنه إنسان مثقف إلى حد كبير ، "بارع في المزايا البدنية لا

¹ فريدريك نيتشه ، عدو المسيح ، ص 28.

² ، إرادة القوة ، ص 43 .

³ ، العلم الجذل ، ص 166 .

ينظر على شيء أنه ممنوع ، إنه الإنسان الذي أصبح حراً تماماً و مستقلاً ، و يؤكد الحياة والكون" ¹.

إن ما نحتاج إليه حسب نيتشه في هذه المعركة التي نسميها الحياة هو القوة لا الطيبة والكبرياء ، لا الخضوع والذكاء الحازم ، لا حب الخير يقول نيتشه:

"بماذا تهمني الطيبة والرفاقة والعبقرية ، فأنا تحيا يجب أن تكون قاسياً متعنناً في كل ما يضعف فينا ويموت ، ليس فقط منا أن تحيا يجب أن تكون قاسياً القلب على كل المنازعين والبؤساء والعاجزين" ².

إنّ الحرب في نظر نيتشه أفضل علاج للشعوب التي دبّ فيها الضعف والترنح والراحة والهوان ، لأنها "تثير الغرائز التي أفسدها السلام ، وعندما تتحول الأمة عن الحرب والغزو فإنّ هذا من علامات الانحطاط" ³ ، لذلك يدعوا نيتشه على لسان زرادشت الشعب للحرب قائلاً:

"لتبحثوا عن عدوكم وتخوضوا حركم ، عليكم أن تعلوا السلم كوسيلة لحروب جديدة ، لن أنصحكم بالعمل بل بالقتال ، ولن أنصحكم بالسلم بل بالإننتصار ، ليكن عملكم قتالاً ، وليكن سلمكم إننتصاراً" ⁴.

إنطلاقاً من هذا يظهر خطاب نيتشه الفلسفي بصفته دعوة للمساواة ، وترويجاً للعنصرية والطبقية ، كل هذا تبلور لديه عقب قراءته لكتاب جوبينو Gobineau Conte de تفاوت الأجناس البشرية ، عن طريق جوبينو دخلت في ذهن نيتشه فكرة الخلط بين الثقافة والعرق ⁵ ، والدمج بين مفاهيم متعارضة ، اليهود والآريون ، الساميون والهند أوروبيون ، لقد إفترض جوبينو

¹ فريدريك كوبلنستون ، تاريخ الفلسفة ، المجلد السابع ، من فشته إلى نيتشه ، تر: إمام عبد الفتاح إمام ، محمود السيد أحمد ، ط1 ، (القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، الهيئة العامة لشؤون الأميرية ، 2016) ، ص ص 513-514 .

² فريدريك نيتشه ، العلم الجذل ، ص ص 34-55 .

³ ول ديوارنت ، قصة الفلسفة ، تر: فتح الله المشعشع ، ط6 ، (بيروت ، مكتبة المعارف ، 1988) ، ص 531 ..

⁴ فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زرادشت ، ص 99 .

⁵ كلود ليفي شتراوس ، العرق والتاريخ ، تر: سليم حداد ، دون ط ، (بيروت ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، دون تاريخ النشر) ، ص 05 .

أن الفوارق العرقية أو الجنسية هي التي تفسر الاختلافات الثقافية، وفي رأيه أن الجنس الأبيض وبالتحديد العرق الآري الذي يتمتع بمواهب خارقة وبجمال جسدي وشجاعة هو الجنس الأكثر تفوقا، العروق البيضاء هي التي قاتلت أعداءها راكبة عربات حربية، وقد كانوا "يعرفون بصورة قبلية شغل المعادن والخشب والجلد وحتى الحياكة وغيرها من المواهب"¹، لكن "هذا الجنس تفكك واختلط دمه ولم يعد نقيا بسبب المسيحية، هذا الدين النقيض للجنس الآري المفعم بالحيوية والنشاط"²، "المسيح أشاع الضعف وساعد على تسلل قدر كبير من الوهن الروحي إلى المثل الحيوية للعرق الآري"³.

إنطلاقا من هذا بدا من اتجاهات نيتشه الفكرية أنه على التصاق واعتناق لمذهب داروين في التطور البيولوجي، وكذلك النظرية العرقية لجويينو لأن الميزة واضحة أنه لا يطلب سوبرمان للمستقبل، بقدر ما يطلب منا أن نكون على سمو وارتفاع فوق العامة، وذلك يتم فقط بمقاطعة الأخلاق المسيحية.

أ-4- أسلوب نيتشه في الكتابة :

إنّ القارئ لنيتشه يدرك ومن الوهلة الأولى تمام الإدراك أنّ الطريقة التي يكتب بها فيلسوفنا متميزة وفريدة من نوعها، لذلك تقتضي قراءته اليوم من المرء الإنفلات من قبضة الزمان وضغطه، و"التحرر من الآني، ذلك لأنّ أعماله كلها موجهة للجميع وإلى لا أحد"⁴.

هي تتحدث إلى الجميع ولكنها لا تتوجه إلى أحد بعينه، كل قارئ مطالب بأن يبني لنفسه وجها جديدا بعد إزالته للقناع الخاص به، حيث يمثل نيتشه "الخطاب العصي على القراءة، لأنّ

¹ جورج لوكاش، تحطيم العقل، الجزء الرابع، السوسيولوجيا الألمانية، الداروينية الاجتماعية والعرقية والفاشية لا عقلانية بعد الحرب، تر: إلياس مرقص، ط1، (بيروت، دار الحقيقة للطباعة والنشر، 1983)، ص 9.

² جمال مفرح، الإرادة والتأويل، تغلغل النيتشوية في الفكر الغربي، ط1، (بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009)، ص 21.

³ آرثر هيرمان، الإضمحلال في التاريخ الغربي، تر: طلعت الشايب، دون ط، (القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2000)، ص 90.

⁴ عبد السلام بنعبد العالي، الفكر في عصر التقنية، دون ط، (المغرب، إفريقيا الشرق، 2000)، ص 89.

وراء هذا الإستعصاء تكمن ذهنية مغايرة لعالم بأكمله لا بد على القارئ الساعي إليه أن يكون في مستوى تناثره من الداخل¹ .

لكن الصعوبة التي تكتنف عملية قراءة نيتشه هي الطبيعة المفككة لكتاباتاته إذ يقدم أفكاره على شكل شذرات ، وأقوال قصيرة مختلفا عن الدراسات الفلسفية المنظمة التي يتميز بها الفلاسفة السابقون ، مثل كانط و هيغل ، كما أنّ كتاباته بعيدة عن الوضوح والصرامة حيث يرفض اللغة الفلسفية التقليدية التي تتسم بالوضوح ، إذ يكتب معظم أعماله في شكل شعري أو على شكل حكم أو تأويل ، تلفت النظر إليها ، ليس فقط لدلالاتها بل أيضا لجمال تعبيراتها، ويعود هذا المسلك لديه إلى رفضه للدور الذي تقوم به الفلسفة وهو محاولة البحث عن الحقيقة وتقديمها ، لا يرى نيتشه كتاباته إضافة إلى هذا التراث ، بل هجوما صريحا عليه ، ولهذا يؤكد أنّ كتاباته لا تسعى إلى تقديم حقيقة جديدة ، لكنها تسهم في هدم الرؤى الميتافيزيقية السابقة، قد تحوّل إنطلاقا من هذا إلى ناقد شديد القسوة على التراث التاريخي والقيم المتولدة من ذلك التراث وأصبحت "إرادة القوة مخرجا تنفسيا أو مثلا أعلى أسمى للتنقيف الذاتي والإنتصار على التراث"² .

لا تتضح ملامح شخصيته نيتشه الفكرية جليا لأن كتاباته يعترىها الغموض ،يبدوا أحيانا بأنّه شاعر أو فيلسوف ،وأحيانا أخرى مفكرا أو فنانا ،يحتار القارئ ويتساءل عن كيفية تتبع قراءته ،هل بالعقل أم بالوجدان؟ لكن بيلا فال Belavel المعجب بنيتشه رأى :

"أنّه لو نزلنا بمستوى الجدل الذي إمتلأت به كتابات نيتشه وأعدنا صياغته في أسلوب غير بليغ فإنّه لا شك سيفقد بريقه ويفقد وضوحه ويفقد مصداقيته"³ .

إنّ حكم نيتشه المدونة في كتبه شديدة التعبير لا يظل بعضها معزولا من بعض بل تؤلف في تتابعها ضمن وحدة الكتاب كلا فريدا ، ولكل "كتاب من كتبه مناخه الخاص ،ولهجته الخاصة

¹ جاك دريدا ،المهماز،تر:عزيز توما ،إبراهيم محمود ،ط1(سوريا ،دار الحوار للنشر والتوزيع ،2010) ،ص 28.

² جي جي كلارك ،التنوير الآتي من الشرق ،اللقاء بين الفكر الآسيوي والفكر الشرقي،تر:شوقي جلال ،دون ط،(عالم المعرفة ،ديسمبر 2007) ،ص33.

³Bevaly , les philosophe et leur langage ,op ,cit ,p 142.

التي لا تختلط مع أي لهجة أخرى"¹، ولقد عبّر كارل لوفيت K.Lowith عن هذه الخاصية عندما قال:

"إنّ فلسفة نيتشه ليست نسقا بسيطا ولا تجميعا بسيطا
لفقرات ، ولكنها نسق من الفقرات كل واحدة منها هي
مسكن خاص"².

الذي يراه بعض المؤلفين وعلى رأسهم كارل ياسبرس K.Jaspers أنّ نيتشه "إختار شكل الشذرات لتأليفه بصورة واعية"³. يرفض نيتشه بشدة فكرة النظام الفلسفي هي فكرة زائفة حسبه وإشارة إلى الضعف والفساد والإنحلال الثقافي بالإضافة إلى أنّ "الحجة الفلسفية المطولة تمثل إليه نوعا من الزيف يخفي وراءه مختلف التوجهات المستترة"⁴، وهذا ما عبر عنه بقوله:

"أحتاط من كل صانعي الأنظمة وأتحاشاهم
إنّ روح النظام نقص في النزاهة"⁵.

دوّن نيتشه الجزء الأكبر من مؤلفاته على هيئة شذرات أو فقرات منفصلة ،أو حكم تنطوي كل منها على فكرة كاملة ،وهو يعرضها ويدعوك إلى إعتاقها ،ولا يكلف نفسه بالبرهنة عليها لأنّه يرى أنّ أي حقيقة تحتاج إلى برهان ليست بحقيقة ،وهو "إذ حاول برهنة لا يستقصي الدليل ولكنه يقدم المقدمات دون التأكد من نتائجها"⁶.

ما يمكن قوله في هذا السياق أنّه صحيح أنّ الفلسفة تستمد قيمتها من قدرة الفيلسوف على الإقناع وسرد الحجج وما يتبع ذلك من "إختيار للألفاظ وإنتقاء لها واللجوء إلى المحسنات اللفظية أحيانا"⁷، ولكن لا يترتب على هذا أن تتوارى المعاني والأفكار بحيث تصبح الصدارة والريادة للألفاظ .

¹ بيير مونتيلو ،نيتشه وإرادة القوة ،تر:جمال مفرح ،ط1،(بيروت الجزائر ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،الجزائر ،منشورات الاختلاف ،2010)، ص 120.

²Angèle Kremer Marietti ,unité et masques ,in bulletin de la société française d'études NIETZS chéennes ,n°2 ,mars,1963 ,p30.

³Kar Jaspers ,NIETZSCHE ,(introduction à sa philosophe) ,trad ,Henri Viet , "tel gallimard " ,paris ,1978 ,p 401.

⁴ محمد أندلس ،نيتشه وسياسة الفلسفة ،ط1،(الدر البيضاء ،المغرب ،دار تويقال للنشر ،2006)،ص 14.

⁵ فريدريك نيتشه ،أفول الأصنام ،تر:حسان محمد الناجي بورقية ،ط1،(المغرب ،افريقيا الشرق ،1996) ،ص 12.

⁶ يوحنا قمير ،نيتشه نبي التفوق ،ص 47.

⁷ عبد الوهاب جعفر ،الفلسفة واللغة ،ط2،(الاسكندرية ،جمهورية مصر العربية ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،2004) ،ص 9.

إن صعوبة قراءة النص النيتشوي يكمن بالدرجة الأولى في نمط كتابته المتميزة بطابعها المنقطع والمنفصل، وفي لغته التي توظف بشكل مكثف أنظمة الإستعارة والمجاز والنموذج البلاغي الشعري، وهذا "ما تقتضيه أحد مقتضيات الطبيعة الكثيفة للنص الجينالوجي"¹، ويتمثل هذا في تعدد تأويلاته وتضارب قراءاته، صحيح أن هذا قد يؤول كمؤشر على خصوبة وغنى معانيه بما هو سمة للنصوص الكبرى، وكما يبين المقاومة التي يبديها الفكر النيتشوي، لكل تقنين أو تعقيد يسعى إلى ضبط ماهيته واعتقال حيويته، ويبين المناعة والحصانة الذاتية التي يتمتع بها هذا الفكر، نظرا لما يؤكدّه جيل دولوز بأن "نيتشه إستطاع إبتكار أسلوب جديد في التفكير والكتابة، يجعله غير قابل للتقنين"²، هذا الأسلوب أطلق عليه صفة الإرتحالية، تتسم فلسفة نيتشه حسبه بالإرتحال أي هي مفاهيم يجري صنعها وتداولها ليس بكونها أمورا كلية تصف جواهر الأشياء وثابت الأحوال بل بكونها مفردات لا تتوقف عن الحركة والتكاثر والإنتشار أو الإمتداد نحو مناطق جديدة يتم إفتتاحها وإستيطانها ولهذا فالفيلسوف الرحالة في نظر دولوز له رحلات ثلاث: رحلة إلى الماضي الإغريقي الموطن الأول للفلسفة، ورحلة نحو المستقبل نحو أرض جديدة للفلسفة لم تكتشف بعد، أو نحو شعب يجدد الفلسفة لم يوجد بعد، وإنطلاقا من هذا فالفلسفة معه تجربة تتكشف عن مكان حياة ونمط وجود، وأن "الخلق الفلسفي هو ثمرة إختيار ومعايشة، لأته لا خلق ولا تفكير دون إختيار"³.

لكن من جهة أخرى هذا الأسلوب الذي يعرف عنه نيتشه بوصفه أسلوب التمويه وأسلوب تشويه طبيعة الفكر الحقيقية، والأسلوب الذي يتوسل شبه تنظيم إستباطي جدلي ليزور الأشياء والأفكار التي يتم التوصل إليها من طرق أخرى تماما، يمنع بذلك إدراك نشأة التفكير الحي والمباشر والعفوي، ليس هناك إتصال وتطابق بين التفكير والتعبير عنه في كتابات نيتشه، وأن كل شيء يمكن أن يقال بوضوح وتميز وإفصاح بفضل قوة الحجة والبرهان و الكتابة المقطعية التي يعتمد عليها لا تسعى إلى الإقناع ولا إلى أن يكون بها على حق، بالنظر إليه الحقيقة لا

¹ محمد أندلس، نيتشه وسياسة الفلسفة، ص 18.

² Gilles Deleuze, *pensée nomade*, in Nietzsche, aujourd'hui ?, l'intensité 10/18, 1973, p 159 à p 174.

³ علي حرب، نقد النص، ط4، (الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر، 2005)، ص ص 251-250.

تقوم في الشفافية ولا في وضوح الأفكار ،لأنّ كل وضوح مخادع ،"والأسلوب القائم على نزع الأقنعة والتعرية عليه أن ينزع ويعرى إلى ما لا نهاية من دون أن يستطيع الزعم بأنّه رفع القناع الأخير"¹ .

رأى نيتشه أنّ أسلوب المقطع يثبت أنّه ليس على الفكر أن يشرح نفسه بل عليه أن يفرض نفسه بالأحرى ويؤكدّه ،أدخله في مأزق وأزمة هو في غنى عنها ،فقد تمّ إستغلال فلسفته ،نظرا لسوء فهمها وعدم إستيعابها ،كتابته الصماء كانت بمثابة المرجعية الفكرية للعديد من التوجهات السياسية والشخصيات السياسية وعلى رأسها الزعيم الألماني هتلر حيث إتّسمت كتابات نيتشه بطابع متميز ،وبأسلوب فريد من نوعه وغامض ،ونظرا لشخصيته الفلسفية المعقدة ،سعى أناس ذو آراء متنوعة ومتعارضة على نحو مذهل إلى أن يجدوا في إسمه تبريرا لأفكارهم ،حيث وجدوا إلهاما في أعماله ،بالإضافة إلى إعتباره مصدر إلهام للنزعة العسكرية الألمانية ،والأب الروحي للزعيم الألماني هتلر ،ونظرا لما تقدم إنتقصت دول الحلفاء من قدره وتراجعت شهرته لحد كبير .

من الممكن القول أن نيتشه كان يعتقد بأنّه بفلسفته قد قسّم العالم إلى قسمين وبه سيبدأ العالم تاريخا جديدا، وهذا ما جعله يردّد قائلا :

"ليس من المستحيل أن أكون أكبر من هذا ، لعنّي حدث
حاسم فاصل بين ألفي سنة ، أنا أعرف مصيري فإنّ اسمي
سيقترن يوما ما بذكرى شيء هائل ذكرى أزمة ، لم يكن لها
من قبل مثيل على ظهر الأرض ،واصطدام عميق كل العمق
بين الضمائر والعقول بعضها ببعض"² .

أسلوب نيتشه الغريب والفريد من نوعه فتح عليه باب الحرب من مصرعيه نظرا لما تحمله كتاباته من تأويل وإيحاءات وإنطلاقا من هذا إعتبرت فلسفته بمثابة المرجعية الأساسية التي إستمد منها النازيون قوتهم وجبروتهم ، فقد تأثروا بفلسفة نيتشه القائمة على الصراع

¹ فريدريك نيتشه ،ما وراء الخير والشر ،تباشير فلسفة المستقبل ،ص 10.

² ،هذا هو الإنسان ،تر: علي مصباح ،ط1،(كولونيا،ألمانيا،منشورات الجمل للطباعة و النشر ، 2003)،ص 159.

والممجة للحرب والقوة ، وذلك فقط ليحققوا مطامعهم ويؤسسوا دولتهم النازية القوية ، وذلك لإخضاع العالم كله للجنس الآري ، مقتبسين من نيتشه فكرته الجوهرية : "إرادة القوة والإنسان الأعلى"¹ ، وما يثبت تلوث فلسفة نيتشه بالنازية هو أنه أثناء محاكمة جرائم النازية تم الإستشهاد بنيتشه "كإيديولوجيا وراء ما إقترفه النازيون من جرائم شنيعة بحق اليهود خاصة والبشرية عامة"² .

وإستنادا لهذا فقد إستخدم الساسة نيتشه ضمانا لتضليل النازية الرهيب خاصة عن طريق الزعيم الألماني هتلر الذي تلقى بشكل هدية تراث الفيلسوف من أخت نيتشه ، وفي المجال السياسي تبلور فكر نيتشه حول محاور هامة وأساسية ، إبتداء من إقتناعه المطلق والتام بحكم النخبة أو الصفوة من المجتمع ، أي الطبقة الأرستقراطية معددا فضائلها وميزاتها بإعتبارها النموذج الأعلى ، بالإضافة إلى رأيه حول اليهود المتمثل في كرههم المنسوب لهم نظرا لكونهم من الأعراق الدنيا ، ولإشاعتهم أخلاق العبيد ومسميات الضعف والإنحطاط ، وأكثر ما إشتهر به نيتشه هو كونه فيلسوف القوة والإرادة والتأكيد على الحياة وعلى كل ما يخدمها ويقويها ويدفع بالإنسان "إلى الأمام في طريق الرقي والإزدهار" ، وقد لخص هذه الفكرة بما سماه الإنسان الأعلى"³ .

هذه المحاور والمحور الأخير بالذات أي "الإنسان السوبرمان" نشأ عنه سوء فهم من قبل هتلر وتحريف أقام شعبه من خلاله فلسفة مبنية على التمييز العرقي وسيطرة الأقلية من النخبة ، وأسوأ تهمة ألصقت به أن النازية عثت وترعرعت من البذور التي زرعها نيتشه في عقول الألمان ، وأن "التنكيل باليهود كان وليدا لبعض ما كتبه هو عن اليهود في أوروبا وأنغصهم مستقبلهم"⁴ .

1 أحمد عبد الحليم عطية، نيتشه وجذور ما بعد الحداثة ، ص 108.

2 لورانس جين ، كيتي شين ، أقدم لك نيتشه، تر: إمام عبد الفتاح إمام ، دون ط، (القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة، دون تاريخ النشر)، ص 126.

3 مجدي كامل ، فريدريك نيتشه ، شيطان الفلسفة الأكبر ، ط1، (دمشق ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، 2011)، ص 236.

4 المرجع نفسه، ص 238.

وانطلاقاً من هذا سنحاول معرفة بأي سبل وصلت ألمانيا على أرض الفلسفة إلى هتلر، ونبين كيف استطاعت صياغات فلسفية هي "بذاتها إنعكاسات مجردة لتطور واقعي أن تسرع إلى سير ألمانيا إلى الهتلرية"¹.

2/- إسهام فلسفة نيتشه في نشر ثقافة العنف عن طريق الزعيم الألماني هتلر :

لقد تأثر هتلر بنيتشه كثيراً، ففي عام 1934 زار الزعيم الألماني مركز الأرشيف الخاص بفكر هذا الفيلسوف في فايمار، حيث التقى إليزابيث شقيقة نيتشه، وخلدت الزيارة بصورة شهيرة يصافح فيها هتلر إليزابيث، وفي عام 1944 احتفل النازيون بمرور مائة عام على ولادة هذا الفيلسوف العظيم، أعجب هتلر "باللاعقلانية الجامعة لنيتشه وأسلوبه البرلماني المتفجر وغضبه، وهذه أمور تذكر بشخصية هتلر عندما كان يصعد إلى المنصة من أجل أن يلقي خطاباً نازياً يلهب المشاعر، وما يشترك فيه كلا الرجلين هو تركيزهما على الأقوياء والأصحاء وكرههما للضعفاء والمرضى، إذ لم يتردد نيتشه عن التضحية بملايين البشر إذا لم يكونوا أصحاء وأقوياء وهذا ما فعله هتلر بالضبط"²، حيث إستوحى هتلر الكثير من الأفكار من فلسفة نيتشه التي تنبذ الأخلاق وتدعو إلى القوة يستنكر هتلر الضعف ومسمياته مثل نيتشه ويتفاخر بشعبه قائلاً:

"عند الأزمات في الحروب يرود الجبن حولنا متتكرراً
يزي العقل محاولاً إقناعنا بعقم الجهد المميت، مهيباً
لنا أن نتمرد ونثور، ولكن عنادنا كان يتعاضد ومقاومتنا
تشتد كلما إزداد نشاط غريزة حب البقاء، وضاعف الجبن
من مغرباته إلى أن كانت الغلبة في النهاية للشعور
بالواجب"³.

¹ جورج لوكاش، تحطيم العقل، الجزء الأول، الظاهرة الدولية، تاريخ ألمانيا شيلنغ، 7، تر: إلياس مرقص، ط1، (بيروت، لبنان، دار الحقيقة للطباعة والنشر، 1983)، ص 12.

² مجدي كامل، فريدريك نيتشه شيطان الفلسفة الأكبر، ص 213.

³ أدولف هتلر كفاحي، ص 81.

لقد أعلن هتلر تبنيه لفلسفة نيتشه و إعلائه لشأن بعض المعالم الرئيسية فيها و لا شك أن هنالك تشابها ملحوظا في بعض الجوانب بين مانات به الإشتراكية الوطنية من معالم وبين ما أكدته نيتشه" من نظريات فلسفية و سياسية خاصة في كتاباته الأخيرة و في محاولاته المتكررة لإعادة تقييم القيم السائدة في المجتمع الألماني و الأوروبي المعاصر"¹.

أعجب هتلر بنيتشه الذي يتمتع حسب بطاقة غير عادية ، تبلورت في عبارته الشهيرة "إن الله قد مات" هذه العبارة التي ستخلص الإنسان من الإذلال المدمر للذات . الذي فروض عليه بواسطة المسيحية و تؤكد وجوده الدنيوي الكامل ، طبيعة وجودنا الدنيوي حسب هو الرغبة في السلطة فالوجود هو السلطة ، و طبيعتنا أن نسمو بأنفسنا بلا توقف ، و أن نبحث عن سلطة أكبر و أكبر ، لهذا يجب علينا أن نكرس أنفسنا و أن نحتل المكان الذي كان يملأه الله في وقت ما ، يجب أن نكرس أنفسنا بلا إعتذار لزيادة سلطتنا ، و هنا قد هاجم نيتشه هجوما عنيفا فكرة المساواة التي كان يرى فيها إحدى الحيل التي تعوّض بها الطبقة الضعيفة نفسها و تغطيه لأنها بلا فائدة ، و هكذا إن عظمة البشرية تعتمد على أولئك الذين لديهم الجرأة و القوة لرفع أنفسهم فوق القطعان الكبيرة من العامة أما و" قد مات الإله فإن الوجود البشري يعتمد في نهاية و مغزاه عن القلة الذين بدلا من أن يعبدوا آلهة"²، تسمو فوق الوجود البشري أصبحوا أنفسهم آلهة .

إنطلاقا من هذا قد عرفت فلسفة نيتشه إستباحت كثيرة من خلال توظيف هتلر لها كإطار لتبرير التراتب و التفاصل بين البشر ، و خلال الحرب العالمية الأولى كانت تنبؤات زرادشت تترن في الخنادق و الثكنات بقوة وكل جندي تقريبا يملك نسخة من ذلك الكتاب الذي ينادي بمقولة الإنسان الأعلى التي تعتبر شكلا من أشكال التطرف تغذي أسباب التفاوت و العداوة بين البشر ذلك أن إعتقاد أحدها في مرتبة أعلى و أشرف و أفضل من باقي الخلق ، و " كذلك تقسيم البشر إلى سيد و عبد . و هذا جعلنا نتسائل من أعطى لهتلر الحق في تفويض ذلك"³.

¹ محمد عبد المعز حضر، فلسفة السياسة عند الألمان، دراسة في الفكر الألماني الحديث، دون ط، (بيروت، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، 1985)، ص 115 .

² جلين تيندر، الفكر السياسي، الأسئلة الأبدية، تر: محمد مصطفى غنيم، ط1، (القاهرة، الهيئة المصرية لنشر المعرفة و الثقافة العالمية، 1993)، ص ص 98-97 .

³ فؤاد زكريا، أراء نقدية في مشكلة الفكر و الحداثة، ط1، (الإسكندرية ، دار الوفاء ، 2004)، ص 204 .

نلاحظ هنا حضور فكر نيتشه في فكر هتلر كما أشار نيتشه إلى ثقافة السادة وهي عبارة عن مجموعة من المعتقدات والأخلاق يسموا بها الإنسان القوي، والمبدأ المهيمن عليها هو تأكيد القوة والقوة موجودة بالفعل، إنَّ الحياة إذن تتركز إلى الإزدهار والانتشار ولو بالطغيان على الغير وبسط سلطانها عليه إرادة القوة هو الاسم الحقيقي لإرادة الحياة، وكل إرادة قوة تذهب إلى حدها الأقصى، لأن الحياة لا تزدهر إلا بإخضاعها من حولها، إنَّ إرادة القوة فردية فهي تجنب ذاتها وتقسو على الغير، بل تقسو على نفسها إذ ترى في المخاطرة والألم ضرورة لها¹.

تكمّن أخلاق السادة في الإنسان الأقوى، وتوطد نفوذه "وهي تمثل في الاعتزاز بالقوة وإحتقار الضعف وإحترام القسوة والإستخفاف بالرحمة، والشفقة، والخداع، والميل للإنتصار، وقهر الضعفاء والسير على جثثهم من غير رفق، وهو ما فعله هتلر وأتباعه من الجنس الآري عندما إتخذوا تدابير وحشية ضد اليهود غير عابئين بصراخهم وعويلهم، لكن العبيد في معظم الأحيان يتمردون على قيم السادة ومعاييرهم ويضعون غيرها، مما يلائم وضعهم كعبيد ومن هنا جاء التناقض بين أحكامهم وأحكام سادتهم، كانت الفضيلة عند السادة تقتضي القوة والصراع"²، إقتضت الفضيلة عند العبيد المسالمة والتواضع والتعاطف ونحوها من فضائل سلبية هزيلة، ولهذا تتغير القيم بدافع من حقد العبيد على سادتهم ورغبتهم البائسة في الإنتقام، ومن هذا تنشأ القيم الهزيلة "التي تجعل من الضعف فضيلة ومن العجز والإنتقام عزوفاً عن الشر، ومن الخضوع الدليل طاعة"³.

لقد استمد هتلر كرهه لليهود من نيتشه الذي هاجمهم كثيراً وهجومه عليهم كان مبنياً على دورهم التاريخي في تطور النصرانية وعلى الطبيعة النفسية التي إكتسبوها من خلال تجاربهم عبر الزمن، حيث حوّلوا النصرانية إلى دين باهت، بسبب بولس المؤسس الحقيقي للكنيسة النصرانية بولس اليهودي كان يقاوم طبيعته الخاصة المضطربة، من أجل أن ينهى نفسه عن رغباتها وجد نفسه مضطراً إلى أن يلغي هذه الرغبات، وأن يوجد نظام رهينة وجد فيه نيتشه نفياً للحياة، لقد أعاد بولس تأويل الغرائز الطبيعية في الإنسان على أنّها رذائل يجب كبتها، وهكذا يتحول إله أوروبا إلى إله لكل ما يتألم وكل ما يجنح إلى الموت، وهو "أي بولس

¹ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 435.

² توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها، ط2، (القاهرة، دار النهضة العربية، 1967)، ص 231.

³ المرجع نفسه، ص ص 232-238.

بدلاً من أن يشير بما يفيض على الحياة من بهجة ونعم وبدلاً من أن يثبت في الإنسان الإرادة القوية نراه يكره الحياة الحقيقية ولا يحمل لها إلا مقتاً¹، وهو ما أشار إليه هتلر عندما قال :

"إذا إعتمدت العقيدة اليهودية أساساً للحياة الكونية فإنها تلبث أن تقوّض كل نظام وأن تعود بنا إلى عهد الفوضى واختلاط العناصر ، مما يؤدي حتماً إلى إنقراض الجنس البشري ، لهذا أعتقد أنني متصرف حسبما يشاء العلي القدير ، خالفنا ، لأنني بدفاعي عن نفسي ضد اليهودي إنما أناضل في سبيل الدفاع عن عمل الخالق"².

تأثر هتلر بنيتشه جعله ينعت اليهود بالبواء القاتل ويصرح أن عقيدتهم "يفضي إنتشارها حتماً إلى قلب المقاييس التي حفظت توازن الكائنات ويترتب على نجاحها القضاء على البشرية قضاءً مبرماً"³، هذه الفكرة وجدت سندها ومبررها فيما أكده نيتشه قائلاً:

"يبتدئ تمرد العبيد على الأخلاق عندما يصبح تعويض الحق نفسه خلاقاً إلى حد توليد القيم ، فقد هذه الكائنات التي تتعذر عليها الإستجابة الحقيقية ، والتي لا تجد التعويض عن هذا التعذر إلا في عملية إنتقام خيالية وبما أن كل أخلاق أرستقراطية تولد من تأكيد فخور لذاتها ، نجد أن أخلاق العبيد توجه رفضاً لكل ما يشكل جزءاً من ذاتها وهذا الرفض هو فعلها الخلاق"⁴.

إستغل هتلر تصريح نيتشه بقوة الطبقة الأرستقراطية وبسالتها ودفاعها عن حقها بالحرب وطبقها على شعبه أي على الجنس الآري الذي يرى بأنه أفضل الأجناس مبدأه روح الكفاح وإحراز النصر وسلاحه الحرب ، حيث حمل الشعب الألماني السلاح للدفاع عن كيانه وكانت الحرب بالنسبة إليه أفضل الحلول ، يستشهد هتلر بقول مولتكه موضحاً ذلك :

¹ مجدي كامل ، نيتشه شيطان الفلسفة الأكبر ، ص-ص 240-241.

² أدولف هتلر كفاحي ، ص 20.

³ المصدر نفسه ، ص 83.

⁴ فريدريك نيتشه ، أصل الأخلاق وفصلها ، ص 32.

"في الحرب تكون أساليب القتال العنيفة أكثر الأساليب إنسانية لأنها تُعجل بوضع حدّ للنزاع، والنضال الذي يهدف إلى حفظ كيان شعب من الشعوب ينتهي معه كل اعتبار جمالي، لأنه ليس في حياة الإنسان أقبح من نير الإستعباد"¹.

إنّ أخلاق هتلر مستلهمة من أخلاق نيتشه التي تبدو في ظاهرها بعيدة كل البعد عن أخلاق التسامح الذاتي حيث أعجب بقوة الإرادة فوق جميع الأشياء مثله مثل نيتشه الذي رأى أن التعاطف ضعف يجب مغالبتة فحسبه عند الإشفاق تضعيف القوة و عبر الشفقة يتنامى و"يتولد أكثر و أكثر خسران القوة التي بها تكون الحياة محتملة . الإحتمال نفسه يصاب بالعدوى الممرضة من الشفقة"² ، و هو ما وظفه هتلر في مرحلة حكمه و هو موضح في قوله:

"إن الشعوب و الشعب الألماني خاصة - التي تناضل من أجل كيانها لا يبقى لها محل للإعتبارات الإنسانية و الجمالية لأن هذه الاعتبارات ما كانت لتكون لولا مخيلة الإنسان ، متى توارى هو توارت معه لأن الطبيعة لا تتعرف عليها ، و الشعوب التي تنزل إلى حلبة النضال للدفاع عن كيانها و حقها في البقاء لا تلبث أن تفقد القدرة على الدفاع عن نفسها إن هي أولت المبادئ الإنسانية و الاعتبارات الجلية من إهتمامها و عنايتها أكثر مما تشفق"³.

استمد هتلر نظريته الدونية لليهود من "فلسفة نيتشه التي ترى أن اليهودية من الأديان المنحلة المفعمة بالعناصر المفسدة"⁴ التي تروج للضعف والإنكسار والخضوع حيث فقد الإنسان قدرته الحربية وأصبح في خطر يهدده بعد ظهور الكائن اليهودي وإختراع معجم العبودية ،خير ،شر ،أخلاق ،خطيئة ومحبة... وهو ينطوي تحت لواء الكاهن اليهودي "الذي يعتبر إرتكاسا ازاء الحياة ،تقنية للسيطرة على إرادة الإقتدار"⁵.

¹ أدولف هتلر كفاحي ، ص 88.

² فريدريك نيتشه، عدو المسيح، تر: جورج ميخائيل ديب، ط2، (سوريا، دار الحوار، دون تاريخ النشر)، ص31 .

³ أدولف هتلر، كفاحي، ص 89 .

⁴ برتراند راسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، ص 401.

⁵ فريدريك نيتشه، في جينالوجيا الأخلاق ، تر: فتحي المسكيني ، ط1، (تونس، منشورات دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة، 2010) ص 98.

استشعر هتلر الخطر الذي يحدّق به من اليهود ودعى هو أيضا كل أبناء جلدته، كل رجل جدير ليقف في وجه هذه الحركة المخيفة وذلك لمنع تطورها فهو يرى أنّ "المسؤولين عن هذا الوباء (اليهودية) أبالسة حقيقيون، كأن الدماغ الذي صمّم هذه المنظمة ليس دماغ إنسان ولكنه دماغ مسخ"¹ -على حد تعبيره- أنّ الثقافة المسيحية أكبر أكلوبة مهلكة ومغرية، هي تستهدف هدم الأقوياء وتقويض روحهم وإستغلال لحظات الملل والضعف عندهم وتحويل إعتزازهم بأنفسهم وإحساسهم بالأمن إلى قلق وإنزعاج ضمير .

إنطلاقاً من هذا إنكب هتلر أيضا على دراسة العقيدة اليهودية وتعمّق فيها وما شاهده شخصيا وجد سندا له فيما قاله نيتشه عن اليهود ،يقول هتلر :

"اليهودية حركة هدامة تنصب الشباك وتلقي الأحابيل في طريق أبناء شعبه ، أصابهم جرّاء ذلك شلل مميت سببته هذه الجرثومة الرهيبة عن طريق نفثها لسمومها ، أشاعت الفوضى والدمار ليتسنى لها أن تستغل هذه الحالة وتفرض مشيئتها في كل مكان"².

يعترف هتلر المتأثر بأفكار نيتشه أنّ العقيدة اليهودية تزيّف الوقائع ،وتستترسل في الأكاذيب لذلك وصفهم بأنهم أساتذة عظام في فن الكذب ،وإنّقانه ميزة من ميزاتهم ،"كيان هذا الشعب في نظره قائم على كذبة من العيار الثقيل هي زعمهم أنهم جماعة دينية مؤسسة على مبادئ التسامح والإعتراف وتقديم التنازلات ،ومن ينكر هذا الواقع هو إمّا ساذج طيب القلب ،أو محتال جبان يريد المساهمة في إخفاق الحق و عدم إعلاء الحقيقة"³.

دور المسيحية إذن هو خلق عالم مغلق مظلم مريض ،هذه الإحساس بالخطيئة وأضناه الشعور بالذنب ،والحقيقة كما قلنا سابقا أن الأخلاق المسيحية ما هي إلّا صدى للأخلاق اليهودية التي تضم المستضعفين المنعمرين المنهزمين الذين نهضوا ضد أخلاق الأكابر ذوي

¹ أدولف هتلر ،كفاحي،ص 19.

²المصدر نفسه ،ص 73.

³المصدر نفسه ،ص 125.

الهمة العالية الشأن النبلاء وخالقوا القيم الملكية المبادرون إلى الفعل القوي وهم الجنس الآري"¹، أراد هؤلاء اليهود زرع بذور الشك والتأثير في أفعال الفئة المصارعة ،وذلك بالحيلة التي تعتبر أداتهم لا القوة ،وجد هتلر إذن دعامته وسنده الفكري فيما يقوله نيتشه ويصرح به ،حيث إستغل حقه لليهود وتحقيره لهم بما يخدم مصالحه في إبادتهم والقضاء عليهم لأنهم في نظره ماكرون ومجرمون وهو ما جعله يصرّح قائلاً:

إنّ اليهود يتميّزون بالحيلة في أسلوبهم في الجدل الذي يقوم على قواعد خاصة هي قواعد الديالكتيك اليهودي ، هم يعتمدون بادئ ذي بدئ على بلاهة مناظرهم ،إذا أخطأت فراستهم وضيق عليهم الخصم الخناق تظاهروا هم بالبله وإستحال عليه أن ينتزع منهم جوابا واضحا ،إنهم أسياد الكلام وأسياد الكذب"².

إستطاع اليهود قلب القيم ومن ثمّ قلب المعادلة الأخلاقية"³.لأن ما فعله اليهود هذا الشعب الكهنوتي ،هذا الشعب الذي لم يعرف معنى للراحة في صراعه مع أعدائه والمتغلبين عليه ،إلاّ عندما توصل إلى إجراء تحويل جذري على جميع القيم ،أي عندما توسّل إنتقاما روحيا في جوهره ، هذا الفعل حسب هتلر لا يقوى على فعله إلاّ شعب الكهنة الذي ينتقم بطريقة كهنوتية"⁴. وهو ما استلهمه من قول نيتشه:

"أن يصير وحدهم البؤساء هم الأخيار والعاجزون السفلة هم الطيّبون ، والمعانون المرضى هم الأسياد الذين رضيت عنهم الآلهة ، إنّ المساكين وحدهم هم الطيّبون ، والمتألّمون والمحتاجون والصغار والفقراء والمشوهون هم وحدهم أصحاب النّقوى و وحدهم مباركون من الله ، والعظمة والسعادة وقّف عليهم ، ليس إلاّ ، أما أنتم أيها النبلاء ،الأقوياء ما زلتم منذ الأزل معشر الخبيثاء والطغاة والجشعين الكفرة ،وستظلون إلى

¹ محمد الشيخ ،نقد الحداثة في فكر نيتشه،ط1،(بيروت ،لبنان ،الشبكة العربية للدراسات والنشر ،2001) ،ص 430.

² أدولف هتلر ،كفاحي،ص18.

³ محمد الشيخ ،نقد الحداثة في فكر نيتشه،ص432.

⁴ فريدريك نيتشه ،أصل الأخلاق وفصلها ،ص30.

الأبد منبذين ،ملعونين هالكين"¹.

يمجد هتلر المتشبع بثقافة نيتشه الأخلاقية أخلاق السادة ويفضلها هي في نظره أخلاق الأقوياء ،المتميزة بالقوة والشجاعة والثقة بالنفس ،والبعيدة عن التعاون والخير"² ،هؤلاء الرجال في نظره "ذوي الهمة بكونهم أكثر عزما يصادفون سعادتهم هناك حيث لا يصادف الآخرون غير دمارهم ،في المتاه ،في القسوة إتجاه الذات وإتجاه الآخرين في المحاولة ،مسيرتهم ،في الإنتصار على نفوسهم والتقصّف يتحوّل فيهم إلى طبيعة وضرورة وإلى غريزة الواجب العسير ،تعني لهم إمتيازاً ليتاح لهم أن يستحقوا الأحمال التي تسحق الآخرين ،إنهم الجنس الأكثر إحتراماً"³ ،هو الجنس الاري الذي يحلم هتلر ببقائه وخلوده وإنتصاره .

ما كتبه نيتشه إذن إستقطب إليه قلوب النازيين ،وسلب عقولهم ،وأيقظ فيهم ذلك الوحش الكاسر الذي نكل باليهود أشد تنكيل ،فلسفة نيتشه كانت لهتلر بمثابة عنوان للقوة والوحشية المدمرة"⁴ وظفها ليبيد العناصر الضارة ويطهرها ويبقي على العنصر النقي الذي يهيمن عليها وتطهير الذوق لا يمكن إلا أن يكون نتيجة تعزيز للنموذج (الإنسان الأعلى) الذي ينتج عن وتيرة فائضة من القوة .ليس هذا فحسب كل فكرة من أفكار نيتشه المتشعبة بمعاني القوة ،السلطة ،مركزية الذات تلقاها هتلر بكل حفاوة ووظفها في قاموسه البربري المبطن بكل مسميات الوحشية والنرجسية وأسقطها على اليهود الذين إعتبرهم طفيليات تراحم الشعوب على مقومات وجودها يقول هتلر :

"اليهودي إذا أراد الإنتقال من مقر سكناه إلى مكان يؤمن له أسباب البقاء لا يتخلّى عن طابعه الخاص ،يبقى طفيلي كما كان طفيليا هناك ،وبديهي أن يكون له حيثما وجد التأثير للنبذة الطفيلية ، فحيث يستقر اليهودي لا يلبث الشعب الذي

¹ فريدريك نيتشه ،أصل الأخلاق وفصلها ،ص 31.

² صفاء عبد السلام علي جعفر ،محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه،دون ط،(مصر ،دار المعرفة الجامعية ،1999) ،ص 169

³ فريدريك نيتشه ،عدو المسيح ،ص 168.

⁴ إميل برهيه ،تاريخ الفلسفة الحديثة ،تر:جورج طرابيشي ،ط1،(بيروت ،لبنان ،دار الطليعة للطباعة والنشر ،1987) ،ص 142.

فتح له ذراعيه أن يتلاشى ،لذلك وجب القضاء عليهم وإهلاكهم"¹.

أساء هتلر قراءة فلسفة نيتشه التي فتحت الطريق أمام تصور للوجود والحياة ،لم ينتبه لأهميته إلا هتلر وأتباعه ،نظرا لأنه لم ير في نيتشه سوى "المذهب الفردي ، تلك السيطرة على الذات ،و ذلك النقشف للذات يصبغان الإنسان الحقيقي الصلب"² ،لقد كان هتلر يرى في نيتشه الملهم له ومهبط وحيه ،وعندما "هتف نيتشه بدين القوة والسلطان تلقّف هتلر تعاليمه فأفرغها في قوالب التطبيق العملي"³ .واستغل فكره الذي يمجّد حسبه البربرية والعبودية والعنف تحت شعار إرادة القوة ،أي "رفض كلي للديمقراطية وهذا يعني رفضه لأن يعدّ العقل أداة تحرير للإنسان من التخلف والظلام ،ومن شدة أخلاقيته صار لا أخلاقيا"⁴.

نقل هتلر عدوى هوسه بالقوة إلى شعبه الذي نظرا لسوء قراءته لنصوص نيتشه،لم يفرق بين السلطة والقوة ،ولم يعلم أنهما أمران مختلفان ،القوة هي التي بواسطتها تستطيع أن تجبر الآخرين على طاعتك في حين أن السلطة هي الحق في أن توجه الآخرين أو أن تأمرهم بالإستماع إليك وطاعتك ،صحيح أن السلطة تتطلب قوة غير أنّ هذه القوة بلا سلطة ظلم وإستبداد السلطة تعني العدالة ،وإذا كانت السلطة ضرورية لتحقيق أمن المجتمع هذا لا يعني أن تبيد وتقضي فئات من الأفراد ،كما فعله هتلر ،"هناك حدود ينبغي أن تقف السلطة عندها حتى لا تتحول إلى نوع من الطغيان ولكنها تحولت لذلك مع هتلر"⁵ .

مارس هتلر الإضطهاد المعبر عن بربرية أوروبا الغربية بأكملها التي تفتّنت في إسترقاق وإستعباد الشعوب المستعمرة ولا تعتبر النازية إلا المرحلة القصوى من هذه العملية،هذه النازية التي حاربت الأعراق ووصفتها بالدونية ،"السلافيون في مرتبة أدنى والغجر ملوثون ،أما اليهود يوصفون بالدونية والتلوث والإنحراف في الوقت نفسه"⁶ .

1 أدولف هتلر ،كفاحي،ص 160.

2 إميل برهيه ،تاريخ الفلسفة الحديثة ،ص 124.

3 عبد المجيد نافع ،"ألمانيا بين نيتشه وهتلر" ،مجلة الرسالة ،العدد 340 ،بتاريخ 1940.01.08 .

4 فالخ بشيب العجمي ،جدل الحداثات،ط1،(بيروت ،لبنان ،منشورات الجمل ،2011) ،ص 57.

5 يحي الجمل ،الأنظمة السياسية المعاصرة ،دون ط،(بيروت ،لبنان ،دار النهضة العربية ،1969) ،ص 14.

6 إدغار موران ،ثقافة أوروبا وبربريتها ،تر:محمد الهاللي ،ط1،(المغرب ،دار توبقال للنشر ،2007) ،ص 56.

إستنادا لهذا نجد أنّ هتلر تبني مقولات نيتشه وفلسفته التي تخدم مطامعه ومصالحه الشخصية فعندما أقرّ أنّ إرادة الحياة والقوة متمثلة في السادة ،أما أخلاق العبيد تمثل عدمية الحياة، القوى الفاعلة أي السادة هي القوى الأرقى والمسيطرة ،والبقاء في النهاية للأقوياء وليس للضعفاء وهو ما نجده في كتابات هتلر حينما أكد على إنتصار الجنس الآري الذي إختصته الطبيعة بالقيم السامية إنتصارا نهائيا وحاسما ،القوي مدعو إلى السيطرة على الضعيف لا إلى الذوبان فيه مضحيا بعظمته ،وإذا "لم يتقيد البشر بهذا المبدأ الأساسي يصاب تطور الكائنات المنظمة بنكسة خطيرة"¹ ،وقد شبّه الجنس الآري القوي بالثعالب أما العبيد أي اليهود نعتهم بالدجاج ، قال في الموضع نفسه :

"لكننا لا نجد مطلقا ثعلبا ينحوا منحى
إنسانيا في معاملته للدجاج ،وليس ثمة
هرة تربطها بالفأر علاقات الود
والصداقة".²

يبدو لنا تأثر هتلر بنيتشه واضحا جليا وذلك له ما يبرره لأن طموحات الجنس الآري في التوسع على حساب كل الضعفاء ،وجدت حجتها الفكرية في إرادة القوة لنيتشه هذه الصيغة تفضح إدعاءات الذات المهيمنة المطلقة على الوجود "خطابه عن الإنسان القوي تأكيد جديد لطموحات الذات التي لا حد لها إلى الهيمنة"³ ، إنطلاقا من هذا تشكلت شخصية هتلر الطاغية المتأثر بنيتشه الذي يحكم بمصلحته الخاصة وينغمس في إشباع شهواته دون "إكتراث بالقانون أو العرف ،مقيما سلطته على القسر ،وليس أسهل عنده من سفك الدماء"⁴ ،دماء اليهود وغيرهم ،وذلك فقط للحفاظ على سلامة العرق وصون نقاوة الدم ،فإذا فسد دم عرق من الأعراق بفعل الإختلاط تتفكك عرى الوحدة الروحية وتتهار القوى المبدعة ،ويقوّض صرح الحضارة ،يقول هتلر موضحا ذلك :

¹ أدولف هتلر ، كفاحي، ص 148.

² المصدر نفسه ،الموضع نفسه.

³ Martin Heidegger , "le dépassement de la métaphysique" ,in essais et conférences ,paris ,gallimard ,p 91.

⁴ إمام عبد الفتاح امام ،الطاغية،دراسة فلسفية لصور من الإستبداد السياسي،دون ط،(الكويت ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب 1994) ص46.

"يجب على من يطمح إلى إخراج الشعب الألماني من المأزق الحالي أن يبدأ بتطهير صفوفه من الذين أفسدوه، وعلى "الأمة الألمانية أن تبادر بكل قوة، إلى مواجهة المسألة العرقية متخذة على ضوءها القرار الحاسم في المسألة بل المسائل التي يثيرها وجود اليهود بيننا"¹.

أراد هتلر إستعمال كل الوسائل الممكنة للقضاء على اليهود الضعفاء، ودعى إلى ضرورة التضحية بهم، لأن نقاء النوع البشري لا يمكن أن يتم إلا من خلال التضحية بسواد البشر، ويدّعي اليهود تساوي البشر أمام الرب، وهذا التقييم هو أخطر التقييمات الممكنة، يجب أن لا يتساوى البشر، إذا فعلنا ذلك نحن نضيع النوع البشري، ونشجع ممارسة تؤدي إلى تدمير هذا النوع، وبهذا اليهود يناقضون بمبادئهم الإنتخاب الطبيعي، بنظرهم المنحط والمريض لهما نفس القيمة للمتمتع بصحة جيدة وهذا يقف عائقا أما السير الطبيعي للتطور و يخالف قانون الطبيعة لأن "المناداة بالمحبة الشاملة للإنسانية أهانت وأضعفت القوة والمسؤولية والواجب السامي"²، وبوحي من فلسفة نيتشه التي شجعت بنظر هتلر على اليوجينية أي علم ترقية السلالات البشرية بناء على الإيمان بالوراثة وهي الآن يوجينية سلبية، بمعنى أن الأمم تعتمد على تعقيم الناقصين والبله حتى لا يتناسلوا، وقد "عمد هتلر إلى شيء من اليوجينية الإيجابية بتشجيع المتفوقين على التناسل، كما هو بارز في تعاليم نيتشه و الأفكار التي تفشت عقب نظرية التطور"³.

يقول هتلر:

"إذا تساوت حظوظ البشر في التناسل والبقاء تفوق غير الأكفاء دون كبير عناء، من هنا وجب التدخل لمصلحة الصفة، والطبيعة تتدخل بإخضاعها الضعفاء لشروط

¹ أدولف هتلر، كفاحي، ص 177.

² فريدريك نيتشه، إرادة القوة، ص 112.

³ سلامة موسى، هؤلاء علموني، ص 11.

قاسية تحدّ من عددهم ، ولا تسمح بالتنازل إلا للذين
تنتخبهم هي من بين الأصحاء والأقوياء ، وهي بهذا
تحارب دون هوادة إختلاط عرق متفوق بعرق وضع
إن هذا الإختلاط يعود بالبشرية إلى النقيض¹ .

وظّف هتلر خطاب نيتشه الفلسفي لما يخدم مصالحه ومطامعه ، هذا الخطاب الذي يحمل
في طياته حسب هتلر بذور التمرد وتحرير الذات على نطاق أوسع، وتجاوز لكل القيم والمعايير
الأخلاقية التي سطرها المجتمع ، وهذا ما جعل هتلر يستند على فلسفة نيتشه لينخرط بفضلها
في عملية نفعية لصناعة عالم مليء بالقمع والإكراه ، حيث تبنى آرائه وثبّتها وذلك فقط لكونها
تتيح له الفرصة السهلة في التعامل مع من خرج عن قوانينه الجائرة ، إنطلاقاً من هذا طبق هتلر
فكرة نيتشه عن إرادة القوة على أرض الواقع ، و"مارسها على الضعفاء من شعبه وتظهر القوة
هنا بوصفها قوة مرنة مسيطرة وقاهرة ، قوة تمضي إلى أقصى ما تستطيعه"²، هنا نلاحظ أن هتلر
إستمد قوته وجبروته من قوة الخطاب السلطوي الذي يقدمه نيتشه لذلك أسس دولة مركزية
مارست العنف وإدّعت "حق الكلام بإسم الشعب بأكمله وشكّلت الشكل الأكثر تعقيداً للعنف
الممارس من قبل المجتمع ضد مواطنيه"³ . وهنا ظهر تسلط الدولة وقمعها بإسم الدولة المطلقة
التي تعلوا سلطتها على الجميع تحاسب ولا تحاسب ، وهي دولة الطغيان التي كثيراً ما قادت إلى
العنف والثورة ، لأن سيطرتها إنطلقت من إحكامها القمعي على الجانب الإقتصادي ثم
"الإجتماعي وصولاً إلى السياسي ممارسة أشنع أساليب التقتيل والنبذ والتعذيب"⁴ .

تأثر هتلر بالفعل بفلسفة نيتشه الصراعية ، وأطروحات الداروينية الأساسية أسس الدولة
النازية التي حاولت أن ترشد العالم (الطبيعة والإنسان) بأسره وتطوعه وتحوله إلى "مادة
خاضعة للنماذج المادية والكمية ، نافعة للجنس الآري واستخدموا مفاهيم مثل إرادة القوة الإنسان

1 أدولف هتلر ، كفاحي، ص ص 148-149.

2 جيل دولوز ، نيتشه والفلسفة ، ص 122.

3 رضوان جودت زيادة ، صدى الحداثة ، ما بعد الحداثة في زمنها القادم ، دون ط، (الدار البيضاء ، المغرب ، دون تاريخ النشر) ، ص 179.

4 هريبرت ماركوز ، العقل والثورة ، تر: فؤاد زكرياء ، ط2، (بيروت ، لبنان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1979) ، ص 74.

الأعلى"¹، وإستنادا لهذا أخذت فلسفة نيتشه مع هتلر مدلولاً سياسياً وجعلها حجة له ودعامة لإشاعة الروح الإنتقامية، ما أدّى إلى إتساع الهوة بين عالم الأقوياء والضعفاء، حيث غدّت إرادة القوة لنيتشه نظام هتلر السياسي الإستبدادي الذي كان همّه الأول والأخير تحقيق الأغراض والمطامع الشخصية من أجل النهوض بالإقتصاد وبلوغ قمة الإزدهار والرفاهية على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية والإقتصادية .

أعجب هتلر إعجاباً شديداً بفكرة نيتشه عن الإنسان الأعلى والذي يجسد إرادة القوة هو على وجه التحديد الإنسان الطبيعي المادي الغربي، الأشقر المفترس، رجل أوروبا النهم، الذي صنعه هتلر ليلتهم العالم ويبيد الشعوب ويدمر الكون، هو صنف قوي، ونموذج راقى، أنشأه هتلر وأقرّ وجوب المحافظة عليه ووجوب حفظ دم العرق المتفوق نقياً طاهراً، لأن ضياع دم الشعب الفاتح في دم الشعب الخاضع للسيطرة ينتهي حتماً إلى "ضياع المادة القابلة للإحتراق والتي منها الشعلة التي تتير السبيل أمام الحضارة البشرية السائرة قدماً"²، ما نلحظه أن الطريقة التي يفكر بها هتلر مستوحاة مما كتبه نيتشه، ما قاله عن الجنس الآري ينطبق عن الوصف الذي يطلقه نيتشه عن صنف البشر الذين يصفهم بالأقوياء، الخبثاء، ويشيد بهم لأنهم ساهموا في تقدم البشرية، لأنهم ما يفتأون يؤججون الأهواء المنطفئة شاهرين السلاح غالباً، منتهكين القوى"³ .

إن فكر نيتشه لا يبدو حسب هتلر إلّا وصفاً للإستعمال التقني للطبيعة و"لتصارع الجنس البشري مع الطبيعة الفعلية من أجل الوجود ولكن بطريقة مختلفة"⁴، لذلك نلحظ أن هتلر قد وجد في هذا الفكر متنفساً وإرضاء لغروره، وتعزيزاً لعرقه، ورفعاً لقيمة جنسه الآري ونبذاً للطبقة الدونية اليهودية، يقول هتلر:

"تجد غريزة حب البقاء وحفظ النوع وراء كل حدث من أحداث التاريخ وإذا تحرّينا الأسباب الحقيقية لتفوق

1 أحمد عبد الحليم عطية، نيتشه وجذور ما بعد الحداثة، ص 190.

2 أدولف هتلر، كفاحي، ص 152.

3 فريديريك نيتشه، العلم الجذل، ص 36.

4 أدولف هتلر، كفاحي، ص 155.

الآري نجد أن تفوقه مبعثه الشكل الخاص الذي تتجلى
به غريزة حب البقاء وليس قوى هذه الغريزة نجد ذاتها
الرغبة في الحياة أو البقاء نزعة غالبية لدى كافة البشر
أما الفروق فإننا نلمسها في حيز التطبيق حيث تختلف
الانتفاضات وتتباين الأساليب¹.

لقد إحتاجت قوة ألمانيا العسكرية والصناعية المتزايدة إلى صوت يعبر عنها كما
إحتاجت مشيئة الحرب وإرادة القتال إلى فلسفة لتبريرها ،لأن الديانة المسيحية المسالمة لن
تصلح لتبرير هذه الروح لمن ينادي بها ،وغدى نيتشه " صوت ألمانيا المعبر عن روحها
العسكرية وإيمانها بالقوة"²، وإن أعجب نيتشه بالإنسان الأعلى فإن هتلر مولع بالرجل الآري
ومعجب به شديد الإعجاب هو يمثل بالنسبة له العبقري الفذ الذي لا مثيل له يقول هتلر:

"إذا صنفنا البشرية فئات ثلاث: الفئة التي أوجدت
الحضارة ، والفئة التي حافظت عليها ، والفئة التي
قوضت دعائمها، كان الآري الممثل الوحيد للفئة
الأولى فهو الذي وضع الأسس ورسم مخطط أبرز
ما في الإنسان وهو الذي قدم الحجارة الضخمة
للبناء ووضع تصميم ما حققه التقدم البشري لذا
الحفاظ على الحضارة يفترض الحفاظ بالدرجة
الأولى على الإنسان الذي أوجدها ،وهذا المبدأ
مرتبط بحق الأصح والأقوى في التفوق والسيادة"³.

إنطلاقاً من هذا إن أعظم صفة أساسية يتصف بها الألمان وأعظم تشخيص لها هو
التوكيد على العرق الجرمانى أو الآري والدم والتراب وعلى الشيطان متخفياً وراء قناع يهودي
،وعلى العروق المتوسطة والمتدنية فقد ظهر هتلر كإله إستحوذ على الألمان ، مثل الإله
الجرمانى في حالة الكلية على مستوى بدائي جداً ،أي شرطاً سيكولوجياً تكون فيه إرادة الإنسان

¹ أدولف هتلر ،كفاحي، ص 157.

² ول ديوارنت ،قصة الفلسفة، ص 507.

³ أدولف هتلر ،كفاحي، ص ص 150-151.

متوحدة مع إرادة الله ، ويكون فيه الإنسان تحت رحمته كلية ، " لقد حدث الهول في ألمانيا جراء ما تكبده اليهود من خسائر ، هذه البلاد والشعب اللذان يخيم عليها غيوم الذنب"¹، وقد يكشف لنا هوس هتلر بالسلطة عن إنحراف مرضي ، سلطته غير مبنية عن وضع طبيعي للأمور ، الديكتاتورية التي ينعت بها هتلر ليست إلا مرضا من أمراض السلطة وليست ظاهرة طبيعية"² .

"لقد شَخَّص هتلر بمرضى الهستيريا الذي يشكو دائما من كونه محاطا بأناس عاجزين عن تقديره حق قدره يحذوهم إلى ذلك دوافع دنيئة ، لذلك نجده يتهم اليهود بأنهم يريدون إيقاع الألمان في شركهم ، بدأوا باحتكار التجارة والأعمال المالية ، وأرادوا التحكم برقاب مالكي الأراضي وفلاحها ، لقد كانوا شعبا له خصائصه ، بحثوا بعد تشردهم عن وسيلة يضللون بها الشعوب فما وجدوا أفضل من تقديم أنفسهم على أنهم جماعة دينية ، و بدأوا بتخدير غريزة البقاء للألمان ، ونشروا البغاء وأشاعوا الإباحية ، وذلك تهديد للأمة الألمانية وإفناء لها"³. لذلك إعتبر هتلر اليهود رهط من السفلة يجب القضاء عليهم قضاءا كلياً ، لكي يتاح للعلية السوبرمان أن يبلغوا مستواهم الرفيع من الكمال ، و إعتبر بأن الرسالة السامية للدولة هي الحفاظ على كيان الأجناس البشرية بحيث لا تعترف العنصرية بتساوي الأجناس مما "يجعلها مؤيدة لبقاء الأصلح والأقوى ولخضوع الضعيف والقوي ، تماشيا منها مع المبدأ الأرستقراطي للطبيعة"⁴ ، أن ينحوا فكر المهستر وشعوره هذا المنحى لدليل واضح أنّ فيه نقصا لذلك يضطر إلى تعذيب الآخرين وهذا يدل على إفتقار تام من المريض إلى الثقة في النفس ، الإعجاب بالذات ، التصميم على نيل الإعجاب بوسائل صحيحة أو فاسدة ، كل هذه الأعراض تجمعت في هتلر هذا الرجل كان تشخيصه سريريا أنّه مهستر ، إختاره قدر غريب لكي يكون الناطق السياسي والديني والأخلاقي بلسان ألمانيا طوال إثنتي عشر سنة"⁵ .

¹ كارل غوستاف يونغ ، النازية في ضوء علم النفس ، ص 24.

² موريس ديغريه ، الديكتاتورية ، تر: هشام متولي ، دون ط، (بيروت ، دار عويدات للنشر والتوزيع ، 1989) ، ص 36.

³ أدولف هتلر ، كفاحي ، ص ص 163-169.

⁴ المصدر نفسه ، ص 196.

⁵ كارل غوستاف يونغ ، النازية في ضوء علم النفس ، ص 47.

هتلر إذن هو قائد مذهب شمولي ، يقوم على "إدانة جميع الأفراد والمؤسسات والجماعات في الكلّ الإجتماعي عن طريق العنف والإرهاب"¹ ، يمثلّ هذا الكل قائد واحد يجمع بين يديه كل السلطات ،وهو ذو شخصية فذة له قوة سحرية على جذب الجماهير ،كيف لا وهو يقتبس أجمل ما قاله نيتشه دون أن يفهم حتى ما قصد وذلك حتى يتلاعب عبثا بالجماهير ويسيطر عليهم ،فعند ما يؤكد نيتشه قائلا :

"إن الشفقة لا تمثل فضيلة إلا بالنسبة للمنحطين وسرعان ما تفوح بالرعا ، الذين يزعمون أنهم عظماء في عداد البشر لكنهم في نظري سقط المتاع ونفايات البشر ونتاج للمرض وغرائز الإنتقام ،إنهم كائنات فظيعة وغير قابلة في جوهرها للعلاج ،غايتها الإنتقام من الحياة"² .

نجد هتلر في الكثير من المواضيع من كتابه كفاحي ينحو نحو نيتشه حيث يصرح قائلا :

"من هنا وجب علينا كدولة جرمانية السهر على وقف كل إختلاط جديد وصم الآذان عن سماع الدعوة اليهودية إلى ذلك الحواجز التي تفصل بين الأجناس وعن سماع إحتجاجات أنصار الإختلاط على المساس بحقوق الإنسان المقدسة ، وهذا الحق هو السهر على بقاء دمه نقيا طاهرا ليصون الدولة ومقوماتها"³.

هذه الدولة التي تحكمها الطبقة الحاكمة أي السوبرمانات الهتلرية ،التي تعتقد بأنها أحق من غيرها بحكم المجتمع والتمتع بالحقوق والإمتيازات المخصصة لها إضافة إلى " إعتقادها الجازم بأنها طبقة نبيلة ومؤهلة لقيادة المجتمع أفضل من أي فئة أخرى، ناهيك عن ثقها بالشعبية والسمعة العالية والمكانة المرموقة"⁴ ،وتبعا لهذا غريزة حب البقاء عند الآري إتخذت أنبل أشكالها هو يضحى بذاته في سبيل الجماعة، مواهب الآري المبدعة هي "وليدة مواهبه

¹ إمام عبد الفتاح إمام ،الطاغية،ص 63.

² فريديريك نيتشه ،هذا هو الإنسان،ص ص 61-62.

³ أدولف هتلر ،كفاحي،ص 207.

⁴Mark Hein .k. Ideology and utopia ;NEW York ,Oxford university ,press ,1976 ,p 16.

العقلية ،لقد قاسوا الحرمان ليؤمنوا للجماعة أسس مستقبلها ومعالم كينونتها أما روح التضحية عند الشعب اليهودي فلا تتعدى نطاق الأنا"¹،لقد طبع الآريون تلك الوحوش المفاخرة أينما مروا آثارهم بطابع البربرية ،وهي بربرية لا يجد هتلر المتأثر بنيتشه أي "حرج في تعظيمها وجعلها رمزا لحيوية فياضة وجراً بطولية لا يشعر بها إلا عرق متفوق غالب ومتعارض مع عرق أدنى"² ،لقد إستقى هتلر هذه الأفكار من فلسفة نيتشه التي تصف العرق الأدنى بأبشع الصفات هم في نظره مفتقرون للباقة وسماحة القلب ،هم أولئك الذين يركنون للصمت ،وكل الصموتين هم في نظره من المصابين بسوء الهضم ،واعتبرهم أخط من الحيوانات قائلاً :

"أخشى ألا تعتبر الحيوانات أن الإنسان الضعيف كائن
من جنسها قد أضاع رشده الحيواني بأخطر طريقة
أخشى ألا تعتبره كالحیوان العبي ، الحيوان الضاحك
الباكي ،الحيوان المنذور للشقاء"³ .

نظرا لقراءة هتلر المشوهة لفلسفة نيتشه فقد إعتقد أنه ما دامت فضيلة الإنسان الأعلى بالنسبة لنيتشه هي القسوة والعنف ،ومقت الشفقة والرحمة والحب هذا دليل صارخ حسب هتلر على دعوته للحرب والعدوان ،"كيف لا وهو يعرف الحب بأنه وسيلة الحرب وخلفيته العميقة والحقن القاتل الذي يكنه كل جنس للآخر"⁴ ،ما هو معروف أن الحرب تتطوي على العنف والإرهاب اللذين يستعملان ضد الخصم سواء كان ذلك قبل وقوعها أو بعده ،والعنف والإرهاب اللذان مارسهما هتلر على سبيل المثال أخذا أشكال وصورا لعل أهمها قتل البشر "وإبادة التجمعات السكانية وتدمير السكان لكي لا تقوم له قائمة مع حرق وتدمير الأبنية والمؤسسات والتعرض للنظم الإجتماعية وفرض الخسائر المادية والبشرية بكل فخر وتباهي"⁵ ،والذي يقود الحرب هو سوبرمان نيتشه الذي أعجب به هتلر أشد إعجاب ووضح ذلك قائلاً :

" يجب إلزاما مهر البشر بمثل أعلى ، بدون المثل الأعلى

¹ أدولف هتلر ،كفاحي،ص ص 156-157.

² جمال مفرح ،الإرادة والتأويل ،تغلغل النيتشوية في الفكر الغربي ،ص 21.

³ فريدريك نيتشه ،العلم الجدل ،ص 142.

⁴ _____ ،هذا هو الإنسان ،ص 56.

⁵ بسام المقدم العسلي ،الحرب والحضارة ،دون طه،(بيروت ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،1979) ،ص 180.

لا يبقى معنى لوجود البشرية ، ولكنها تنكر حق البقاء على كل قاعدة خلقية تشكل خطرا على عرق يدافع عن قيم أسس منها ، وتنكر بالتالي حق البقاء على كل عنصر وضع يحاول إضعاف الأعراق المتفوقة عن طريق إختلاطه بها ، لأن عالما تحتاجه سلالة الضعفاء لا بد سائر إلى الإضمحلال بعد أن تشوّه فيه مفاهيم الحق والخير والجمال"¹ .

أثبتت الإيديولوجية النازية عن طريق زعيمها هتلر أنها عنصرية لأقصى الحدود وقد كشفت أوراقها منذ كفاحي حيث أشاعت ما يسمى بصفاء الدم وظهر معها تصور عنصري على أساس العرق يكتسي شرعية ويتمتع بمصادقة عليه من طرف النزعات القومية الحماسية أو المتأججة ، " دافع النازي ولمدة طويلة على أن الأعراق متميزة لا محالة"² ، حيث أثبت الجيش الألماني أنه فريد عصره بما أظهر من جلد وبما أبدى من عتاد في "مقارعة خصوم يفوقونه عددا وعدة بالرغم من معاناته الحرمان ومن مواكبة الجوع والمرض"³ ، أما اليهودي هو شخص بلا حضارة وليس لديه القدرة لا على الإبداع أو الخلق، أما ذكاؤه موجّه دائما إلى الهدم والتخريب وفي بعض الحالات النادرة يفعل اليهودي الخير وهو "يحسبه شرا فيكون قد أسهم في خدمة البشرية ولكن بالرغم منه ولشدة غبائه"⁴ ، موضوع التنوع العرقي أدخل هتلر في حرب ضروس مع اليهود جرّدهم تبعا لذلك من ممتلكاتهم وحرّمهم من حقوقهم ، وتنفذ الجيش مجازر مريعة بحقهم حيث أنشأوا الغيتوهات وذلك بغرض تطهير أوروبا من جميع اليهود ، وقد كان نفيمهم أمرا مدروسا ، وفي ربيع 1942 بدأت "عمليات النفي والإبادة الجماعية لليهود ، وهكذا فإن العنصرية العرقية الهائجة للنازية كانت تستعمل في طياتها الإبادة كوجود بالقوة"⁵ .

1 أدولف هتلر ، كفاحي، ص 196.

2 إدغار موران ، ثقافة أوروبا وبربريتها ، ص 50.

3 أدولف هتلر ، كفاحي، ص 82.

4 المصدر نفسه، ص 158.

5 إدغار موران ، ثقافة أوروبا وبربريتها، ص 54.

لقد تشبعت العنصرية الألمانية على يد زعيمها هتلر مما قدمه نيتشه من كتابات تمدح الحرب وتثبت بأنها تبعث الطاقات الكامنة وتقويها وتعيد الذات إلى ذاتها ،ملزمة إياها بالتوفر على مزيد من القوة بينما "ينزع السلام عن الذات قواها ويدعوها إلى اللامبالاة ،لأن الحرب هي ما يجعل الحضارة تتقدم لا السلام"¹، تسائل نيتشه قائلاً :

"هل الحرب والقتال شر يا أخي؟ لكن ذلك ضروري هذا الشر ، ضروري هذا الحسد وسوء الظن والإفتراء بين فضائلك ، الحرب والشجاعة من الأعمال العظمى ، إذ بسالتكم وليست شفقتكم هي التي ظلت تتقذ الضحايا لحد الآن"² .

العجب أن آذان هتلر كانت تصغي وبكل شوق لكلمات نيتشه الرنانة وسارع في تطبيق كل ما خطفه سمعه وغفل عنه عقله على أرض الواقع دون هوادة ولا خوف ،و راح يجول ويصول قائلاً:

"لقد سلك الآري الطريق الذي رسمه له الواقع ، لا الطريق الذي يحلم به دعاة السلم في هذه الأيام ، ولئن يكن الطريق الذي يرسمه الواقع شاقا وطويلا هو يؤدي حتما إلى الهدف الذي يحلم دعاة السلم بالوصول إليه من طريق آخر يبعد البشرية عن هدفها الأسمى بدلا من أن يؤدي بها إليه"³.

يتمتع الألمان حسب هتلر بالشجاعة التي "دعا إليها نيتشه بإعتبارها أشد الأسلحة فتكا ،الشجاعة التي تهاجم ، كل هجوم هو حفل بدق طبول وضرب صنوج"⁴ . وإنطلاقا من هذا ظهر هتلر كمثل للطبقية من خلال تفكيره في مصلحة جماعة أو شريحة أو عصابة أو عرق يروج لطبيعة خطيرة ترى الخير في الإنتقاء و الصراع لطبيعة بدائية لغريزة الوحش في الإنسان،

¹ مصطفى الحساوي، نيتشه وجوه الفيلسوف، دون ط، (الرباط، منشورات دار التوحيد، 2010)، ص 12.

² فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ص 100-155.

³ أدولف هتلر، كفاحي، ص 154.

⁴ فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ص 200.

تبنى هتلر لفلسفة نيتشه جعلت أصابع الاتهام تشير إلى نيتشه مباشرة بإعتباره مسؤولاً عن أهوال المرحلة الهتلرية ،لأن فلسفة الإنسان المتفوق التي ينادي بها هي رجعة عن الإنسان¹ تقود به إلى الإنسان البدائي بل إلى الحيوان المتوحش الذي ترجم في جنود الألمان الذين كانوا "حسب هتلر مقاتلين شديدي المراس وفي سلاحهم أداة فتك رهيبة ،فالألمان برابرة ،ولا يقلون همجية عن قبائل الهون"² .

إنّ فظاعة النازية إنحصرت إذن في أكوام الجسد التي تكدست نتيجة آلة الإبادة والتصفية، وهذا يدل على الإفلاس الأخلاقي الذي جلب معه مجددا التأكيد التقليدي على ميل الإنسان للشر ،كان هذا التأكيد الجديد ترياقاً ضد الإستخفاف بالقدرة المتأصلة للشر في الإنسان ،"إلاّ أنّه في ذات الوقت أستخدم للسخرية من أولئك الذين لم يفقدوا إيمانهم بالإنسان"³، إما من خلال سوء فهم أفكارهم أو تشويهها ،وهذا ما قام به هتلر تحديداً ،قد جرّ العالم لويلات بقيت ظلال آثارها لائحة ليومنا هذا ،لذلك شخّصت حالته بأنه مريض بالانكروفيليا والتي تعني حرفياً حب الموت ،هو منجذب نحو كل ما ليس حياً إلى الخبث ،إلى الإنحلال والقدارة ،لأنه كان مفتوناً بالتدمير ورائحة الموت ،هو بارد ،مكرّس للنظام والقانون المستبد ،قيمه هي تماماً عكس القيم التي تربطنا بالحياة الطبيعية ،وما يميزه هو موقفه من القوة والقوة بالنسبة إليه هي القدرة على "تحويل الإنسان إلى جثث ،واستخدام القوة ليس بتأثير عابر فرضته الظروف عليه بل هو طريقة حياة"⁴ .

3/- كيف نقرأ فلسفة داروين و نيتشه بعيداً عن التأويلات الإيديولوجية :

يجب أن نفهم الفلسفتين في بعدهما الحقيقي الفلسفي - نيتشه- و العلمي -داروين- بعيداً عن التأويلات الخاطئة كما فعل هتلر ذلك ،أن هتلر أخذ ما يناسبه بمعنى أنه قرأ قراءة سطحية ظاهرية للنص الدارويني و نص نيتشه بإعتباره رجل سياسة، و السياسة كما وضعنا

¹ أوديب ستيبيتيان ،على دروب زرادشت،تر:فؤاد أيوب ،ط1،(لبنان ،دار دمشق، 1983)، ص 225.

² أدولف هتلر ،كفاحي،ص 89.

³ إيريك فروم ،جوهر الإنسان ،ص 18.

⁴ ، المرجع نفسه ،ص 49.

سابقا تأخذ من الفلسفة ما يدعمها و ما يثبت صحة أطرحتها في حين أن القراءة الفلسفية قراءة تشخيصية* تعرضت الفلسفة لسوء فهم كبير نظرا لتعدد القراءات والتأويلات ،"لأن أغلب القراءات كانت سطحية تكتفي بما هو معطى مباشرة ،ولا تتجاوزه إلى ما هو خفي"¹ بمعنى أنها كانت تكتفي بظاهر النص وليس بمضمونه ،وهذه القراءة لا تخلوا ولا يمكن أن تخلوا من التأويل بل تخلوا من الوعي بما تقوم به من تأويل ،كما أن عملية الفهم متغيرة تتغير بتغير الآفاق والتجارب مما أدى إلى تعدد المعنى ونسبيته ،ويكون النص الفلسفي بهذا بنية خاضعة لقوة الذات التي تؤوله ورحمتها ،وهو بهذا المعنى مفتوح دائما على جميع التأويلات المستمرة والمتغيرة مع كل قراءة .

تنشأ الحاجة إلى التأويل من حقيقة أن المعاني في النصوص المكتوبة صارت متحررة من "مؤلفيها والنصوص كلها تعد قابلة للكثير من التأويلات قدر كثرة قراءها والتأويل ليس مرجعا ثابتة أو حقيقة"² ،خاصة إذا كان القارئ مجرد مستهلك لا يعبر عن قيمة النص الفلسفي وأهميته ويتعمد تغييب صاحب النص وتشويه أفكاره أحيانا وما دامت معاني النص متعددة بتعدد قراءاته فإنه من الصعب في الكثير من الأحيان القبض في الكثير من الأحيان على المعنى الذي قصده الفيلسوف لأن تشييد معنى النص يتطلب من المتلقي إستراتيجية تأويلية تمكنه من فهم المعاني يقول بول ريكور :

أن نقرأ يعني - بافتراض أكثر عمومية - أن ننتج خطابا وأن نربطه بالنص المقروء ، يكشف داخل التكوين الداخلي للنص ذاته قدرة أصيلة على استعادة الخطاب لذاته بشكل متجدد وهي التي تعطي خاصيته المفتوحة على الدوام والتأويل هو "النهاية الفعلية لهذا الارتباط بين خطاب وآخر هذه الاستعادة المتجددة كما يحتفظ التأويل بخاصية الامتلاك

* القراءة التشخيصية عكس القراءة الفورية تهدف إلى تحديد الخطاب الجلي الواضح و المقروء من الخطاب الغير مقروء بتركيزها على اللا منطوق من القول و هذا يتطلب قراءة متأنية حرفا وحرفا وسطرا وسطرا وكلمة كلمة حتى يتم الكشف عن الأساليب اللفظية من إستعارات و تشبيهات وأبعد من هذا القراءة التشخيصية ليست مساءلة للنصوص الفلسفية حول مامدى تناسق و إنسجام الأفكار فحسب و إنما البحث عن الأفكار و الثغرات و الأخطاء التي وقع فيها صاحب النص للمزيد ينظر . Kader s. Nair, pouvoir et politique. oron. cahier du cridssh 1954, pp., 94-95.

¹ محمد عابد الجابري ،الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية ،دون ط،(بيروت ،مركز الدراسات الوحدة العربية ،1992) ،ص 11.

² بول ريكور ،"النص والتأويل" ،تر:منصف عبدالحق ،مجلة العرب والفكر العالمي ،العدد، 3، 1991، ص 50.

امتلاك فهم متجدد للنص والذات المؤولة¹.

وهذا يعني أن يكون تأويل النص مقبولا في الدراسات إذا "كان بمثابة إسهام في إثارة أسئلة جديدة ونافعة، بعيدة عن سوء الفهم"². و تبرز خطورة قراءات الفلسفة كما ذكرنا سابقا عند إمتزاجها بالإيديولوجيا التي تعتبر خطرا حقيقيا عليها يؤدي إلى إسقاط الفلسفة في التأويلات الخاطئة الأمر الذي إلى إنحراف الفلسفة عن مسارها الصحيح ، لقد فقدت الفلسفة تبعا لهذا في مرحلة من مراحل تطورها قيمتها نتيجة للقراءات الخاطئة و تزعزع الإيمان بأهميتها بصورة خطيرة بحيث كان لابد لها "قبل أن تعود إلى الحديث عن مزاعمها في دور الموجه الفكري للأمة أن تصفي حساباتها مع وجدانها"³، و أن تثبت مثلا أنها لم تشترك في النازية مطلقا*، و تستطيع الفلسفة أن تبرر نفسها باعتبارها بحثا نزيها لا صلة له بمسائل النفع و الضرر و هي مجهود يبذله الإنسان بوصفه إنسانا و ستظل تشبع هذا الطموح ما دام الناس أحياء و الفلسفة لا تريد أن تقاوم و لا أن تروج للضعف و الدمار ،"كل ما تريده هو أن تعبر عن نفسها هي تعبير عن الصفة الكلية الأساسية من الإنسان و عن الرابطة التي تربط الناس جميعا"⁴، والعنف ناجم بالدرجة الأولى من القراءات المشوهة التي لحقت الفلسفة لأن قراءة هتلر مثلا لفلسفة داروين ونيتشه كانت قراءة مقصودة غير بريئة وقع فيها في الذاتية المركزية العمياء و الغرض منها تحقيق مطامعه و مصالحه، لأن أفكار هتلر المستلهمة من الفلسفة تعبر بالضرورة عن موقف سياسي إيديولوجي إتجاه ما كان يدافع أو يكتب عنه .

كتب هتلر كفاحي بدافع إيديولوجي و ليس لدافع إنساني ، و تبين نصوص هتلر التي سبق ذكرها إلى أن الدافع الإيديولوجي هو العامل الحاسم الرئيسي بالنسبة إليه ، و من خلال دراستنا لنصوصه لاحظنا أنه لم يفصل بين قناعاته الإيديولوجية و إنتمائه الإيديولوجي و بين عمله

¹ بول ريكور ، "النص والتأويل" ، ص 47.

² مصطفى ناصف ، "نظرية التأويل"، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، 2000 ، ص 11.

³ أوديب ستيبيستان ، على دروب زرادشت، ص 307 .

* من المعروف أن النازية لم تحرم نفسها من التأمل في التقاليد الفلسفية و على الأخص فلسفة نيتشه و غرضهم الوحيد التأكيد على أصلهم الآري . وآل هذا الإستغلال الذي لم يسبق له مثيل للميراث الفلسفي إلى ثلب شديد لما كان المثقف ينطوي عليه من إحترام مقدس للفلسفة و إلى زعزعة الثقة التي كانت النظرية حائزة عليها أبدا لم يعرف التاريخ دعارة فكرية و جهالة ثقافية كما هي في أيام الإمبراطورية النازية و في ذلك الحين أصبحت ألمانيا سجنًا للعقل ، للمزيد ينظر ، أوديب ستيبيستان ، على دروب زرادشت، ص 306 .

⁴ سليم دولة ، مالفلسفة، ط2 (تونس، الجمهورية التونسية، دار نقوش عربية، 1988)، ص 141 .

كزعيم سياسي و حاكم مسؤول عن دولته ، إذن قراءة هتتر للفلسفة لم تكن منزهة عن الأغراض الإيديولوجية ، و لم ينسلخ يوما عن إنتمائه الإيديولوجي ، فكره كان فكرا ساذجا لم يرق إلى مستوى الفهم الحقيقي لفلسفة داروين و نيتشه لأن الحقيقة أن نظرية داروين مجرد نظرية علمية شأنها شأن جميع النظريات العلمية الأخرى تخضع للصقل و التعديل المستمر ، و ما نريد تأكيده أن جميع النظريات العلمية ليست أفكارا عقائدية يعتنقها الفرد و يتمسك بها و يحارب من أجلها ، إنما آراء نشأت نتيجة التأمل و البحث و التجريب خاضعة للمناقشة و النقض عند ظهور نتائج أدق و لو كانت معاكسة .و اللحظة التي تتحول فيها النظرية العلمية نظرية التطور إلى مسمى شخصي الداروينية هي اللحظة التي تتحول فيها من نظرية علمية إلى إيديولوجية متعصبة ، يجب أن تبقى إذن النظرية في حدود العلم و يسمح بطرح نقيض لها ويمكن أن يخالفها ،أي في إطار علمي بعيدا عن التأويلات ، ويذكر داروين في إحدى رسائله لصديقه تشارلز لايل قائلا :

"غالبا ما تجتاحني رعشة باردة تجعلني
أتسائل ...هل كرست نفسي لوهم
أعلم أن نظريتي ستقع خارج الإطار
الفهم الحقيقي للعلم".¹

بمعنى أن داروين نفسه يقبل بالرأي الآخر الذي يتميز بالأمانة العلمية و يبرز نقاط القوة و الضعف ، ولم يقصد إحداث شرح بين العلم و الدين ، كان يحاول فقط وصف الطبيعة كما رآها ، و الأمر ينطبق كذلك على "نيتشه عندما تكلم عن صنع نموذج الإنسان الأعلى الذي لم يكن موجودا من قبل"² . هذا الإنسان الذي يجب عليه أن يتخلص "من كل القيم المنافية للقوة، ولا نقبل إلا بالقيمة الكبرى التي لا توازيها قيمة و هي قبول الخطر"³ ، هذه النقطة بالذات أي الإنسان الأعلى جعلت قارئاً سطحياً مثل هتتر يظن أن نيتشه "مفكر أرسقراطي يوجه فكرة إلى

¹ نقلا عن محمد صالح الهيبيلي، التطور نظرية تاريخية و علمية ،وقفات من ذاكرة نشأة التطور و إلى اليوم،ص 222 .

² الكيس فلينتيكو ،"نيتشه فيلسوف الحياة" ، مجلة الفكر العربي المعاصر ،تر: بدر الدين عروديكي، العدد134-135 ، شتاء 2006 .

³ بيردوكاسية،الفلسفات الكبرى،تر:جورج يونس،ط3 ،(بيروت،باريس،1983)،ص143.

نخبة معينة حبتها الطبيعة بكل أسباب القوة"¹، و نظرا لإستغلال هتلر لأفكاره شاع عن نيتشه أنه من المؤسسين للإيديولوجيا النازية لكن لم يكن ذلك ما قصد إليه، حيث كان مفكرا أخلاقيا متميزا لم يسعه تحمّل قبح و نفاق الإمبراطورية البرجوازية ، عرف بقدرته اللانهائية على الإحساس بالألم، وضيقه بقطيع البشر المحيط به و فزعه من القبح الناجم عن الآلة ممثلا في عالم الطبقة الوسطى. و الذي لاشك فيه أنه لو نذر لنيتشه العيش و إمتد به العمر ليرى هتلر و من هم على شاكلته لوجدتهم أشد إثارة للمقت و الكراهية².

لقد إستغل هتلر فلسفة نيتشه إستغلالا فظيعا و قامر بشعبيته و إنتفع من بعض تطرفات فلسفته لأغراضه الخاصة و ذلك بتشويه مضمونه الحقيقي و قد أستخدمت النازية أفكاره عن أخلاق السادة و العبيد لقتل الآلاف من الناس في معسكرات الموت ، لكن هذه الأخلاق حسب ترومبلر في كتابه النضال في سبيل البشر لم تكن إلّا ناحية جانبية مشؤومة لهذه "العقيدة الفلسفية النبيلة والمطهرة للنفس ونيتشه بالذات لم يكن يملك أيا من صفات السيد بل كان يتميز بخلق متواضع"³ ، ولقد ربطت النازية بصورة مصطنعة عقيدة أخلاق السادة مع فكرة تفوق العرق الألماني وبذلك صهرت سلاحا رهيبا للتأثير في الإنسان ،وإنه ليترتب على ذلك المسؤولية حتى غير المباشرة عن الجرائم التي اقترفتها النازية ، لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ترتبط بإسم نيتشه ، ولا يمكن أن تلوث سمعته الفكرية وتشوهها ، ولا يجوز أن ننسى أنه إذا كانت هناك "رابطة قد أنشأت بين نيتشه وهتلر فهذا أمر لم يكن ممكنا إلّا بعد معالجة مسبقة لآراء نيتشه"⁴.

حيث تمّ ظلم نيتشه بالكثير من الإستيلاءات الدنيئة ،فقد تم تزوير نصوصه خاصة من خلال كتابه إرادة القوة ،فليس نتاجا مراقبا من نيتشه وإنما اخترعته أخته للأسف ،فقد ألف الكتاب بدافع الطموح والفائدة بتشجيع مصطنع للنصوص المنشورة بعد الموت ،والتي كانت

¹ نبيل عبد اللطيف، فلسفة القيم نماذج نيتشوية، دون ط، (القاهرة، المكتبة الفلسفية ، منتدى سور الإزيكية، دون تاريخ النشر)، ص 17 .

² كرين برينتون، تشكيل العقل الحديث، تر: شوقي جلال، دون ط، (الكويت ، عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية نظرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب ، يناير، 1998)، ص 273 .

³ أوديب ستيبيستان ، على دروب زرادشت، ص 311.

⁴ المرجع نفسه ، ص 313.

مدونة في دفاتر ملاحظات نيتشه، "إن الخداع الممارس من قبل الأخت التي كان نيتشه يشكو حمقها القياسي والوقح"¹، من خلال رسمها لصورة مشوهة لشخصية أخيها ونتاجه فكوفنت من جهة ثانية عن هذه الدسيسة بدكتوراه فخريّة .

ولا يسعنا القول أن لا شيء على الإطلاق في الفلسفة النيتشوية ولا الداروينية يسمح بضمان وجود عقائد نازية أو فاشية أو جرمانية عامة فيها مفهوم إرادة القوة و البقاء الأقوى، كم سنخطئ حول معنى الفلسفة وأهميتها إذا اعتمدنا فيها هديها للوحشية الكلية أو العنف البربري، ودون انتظار مثل هذا التماس يمكن "أن نكنس بكف اليد كل زعم يوحى إلى اعتبار فلسفة نيتشه و الداروينية رائداتان للنازية أو محاميان عن القومية الألمانية بوصفه كذبا"²، ولنيتشه مثلا عبارات دقيقة تفصح عن عدم ثقته بالألمان وكرهه لكل نوع من الرايخ، "الكلمة الأكثر رعونة" في الوجود وهو في المقابل يدافع عن الفكرة الأوروبية برؤية عالية في زمن كانت تهيج فيه الإنفعالات القومية، يقول نيتشه "إنّ الكفاح ضد اليهود كان دائما علامة طبيعية منحنطة، حسودة وجبانة ومن ينخرط فيها اليوم ينبغي أن ينطوي على طبقة سميكة جدا من الذهنية الشعبية"³.

إذن الفلسفة ليست وصية على الجرائم التي إقترفها النازيون، وهي بريئة من كل ما تقدم عنه من تهم، والبربرية الأوروبية هي نمط معيشة وأسلوب حياة، فالبربرية هي ثمرة إنسانيتنا التي نتباكى عليها، كما تتجسد في شهوة الجشع والتكالب أو في إرادة الإستيلاء أو في إستراتيجية الرفض والإقصاء التي مارسها هتلر وأتباعه، لقد تعاملنا نحن الإنسان مع الإنسان ككائن مقدس وسعينا دوما إلى الإعلاء من شأنه بصفته المثال والمقصد والغاية القصوى، فكانت الشهوة السيئة أو المدمرة هي هذه البربرية، التي نعاني منها التي "تأتي من الوحش أو الطاغية

¹ C.F.Nietzsche, *Rée salomé*, correspondance, trad, OleHansen, love et jean lacoste, puf, 1979.

² جان غرانبيه، نيتشه، تر: علي بوملحم، ط1، (بيروت، لبنان، مجد للدراسات والنشر و التوزيع، 2008)، ص 20.

³ Cité in Eric Bondel, *Nietzsche, le cinquième évangile ?* sur toutes ces questions, entre autres l'ouvrage est très bien documenté : quant aux traductions elles sont un modèle d'usage.

الذي يتغذى من إرادة التآله والتجبر أو عقلية التقديس والتعظيم فضلا عن منطق الإصطفاء والإقصاء الممارس على الآخر"¹.

لذلك علينا أن نعي جيدا خطورة البربرية، ليمكننا الحد منها فلا يوجد شيء لا يقبل التحول إلى ضده، لذلك على الظروف الديمقراطية الإنسانية أن تتجدد باستمرار "وإلا فإن مآلها الإنحطاط، تحتاج الديمقراطية لبعث الحياة في نفسها بشكل دائم، فالتفكير في البربرية هو المساهمة في إحياء الإنسية"²، يعني مقاومة البربرية فالأحرى أن نمارس التقي الفكري لكي نعترف بضعفنا وهشاشتنا وعوراتنا بالتححرر من هواسات الإنسان الأعلى والأسمى فنحن لسنا أشرف الخلائق ولا غاية الكون، "ولا أسياذ الطبيعة بل أقل شأنا و أقل إنسانية مما ندعي أي كائنات هشة، عابرة، زائلة"³.

¹ علي حرب، أزمة الحداثة الفائقة، الإصلاح، الإرهاب، الشراكة، ط1، (الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، 2006)، ص 248.

² ادغار موران، ثقافة أوروبا وبربريتها، ص 58.

³ علي حرب، أزمة الحداثة الفائقة، ص 249.

خاتمة

خاتمة:

إننا لا نريد أن نكرس هذه الخاتمة لإعادة عرض الأفكار بقدر ما نريد أن نستشف الخلفيات المنهجية التي تحمل هذه الأفكار وتوجهها نحو بعض الحقائق الأساسية، لقد سعت الفلسفة على مر التاريخ إلى التجديد و التغيير حيث كانت مهمتها مهمة نقدية من خلال فتح المجال لأسئلة جديدة أسهمت في الكشف عن حقيقة الذات عبر ممارساتها، فأعادت تعديل كل المناهج السابقة وصاغت التفكير بأساليب مغايرة وبأشكال مختلفة هذه المهمة أكسبت الفلسفة مكانة راقية بين العلوم خاصة السياسة حيث تعتبر الفلسفة في كثير من الأحيان عبارة عن مواقف سياسية، وما يلفت الإنتباه هو التأثير المتزايد الذي حققته نظريات الفلسفة ومدى إنتشارها الواسع بل و تبنيها من قبل العديد من الجهات السياسية، ولم يتم تبنيها نظرا لقيمتها العلمية ولكن لقوتها الإيديولوجية .

لقد قام بعض الساسة بتوظيف الفلسفة لتبرير توجههم هذا ما أدى إلى تشويه مضمونها وقيمها و مبادئها و هكذا تم إختزال الفلسفة إلى إيديولوجيا تنفي وتعزل، تحدد الصح من الخطأ. قام بعض الساسة كما هو الحال مع هتلر بإزراء الفعل الإجتماعي و رفع قيمة الذاتية ومركزية الأنا حيث سعوا إلى خلق جوّ يناسب تطلعاتهم و آمالهم الرامية لتكريس وضع سيكولوجي وإجتماعي يسهل تغلغل إيديولوجتهم الجهنمية وسط الجماهير، فتوظيف الأفكار الفلسفية لم يكن بمنأى عن التأويلات الإيديولوجية حيث رأى هؤلاء الساسة في الفلسفة أساس القوة الحربية الممجددة للعنف والحرب خاصة بعد تنبئها بقدم جنس مسيطر يقوده الإنسان الأمتل ذو القوة المطلقة الذي سيتحكم في العالم .

بناء على ماتقدم تبين لنا أن بعض الأفكار الفلسفية و العلمية التي إجتهد فيها الفلاسفة والعلماء حولها هتلر و أمثاله من الزعماء السياسيين إلى أوهام وخيالات مريضة، توسموا فيها كل ما يفسد الإنسانية ويلوث معانيها السامية من حق وجمال وخير حيث قاموا بقلب الحقائق ونقض القيم .

وأحالوا المجتمعات إلى ساحات حرب يقضي فيها الأقوياء على الضعفاء ،ثم تستمر الحرب بين الأقوياء ،حتى تتحول المجتمعات إلى أنقاض وخراب. لقد اتهم الفلاسفة بأنهم فاسدين و أفكارهم و مبادئهم التي يقدمونها للناس على هيئة أفكار فلسفية هي دعوة صريحة للقتل والعدوان وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى ما قام به الساسة من تشويه وسوء قراءة للنصوص الفلسفية حيث فهموا الفلسفة فهما خاطئا وقرؤوها قراءة سطحية دون تمعن لكن بالرغم من سعي هذه الإتجاهات إلى تأويل الأفكار الفلسفية تأويلا خاطئا إلا أن ذلك لا ينفي الدور الإيجابي الذي لعبته الأفكار الفلسفية في خدمة السياسة من خلال محاولة الفلاسفة بل و إجتهادهم من أجل تصحيح و تعديل نقائص النظريات السياسية ،فقد لعبوا الدور الحاسم في تغيير الواقع الإجتماعي و السياسي حيث ساعد نشاطهم الفكري في نشر الوعي السياسي من أجل التغلب على نفوذ الإيديولوجيا و القضاء على الأفكار الرجعية من خلال محاربتهم للمعتقدات و انتقادهم للواقع السياسي و محاولة وضع حلول بديلة و تحولت الفلسفة بهذا من ميدان المعرفة إلى ميدان الحياة الإجتماعية ،و إنطلاقا من هذا يمكننا إستنتاج بعض الأفكار التي ندرج فيها مساهمة الفلاسفة العظيمة في الرقي بالفكر السياسي و تطويره مع ذكر كيفية محاولة إستغلالها من طرف الساسة .

01/- لا تخلق السياسة ذاتها بذاتها وليست نسقا مستقلا بنفسه ،هي بحاجة إلى الفكر الفلسفي لحل الأزمات التي تعترضها ،إنه تواصل مستمر وتفاعل بين السياسة و الفلسفة .

02/- تطور السياسة هو نتيجة سعي مستمر من الفلسفة لمساعدة السياسة ،وتجاهل هذا الأمر يعد تقصيرا في قيمة بنية الفكر الفلسفي وفي حق الفلاسفة .

03/- الطريق إلى تأسيس مجتمع سياسي ناجح يتطلب الإستعانة بشيء من الروح الفلسفية بعيدا عن كل إيديولوجيا لأن رجل السياسة يحتاج إلى الفيلسوف لكي يعزز أطروحاته الإيديولوجية بأفكار فلسفية كلية ،لكن بعد أن يقتلعها من سياق الفلسفة يسكنها منظومته الإيديولوجية ،بالرغم من أن الفيلسوف يسعى دوما ليشكل عقلا متحررا من كل إيديولوجيا.

04/- إن القول بإنفصال الفلسفة عن العلوم الأخرى غير ممكن ،لأن الحوار بين الفلسفة والعلوم الأخرى قائم منذ القدم فالحوار ضروري كونه يتضمن مبدأ الحرية و الاختيار و التساؤل وحب المعرفة و القطيعة تغني التعصب و أحادية الرأي وإحتكار الحقيقة .

05/- إن القول بأن الممارسة الفلسفية لا تأتي إلا متأخرة ولا تنشأ إلا بعد أن تكون الإنسانية قد أنجزت الحضارة و التقدم قول فيه الكثير من الظلم والإجحاف ويعد إقصاء للفكر الفلسفي ،لأن الفلسفة هي فعل تنويري نقدي .لذلك كانت الفلسفة هي المستهدف الأول بالنظر إلى مخزونها النقدي وإمكاناتها في تعبئة العقل الإستفهامي و هذا ما أدى إلى توظيفها من قبل الساسة بإعتبارها حجة و دعامة و مبررا لما يقومون به من أفعال شنيعة .

06/- إن إستعانة هتلر بإعتباره رجل سياسة بالفلسفة ليس من أجل تحقيق المصلحة العامة والإرتقاء بالوجود الإنساني ،لكن هذه الحاجة لا تعدو أن تكون قناعا تختفي وراءه دوافع وإيديولوجيا ليست منزهة عن أهداف نفعية وسياسية ،وهنا لاحظنا أن النوع من هؤلاء الساسة ساهموا في إنحراف الفلسفة عن مسعاها الحقيقي و إبتعادها عن القيم الإنسانية وعن الأخلاق .

07/- إن الفروع المعرفية كلها في خدمة الإنسانية وليس عيبا أن تأخذ السياسة من الفلسفة ولكن يكمن العيب عندما تقرأ قراءة سطحية و تؤول مضامينها إلى أغراض تهدم الإنسانية إذن لا تكمن الخطورة في السياسة في حد ذاتها وفيما تنتج من مبادئ وأفكار لكن الخطورة تكمن في إستغلال هذه الأفكار لصالح أغراض ليست في مصلحة الإنسان وإنما أغراض تحقق أهداف توسعية وعسكرية و سياسية وإقتصادية .

08/- إن عودة السياسة إلى الفلسفة يعني أن الإنسانية في وضع حرج ،في أزمة حيث إحتاجت إلى السؤال الفلسفي بإعتباره تنبيه ضروريا ،هي قادرة على التنوير و التوجيه و التنبيه هي خطاب شامل يطال جميع نواحي الفكر ،ولعل هذه المميزات هي التي منحها قوة في الصمود ضد من ينادون بنهايتها .

09/- إن دور الفلسفة الحقيقي هو مراقبة السياسة ونقدها لكي لا تتحول إلى سلاح فتاك لا تحده حدود ولا قيود أخلاقية ولا إعتبارات إنسانية .

10/- إن تقدم الإنسانية مرهون بعمل الأفكار الفلسفية و السياسية معا ،إن عمل الأفكار بعضها مع بعض هو القوة المحركة للتقدم ،وعليه يجب أن لاننظر إلى الفكر السياسي على أنه يمتلك بمفرده مفتاح الوصول إلى التقدم ،فالسياسة تقتبس من الفلسفة ومن الموروث الفكري عامة وعليه من الضروري النظر إلى الميدانين بإعتبارهما كيانات ديناميان متداخلان في العناصر الفكرية المكونة لهما .

نستخلص في الأخير أنه بالرغم من أن الفلسفة كانت ولازالت في موقع خطر يهدد حقيقتها وطبيعتها فقد تتحول بفعل قوى خارجية لخدمة نظام سياسي أو قضية وطنية أو غاية دينية أو إيديولوجيا و تسمي خادمة لغيرها ،وقد يعرضها لأن تكون موضوع تسخير من قبل القوى المناوئة لها لتحقيق أهداف سياسية أو حتى مادية الأمر الذي قد يهدد مصداقيتها أو طابعها النقدي و تصبح أنذاك في وضعية خادمة لأغراض أخرى غير المقاصد الفلسفية لكن الفلسفة لن تضار في سمعتها أو كرامتها و إستقلالها إذا تمحك فيها هذا المذهب السياسي أو ذاك وتصور أنه عثر على الثوب الفلسفي الذي يناسب وجهة نظره الإيديولوجية أو يلائم طموحه إلى القوة و السلطة كما أن الحركات السياسية لم تصدر في معظم الأحيان عن التأمل الفلسفي الخالص بقدر ما كانت تستغله لأغراضها العملية وكم من مذاهب سياسية خبت على الأفكار الفلسفية التي تذرعت بها لتسويغ بطشها وإستبدادها و حاولت إفراغ هذه الأفكار من مضمونها الحي و إحالتها إلى صيغ وشعارات خاوية .

ورغم ذلك تسعى الفلسفة دائما إلى المحافظة على جوهرها ،والإضطلاع بدورها الذي يقضي منها تقويم و تعديل ونقد الأنظمة السياسية ،وإثبات براءتها بإعتبارها فكرا نزيها بعيدا كل البعد عن ما إتهمت به من تورط مع الطبقات المسيطرة وكونها صدى للأقوياء كما قيل عنها .

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر و المراجع :

1/- المصادر باللغة العربية :

- 1- داروين، تشارلز، أصل الأنواع، تر: مجدي محمود المليجي، ط1، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2004 .
- 2- _____، التعبير عن العواطف والإنفعالات عند الإنسان و الحيوان، تر: محمد عبد الستار الشخيلي، ط1، بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، 2010 .
- 3- _____، نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي، تر: مجدي محمود المليجي، المجلد الأول، دون ط، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005 .
- 4- نيتشه، فريدريك، إرادة القوة، محاولة لقلب القيم، تر: محمد الناجي، دون ط، المغرب، إفريقيا الشرق، 2001.
- 5- _____، أصل الأخلاق وفصلها، تر: حسن قبسي، دون ط، لبنان، مجد للدراسات والنشر و التوزيع، دون تاريخ النشر .
- 6- _____، أفول الأصنام، تر: حسان بورقية، محمد الناجي، ط1، المغرب، إفريقيا الشرق، 1996 .
- 7- _____، العلم الجدل، تر: سعاد حرب، دون ط، بيروت، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر، دون تاريخ النشر .
- 8- _____، الفلسفة في العصر المأساوي، تر: سهيل القش، دون ط، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، 1981 .
- 9- _____، إنسان مفرط في إنسانيته، كتاب العقول الحرة، الجزء الأول، تر: محمد ناجي، دون ط، بيروت، لبنان، إفريقيا الشرق، 2002 .

- 10- . _____ ، في جينالوجيا الأخلاق، تر: فتحي المسكيني، ص 170 .
- 11- _____ ، ديوان نيتشه، تر: محمد صالح بن صالح، ط1، بغداد، منشورات الجمل، كولونيا، 2006 .
- 12- . _____ ، شوبنهاور مرييا، تر: قحطان جاسم، ط1، بيروت، الجزائر، منشورات الإختلاف، 2016 .
- 13- _____ ، عدّو المسيح، تر: ميخائيل ديب، ط2، سوريا، دار الحوار، دون تاريخ النشر .
- 14- _____ ، قضية فاغنر، تر: علي مصباح، ط1، بيروت، لبنان، منشورات الجمل، 2016 .
- 15- _____ ، ما وراء الخير و الشر، تباشير فلسفة المستقبل، تر: جيزيلا فالور حجار، ط1، بيروت، لبنان، دار الفارابي، 2003 .
- 16- . _____ ، هذا هو الإنسان، تر: علي مصباح، ط1 ، كولونيا، ألمانيا، منشورات الجمل للطباعة و النشر، 2003 .
- 17- _____ ، هكذا تكلم زرادشت، تر: فليكس فارس، دون ط، الإسكندرية، مطبعة جريدة البصير، 1938 .
- 18- هنتلر، أدولف، كفاحي، تر: كمال فؤاد، ط1، القاهرة، كنوز للنشر و التوزيع، 2011 .
- 2/- المصادر بالفرنسية:

1- Nietzsche, C.F. Rée salomé, corespondance ,trad ,OleHausen ,love et jean lacoste, paris,puf ,1979.

3/- المراجع باللغة العربية :

- 1- إبراهيم، زكرياء، مشكلات فلسفية، مشكلة الفلسفة 04، دون ط، القاهرة، مكتبة مصر، 1971 .
- 2- إبراهيم، مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من كانط إلى رينوفييه، الجزء الثاني، دون ط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2004 .
- 3- إبراهيم، موسى، الفكر السياسي الحديث و المعاصر، ط1، بيروت، دار المنهل اللبناني للدراسات و النشر، 2001 .
- 4- أبو الروس، أيمن، شخصيات لا ينساها التاريخ، موسيليني دكتاتور إيطالي قاد شعبه إلى الخراب و الهاوية، ط1، القاهرة، مكتبة ابن سينا، 2015 .
- 5- أبو ريان، محمد علي، تاريخ الفكر السياسي، الجزء الثاني، أرسطو و المدارس المتأخرة، دون ط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، دون تاريخ النشر .
- 6- أحمد، أيمن عيسى، أدولف هتلر، دون ط، مصر، دار الفاروق، 2006 .
- 7- أدورنو، ثيودور، الإنسان و الفلسفة، دون ط، ميونيخ، ماكس هوبر، 1964 .
- 8- أرسطو، الأخلاق إلى نيكوماخوس، تر: أحمد لطفي السيد، الجزء الأول، دون ط، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1984 .
- 9- —، السياسة، تر: أحمد لطفي السيد، دون ط، القاهرة، منتدى سور الأزيكية، الدار القومية للطباعة و النشر، دون تاريخ النشر .
- 10- أرندت، حنة، بين الماضي و المستقبل، ستة بحوث في الفكر السياسي، تر: عبد الرحمن بشناق، ط1، بيروت، جداول للنشر و التوزيع، 2004 .
- 11- —، في العنف، تر: إبراهيم العريس، ط1، بيروت، دار الساقى، 1992 .

- 12- _____، ما السياسة، تر: زهير الخويلد، سلمى الحاج مبروك، ط1، بيروت، منشورات ضفاف، 2014 .
- 13- إسماعيل، فضل الله محمد، عثمان، السعيد محمد، نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي، دون ط، الإسكندرية، مكتبة بستان المعرفة، 2006 .
- 14- إسلام، عزمي، جون لوك، دون ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2008 .
- 15- أفاية، نور الدين، في النقد الفلسفي المعاصر، دون ط، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، دون تاريخ النشر .
- 16- أفلاطون، الجمهورية، تر: فؤاد زكرياء، دون ط، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2008 .
- 17- أق بلوت، شمس الدين، داروين و نظرية التطور، تر: أورخان محمد علي، دون ط، القاهرة، مصر، دار الصحة، 1980 .
- 18- الألوسي، حسام محي الدين، مدخل إلى العلوم السياسية، ط1، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي، 2012 .
- 19- _____، مدخل إلى الفلسفة، ط1، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 2005 .
- 20- الأقداحي، هاشم محمد، النظم السياسية المعاصرة، دون ط، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2004 .
- 21- الجابري، محمد عابد، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، دون ط، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1992 .
- 22- _____، قضايا الفكر المعاصر، ط1، بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، 1977 .

- 23- الجمل، يحي، الأنظمة السياسية المعاصرة، دون ط، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، 1969 .
- 24- الجندي، أنور، سقوط نظرية داروين في دائرة الضوء، دون ط، القاهرة، دار الإعتصام، دار العلوم للطباعة، دون تاريخ النشر .
- 25- الحاج، ياسين و آخرون، الخلاص أم الخراب، سوريا على مفترق الطرق، دون ط، القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، سلسلة قضايا الإصلاح .
- 26- الحساوي، مصطفى، نيتشه وجوه الفلسفة، دون ط، الرباط، منشورات التوحيد، 2010.
- 27- الحمزاوي، نهلة، فلسفة الأخلاق عند نيتشه، دون ط، عمان، دار الفضاءات، 2012.
- 28- الخليل، علي، تطور الفكر السياسي، دون ط، لبنان، كلية الحقوق و العلوم السياسية والإدارية، مكتبة المطبوعات، دون تاريخ النشر .
- 29- الخمسي، عبد اللطيف، الخطاب الفلسفي و منطق السلطة، الفلسفة و سلطة المؤسسة، ط1، الرباط، المغرب، منشورات دار التوحيد، 2015 .
- 30- الخويلد، زهير، معان فلسفية، ط1، دمشق، دار الفرقد، 2009 .
- 31- الداوي، عبد الرزاق، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، هيدجر، ليفي شتراوس ميشيل فوكو، دون ط، بيروت، لبنان، دار الطليعة للطباعة و النشر، دون تاريخ النشر .
- 32- الدسوقي، محمد كمال، تاريخ ألمانيا، دون ط، القاهرة، دار المعارف، 1996 .
- 33- السوداني، أنسام عمر، فلسفة حقوق الإنسان، هوبز، لوك، مونتيسكيو، روسو، ط2، بيروت، دار الرافدين، 2017 .
- 34- الشرقاوي، محمد عبد الله، مدخل نقدي لدراسة الفلسفة ، ط2، بيروت، دار الجيل، 1990 .

- 35- الشمري، عبد الصمد سعدون، النظرية السياسية الحديثة ، ط1، عمان دار الحامد، 2012 .
- 36- الشنقيطي، محمود بن محمد المختار، الداروينية حين تتحزم بالقرآن، ط1، المملكة العربية السعودية، مركز الفكر المعاصر، دار الوعي، 2005 .
- 37- الشيخ، محمد، الطائي، ياسر، مقاربات في الحادثة و ما بعد الحادثة، ط1، بيروت، لبنان، دار الطليعة للطباعة و النشر، 1996 .
- 38- _____، نقد الحادثة في فكر نيتشه، ط1، بيروت، لبنان، الشبكة العربية للدراسات و النشر، 2008 .
- 39- الصاوي، صلاح، نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة العربية، ط2، القاهرة، دار الإعلام الدولي، 1992 .
- 40- الطعان، عبد الرضا حسين، مدخل إلى الفكر السياسي الغربي الحديث و المعاصر، الجزء الأول، دون ط، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، دون تاريخ النشر .
- 41 - الطويل، توفيق، الصراع بين الدين و الفلسفة، ط3، القاهرة، دار النهضة العربية، 1979 .
- 42 _____، الفلسفة الخلقية نشأتها و تطورها، ط2، القاهرة، دار النهضة العربية، 1967 .
- 43 - العبد، عبد الحكيم، الفكر السياسي العربي و القومية المحافظة في الشرق، ط1، 2006.
- 44- العجمي، فالح بشيب، جدل الحداثات، ط1، بيروت، لبنان، منشورات الجمل، 2011 .
- 45- العسلي، بسام المقدم، الحرب و الحضارة، دون ط، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979 .

- 46- العقاد، عباس محمود، هتلر في الميزان، ط1، القاهرة، مكتبة إبن سينا، 2017 .
- 47- العوا، عادل، العمدة في فلسفة القيم، ط1، دمشق، أوتو ستراذ المزة للدراسات و النشر والتوزيع، دون تاريخ النشر .
- 48- _____، المذاهب الأخلاقية، الجزء الثاني، دون ط، دمشق، مطبعة جامعة دمشق، 1959 .
- 49- الكواكبي، عبد الرحمن، طبائع الإستبداد و مصارع الإستعباد، ط1، القاهرة، دار الشروق، 1900 .
- 50- الكيلاني، محمد جمال، الفلسفة اليونانية أصولها و مصادرها، ط1، الإسكندرية، دار الوفاء للطباعة و النشر .
- 51- المحمداوي، علي عبود، الزين، محمد شوقي، مهنانة إسماعيل، الفلسفة السياسية والمعاصرة من الشموليات إلى السرديات، ط1، بيروت، وهران ، إبن النديم والروافد الثقافية، 2012 .
- 52- المذنب، عبد القادر، الفلسفة فكر وبيداغوجيا، ط1، الدار البيضاء، دار الثقافة، 2000 .
- 53- المسيري، عبد الوهاب، التركي، فتحي، الحدثا وما بعد الحدثا، ط3، دمشق، دار الفكر، 2003 .
- 54- _____، الصهيونية النازية ونهاية التاريخ، رؤية حضارية جديدة، ط1، القاهرة، دار الشروق، 1994 .
- 55- _____، العلمانية الجزئية و العلمانية الشاملة، المجلد الثاني، دون ط، القاهرة، دار الشروق، دون تاريخ النشر .
- 56- المهرج، عبد الله عبد الهادي، نقد المركزية في فلسفة نيتشه، ط1، بيروت، لبنان، دار الروافد الثقافية ناشرون، دون تاريخ النشر .

- 57- المنوفي، محمد أبو فيض، تهافت الفلسفة، دون ط، بيروت، دار الكتاب العربي، 1920.
- 58- النشار، مصطفى، تطور الفكر السياسي القديم من صولون إلى ابن خلدون، ط1، القاهرة، قباء للطباعة و النشر، 1999 .
- 59- النشواني، محمد نبيل، الإسلام يتحدى الغرب الملحد، ط1، دمشق، دار القلم، 2010 .
- 60- _____، الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان و تنفيذ نظرية التطور، ط1، دمشق، بيروت، الدار الشامية، دار القلم، 2007 .
- 61- الهبيلي، صالح، التطور نظرية تاريخية و علمية، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية، الدار العربية للطباعة و النشر، 2015 .
- 62- إمام، عبد الفتاح، إمام، الأخلاق و السياسة، دراسة في فلسفة الحكم، دون ط، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2001 .
- 63- _____، الطاغية، دراسة فلسفية لصور من الإستبداد السياسي، دون ط، الكويت، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآدب، 1994 .
- 64- أندلس، محمد، نيتشه و سياسة الفلسفة، ط1، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر، 2006 .
- 65- إنغلتن، تيري، أوهام ما بعد الحداثة، تر: منى السلام، القاهرة، مصر، مركز اللغات والترجمة، أكاديمية الفنون، 1988 .
- 66- أودسيه، سيرج، ميكيافيلي في النزاع و الحرية، تر: نجيب عزوي، ط1، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2015 .
- 67- أولسن، لانس، قيلات نيتشه، ط1، بيروت، لبنان، دار التنوير للطباعة و النشر، 2017.

- 68- أيكن، د، هنري، عصر الإيديولوجيا، تر: فؤاد زكرياء، دون ط، القاهرة، المكتبة الأنجلو
مصرية، 1963.
- 69- باركر، أرنست، النظرية السياسية عند اليونان، الجزء الأول، تر: لويس إسكندر، دون ط،
بيروت، لبنان، دار الطليعة للطباعة و النشر، 1966 .
- 70- باسمور، روخوس، الفاشية، تر: رحاب صلاح الدين، ط1، القاهرة، مؤسسة هنداوي
للتعليم و الثقافة، 2014 .
- 71- باشميل، محمد أحمد، الإسلام و نظرية داروين، ط3، بيروت، دار الفتح للطباعة
والنشر، 1984 .
- 72- بدوي، عبد الرحمن، أرسطو، ط4، القاهرة، الدار النهضة المصرية، 1964 .
- 73- _____، خلاصة الفكر الأوروبي، نيتشه، ط5، الكويت، وكالة المطبوعات،
1995 .
- 74- بدوي، محمد طه، أمهات الأفكار السياسية الحديثة، وصداها في نظم الحكم، ط1،
مصر، دار المعارف، 1985 .
- 75- برتر ندراسل، الفلسفة وقضايا المجتمع، تر: علي مصباح، ط1، تونس، دار المعرفة
للنشر، 2004 .
- 76- _____، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الأول، الفلسفة القديمة، تر: زكي نجيب
محمود، دون ط، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 2010 .
- 77- _____، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث، الفلسفة الحديثة، تر: محمد فتحي
الشنيطي، دون ط، القاهرة، دار المعرفة العامة للكتاب، 1977 .
- 78- _____، حكمة الغرب، الجزء الأول، تر: فؤاد زكرياء، دون ط، الكويت،
المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأداب، 1978 .

- 79- _____، مشاكل الفلسفة، تر: محمد عماد الدين، وعطية مهناة، دون ط، 1947 .
- 80- بركات، حليم، المجتمع في القرن العشرين، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2000 .
- 81- بروتوفسكي، جاكوب، التطور الحضاري للإنسان، تر: أحمد مستجير، دون ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997 .
- 82- بروشفيلدستيفيان، بوليفين، أخبروا به نبيكم، كتاب عن الإبادة في أوروبا 1933-1945، تر: إياد جبار، دون ط، مطبعة نورشست، ستوكهولم، دون تاريخ النشر .
- 83- برهيه، إميل، تاريخ الفلسفة الحديثة، تر: جورج طرابيشي، ط1، بيروت، لبنان، دار الطليعة للطباعة و النشر، 1987 .
- 84- _____، تاريخ الفلسفة اليونانية، الجزء الأول، تر: جورج طرابيشي، ط1، بيروت، لبنان، دار الطليعة للطباعة و النشر، دون تاريخ النشر .
- 85- برنيتون، كرين، تشكيل العقل الحديث، تر: شوقي جلال، دون ط، الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والأداب، يناير، 1998 .
- 86- بسيوني، محروس محمد محروس، بحث في نظرية العقد الاجتماعي في ميزان الإسلام، دون ط، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، جامعة الأزهر، دون تاريخ النشر .
- 87- بكري، عطا، الدستور و حقوق الإنسان، الجزء الثاني، دون ط، بغداد، مطبعة الرابطة، 1954 .
- 88- بلعقروز، عبد الرزاق، نيتشه و مهمة الفلسفة، قلب تراتب القيم و التأويل الجمالي للحياة، ط1، بيروت، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010 .

- 89- بلوط، عبد الغني، في الفكر السياسي، نقد الفكر الوطني، ط1، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، 2000 .
- 90- بن دودة، مليكة، فلسفة السياسة عند حنة أرندت، ط1، الجزائر، منشورات الاختلاف، 2015 .
- 91- بنعبد العالي، عبد السلام، الفكر في عصر التقنية، دون ط، المغرب، إفريقيا الشرق، 2000 .
- 92- بوتشنسكي، أ.م ، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عزت قرني، دون ط، الكويت عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة و الفنون والأداب، 1992 .
- 93- بوحوش، عمار، تطور النظريات والأنظمة السياسية، ط1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1977 .
- 94- بوكاي، مورييس، أصل الإنسان بين العلم و الكتب السماوية، تر: فوزي شعبان، ط5، المكتبة العلمية، 1983 .
- 95- بوفتو، إيريك، هل الدنيا صورت مثال حي لفشل التطور؟، تر: رشيد برهون، ط1، الإمارات، هيئة أبوظبي للسياحة و الثقافة، كلمة، 2012 .
- 96- بومسهولي، عبد العزيز، الكياص، عبد الصمد، أوزال، حسن، أفول الحقيقة، الإنسان ينقض ذاته، دون ط، المغرب، إفريقيا الشرق، 2004 .
- 97- بيرلنسكي، ديفيد، وهم الشيطان، تر: عبد الله الشهري، ط2، الرياض، المملكة العربية السعودية، مركز دلائل، الدار العربية للطباعة و النشر، 2015 .
- 98- بيشوب، مورييس، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، تر: علي السيد علي، ط1، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005 .

- 99- بيهي، مايكل، صندوق داروين الأسود، تحدي الكيمياء الحيوية لنظرية التطور، تر: مؤمن الحسن، أسامة إبراهيم، زيد الهبري، ط1، مصر، الإسماعيلية، دار الكتاب للنشر و التوزيع، 2014 .
- 100- تادرس، خليل، إعترافات هتلر، دون ط، لبنان، دار كتابنا للنشر، دون تاريخ النشر .
- 101- تالور، أ.ب.ج، أصول الحرب العالمية، دون ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، 1990 .
- 102- تايلور.ج.جون، عقول المستقبل، تر: لطفي عظيم، دون ط، الكويت، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأداب، 1978 .
- 103- تشاينر، رودولف، نيتشه مكافحا ضد عصره، تر: حسن صقر، دون ط، دمشق، دار الحصاد، 1998 .
- 104- تشرشل، ونستون، مذكرات تشرشل، الجزء الأول، ط1، بغداد، مكتبة المنار، دون تاريخ النشر .
- 105- تودورف، تزفيتان، الأمل و الذاكرة، خلاصة القرن العشرين، تر: نرمين العمري، دون ط، السعودية، دار العبيكان للنشر، دون تاريخ النشر .
- 106- توشار، جان، تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الأنوار، تر: ناجي الدراوشة، ط1، سوريا، دار التكوين، 2010 .
- 107- تيندر، جين، الفكر السياسي، الأسئلة الأبدية، تر: محمد مصطفى غنيم، ط1، القاهرة، الهيئة المصرية لنشر المعرفة و الثقافة العالمية، 1993 .
- 108- جعفر، صفاء عبد السلام، محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه، دون ط، مصر، دار المعرفة الجامعية، 1999 .

- 109- جعفر، عبد الوهاب، الفلسفة و اللغة، ط2، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، دار الرفاء لنديا الطباعة و النشر، 2004 .
- 110- . _____، مبادئ الفلسفة و مشكلاتها، دون ط، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 2004 .
- 111- جنسون، إتيان، وحدة التجربة الفلسفية، تر: طارق عسلي، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العتبة العباسية، 2017 .
- 112- جوتر، ونت، أرباب الفكر السياسي، الجزء الثاني القسم الأول .
- 113- جوجر، أن، إكس، دوجلاس، لسكين، كيسي، العلم وأصل الإنسان، تر: مؤمن الحسن، موسى إدريس، ط1، الإسماعيلية، مصر، دار الكاتب للنشر و التوزيع، 2014 .
- 114- جيمس، وليم، بعض مشكلات الفلسفة، تر: محمد فتحي الشنيطي، دون ط، القاهرة، دون تاريخ النشر .
- 115- جين لورانس، شين، كيتي، أقدم لك نيتشه، تر: إمام عبد الفتاح إمام، القاهرة، دون ط، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، دون تاريخ النشر .
- 116- حاروش، نور الدين، تاريخ الفكر السياسي، دون ط، الجزائر، دار الأمة للطباعة و النشر، 2009 .
- 117- حرب، علي، أزمة الحداثة الفائقة، الإصلاح، الإرهاب، الشراكة، ط1، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، 2006 .
- 118- . _____، نقد النص، ط4، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر، 2005 .
- 119- حسين، خليل، الفلسفة و الفكر السياسي في العصور القديمة و الوسطى، قراءة في النزعات المادية و المثالية، ط1، بيروت، لبنان، منشورات الجلي الحقوقية، 2011 .

- 120- خان، وحيد الدين، الإسلام يتحدى، تر: زفر الدين خان، دون ط، جدة المملكة العربية السعودية، 1983 .
- 121- خدوش، الحسين، نيتشه ونقد المعرفة التاريخية الحديثة، دون ط، الرباط، المغرب، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات و البحث، دون تاريخ النشر .
- 122- خضر، خضر، مدخل إلى الحريات العامة و حقوق الإنسان، دون ط، لبنان، طرابلس، المؤسسة الحديثة للكتاب، دون تاريخ النشر .
- 123- خضر، محمد عبد المعز، فلسفة السياسة عند الألمان، دراسة في الفكر الألماني الحديث، دون ط، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة و النشر .
- 124- خفاجي، أميمة، أصل الإنسان و سقوط نظرية داروين، ط1، القاهرة، مطبعة سجل العرب، 2002 .
- 125- خليل، ماهر، سقوط نظرية داروين في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة، دون ط، القاهرة، المركز العربي للنشر و التوزيع، دون تاريخ النشر .
- 126- خليف، محمد هلال، قراءة تاريخية في مفهوم الاستبداد و تغييره، آليات تكريسية، الاستبداد في أنظمة الحكم الغربية المعاصرة، دون ط، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005 .
- 127- داروين، فرانسيس، قصة حياة تشارلز داروين، تر: محمود محمد المليحي، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2004 .
- 128- دانتون، مايكل، التطور نظرية في أزمة، تر: آلاء حسكي، مؤمن الحسن، مهند التومي و آخرون، ط1، القاهرة، مركز براهين لدراسة الإحاء و معالجة النوازل العقدية، 2017 .
- 129- داوونز.ب، روبرت، كتب غيرت العالم، تر: أمين سلامة، دون ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975 .

- 130- دريدا، جاك، المهماز، تر: عزيز توما، إبراهيم محمود، ط1، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع، 2010 .
- 131- دوكاسيية، بيير، الفلسفات الكبرى، تر: جورج يونس، ط3، بيروت، باريس، 1983 .
- 132- دوكينز، ريتشارد، وهم الإله، تر: بسام البغدادي، ط1، أيار، 2009 .
- 133- دولا كمباني، كريستيان، الفلسفة السياسية اليوم، تر: نبيل سعد، ط1، مصر، عين للدراسات و البحوث الإنسانية، 2005 .
- 134- دولة، سليم، ما الفلسفة، ط2، تونس، الجمهورية التونسية، دار نقوش عربية، 1983 .
- 135- ديفرجيه، موريس، الدكتاتورية، تر: هشام متولي، دون ط، بيروت، دار عويدات للطباعة و النشر، 1989 .
- 136- _____، مدخل إلى علم السياسة، تر: سامي الدروبي، جمال الأتاسي، دون ط، سوريا، دار دمشق للطباعة و النشر و التوزيع، دون تاريخ النشر .
- 137- ديفيس.ج، دوغلاس، الوجيز في تاريخ الموت، تر: محمود منقذ الهاشمي، دون ط، دمشق، منشورات الهيئة السورية للكتاب، 2014 .
- 138- ديكارت، رينيه، مبادئ الفلسفة، دون ط، القاهرة، مصر، مكتبة البهجة المصرية، 1960 .
- 139- ديلوز، جيل، نيتشه والفلسفة، تر: أسامة الحاج، ط2، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، 2001 .
- 140- ديمبسكي، وليام، ويلز، جوناثان، تصميم الحياة، إكتشاف علامات الذكاء في النظم البيولوجية تر: موسى إدريس، مؤمن الحسن، محمد القاضي، ط1، الإسماعيلية، دار الكاتب للنشر و التوزيع، 2014 .

- 141- ديوانت، ول، قصة الفلسفة، تر: فتح الله المشعشع، ط6، بيروت، مكتبة المعارف، 1988 .
- 142- رابوبرت.أ.س، مبادئ الفلسفة، تر: أحمد أمين، دون ط، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012 .
- 143- راغب، نبيل، علم النقد السياسي، دون ط، عمان الأردن، دار المنهل ناشرون، 2014.
- 144- راكيتوف، أسس الفلسفة، تر: موفق الدليمي، دون ط، موسكو، دار التقدم، 1989 .
- 145- راندال، تكوين العقل الحديث، الجزء الأول، تر: جورج طعمة، دون ط، بيروت، دار الثقافة، 1957 .
- 146- رزق، هاني ، خليل، أصل الإنسان، التفسير الدارويني في ضوء المكتشفات الحديثة، ط1، دمشق، دار الفكر، أفق متجددة، 2010 .
- 147- _____، الجينيوم البشري وأخلاقياته، دون ط، دمشق، دار الفكر، 2007 .
- 148- رمضان، عبد العظيم، تاريخ أوروبا و العالم الحديث من ظهور البرجوازية إلى الحرب الباردة، الجزء الثالث، دون ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دون تاريخ النشر .
- 149- روبنسون، ديف، جروفر، جودي، أقدم لك أفلاطون، تر: إمام عبد الفتاح إمام دون ط، مصر، المجلس الأعلى للثقافة، دون تاريخ النشر .
- 150- ريان، محور، ليناس، سقوط برلين، القصة الكاملة لإنهيار إمبراطورية هتلر، الجزء الثالث، دون ط، مايو، 1966 .
- 151- زايد، مولود، علم الاجتماع السياسي، ط1، ليبيا، جامعة السابع من أفريل، 2007 .

- 152- زكرياء، فؤاد، التفكير العلمي، دون ط، الكويت، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والأداب، 1978 .
- 153- _____، آراء نقدية في مشكلات الفكر و الحداثة، ط1، الإسكندرية، دار الوفاء، 2004 .
- 154- زيادة، رضوان جودت، صدى ما بعد الحداثة في زمنها القادم، دون ط، الدار البيضاء، المغرب، دون تاريخ النشر .
- 155- زيغور، علي، أوغسطينوس مع مقدمات العقائد المسيحية و الفلسفة الوسيطية، ط1، بيروت، دار إقرأ، 1983 .
- 156- زنياتي، جورج، رحلات داخل الفلسفة الغربية، ط1، بيروت، لبنان، دار المنتخب العربي، 1993 .
- 157- سباين، جورج، تطور الفكر السياسي، الكتاب الأول، تر: حسن جلال لعروسي، ط2، القاهرة، مصر، دون تاريخ النشر .
- 158- سبيلا، محمد، بنعبد العالي عبد السلام، الحقيقة دفاتر فلسفية، ط2، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال، 2005 .
- 159- ستيبستيان، أديب، على دروب زرادشت، تر: فؤاد أيوب، ط1، لبنان، دار دمشق، 1983 .
- 160- سعيد، عبد التواب أحمد، تاريخ أوروبا المعاصر، دون ط، عمان، دار الفكر، 2010 .
- 161- سكينر، كوينتين، أسس الفكر السياسي الحديث، عصر النهضة، الجزء الأول، تر: حيدر حاج إسماعيل، ط1، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للترجمة، 2012 .
- 162- _____، مقدمة قصيرة جداً، تر: رحاب، صلاح الدين، ط1، القاهرة، جمهورية مصر العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، 2014 .

- 163- سلطح، فضل الله محمد، الفكر السياسي الغربي النشأة و التطور، ط1، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، 2013 .
- 164- سلوتدرايك، بيتر، الإنجيل الخامس لنيثشه، تر: علي مصباح، دون ط، بغداد، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، 2002 .
- 165- سليمان، عصام، مدخل إلى علم السياسة، ط3، القاهرة، المكتبة الأنجلو المصرية، 1992 .
- 166- ستيس، ولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دون ط، القاهرة، دار الثقافة للنشر و التوزيع، 1984 .
- 167- شالين، جان، الإنسان نشوؤه وإرتقاؤه، من نظرية داروين إلى مكتشفات العلوم الحديثة، تر: الصادق قسومة، ط1، بيروت، لبنان، دار الفرات للنشر و التوزيع، 2005 .
- 168- شاهين، حمزة، محمد، حقوق الإنسان بين الشرق و الغرب، ط1، القاهرة، مطبعة حلیم، 1995 .
- 169- شتراوس ليو، كروسبي، جوزيف، تاريخ الفلسفة السياسية، الجزء الأول، من ثيوكدبريس حتى سبينوزا، تر: سيد أحمد، دون ط، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005 .
- 170- شورن، جاك، الموت في الفكر الغربي، تر: كامل يوسف حسين، دون ط، الكويت، عالم المعرفة، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأداب، يناير، 1978 .
- 171- صالح، الجمعة عبد الله، عظماء بلا مدارس، ط6، السعودية، فحمومة، مكتبة العبيكان، مكتبة الملك فهد للنشر الوطنية، 2011 .
- 172- صالح، هاشم، مدخل إلى التنوير الأوروبي، ط1، بيروت، دار الطليعة، للطباعة والنشر، 2010 .

- 173- صعب، حسن، علم السياسة، دون ط، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 1996 .
- 174- طالب، هاشم، بناء الكون و مصير الإنسان، نقض لنظرية الانفجار الكبير، ط1، بيروت، لبنان، دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع، 2006 .
- 175- عبد الرحمن، عبد الله محمد ، علم الإجتماع السياسي، النشأة التطورية و الإتجاهات المعاصرة، دون ط، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، دون تاريخ النشر .
- 176- عبد اللطيف، نبيل، فلسفة القيم نماذج نيتشوية، دون ط، القاهرة، المكتبة الفلسفية ، منتدى سور الأزيكية، دون تاريخ النشر .
- 177- عبد المعطي، فاروق، أرسطو أستاذ فلاسفة اليونان، دون ط، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، دون تاريخ النشر .
- 178- عثمان، صلاح، مشكلات فلسفة العلم، الداروينية و الإنسان، التطور من العلم إلى العولمة، دون ط، الإسكندرية، منشأة المعارف، 2001 .
- 179- عزالدين، خالد، السلوك العدواني لدى الأطفال، ط1، عمان، الأردن، دار أسامة للنشر و التوزيع، 2010 .
- 180- عزمي، هشام، التطور الموجه بين العلم و الدين، ط1، القاهرة، دار الكاتب للنشر والتوزيع، 2006 .
- 181- عجيبية، أحمد، علي، أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، ط1، القاهرة، لجنة التأليف والنشر و الترجمة، 1973 .
- 182- عطية، أحمد عبد الحليم، نيتشه وجذور ما بعد الحداثة، ط1، بيروت، لبنان، دار الفارابي، 2010 .
- 183- عويضة، كامل عويضة، الفلسفة السياسية، الأعلام من الفلسفة، دون ط، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1999.

- 184- _____، لدفيج فنجشتين، فيلسوف الفلسفة الحديثة، دون ط، بيروت، دار الكتب العلمية، دون تاريخ النشر .
- 185- عوض، لويس، الثورة الفرسية، دون ط، مصر، مطابع الهيئة الأميرية المصرية، 1992 .
- 186- علي، أوركخان محمد، تهافت نظرية داروين في التطور أمام العلم الحديث، ط1، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة للنشر و التوزيع، 1997 .
- 187- علي، صبح، السياسة الدولية بين الحربين 1914-1939، دون ط، بيروت، دار المنهل اللبناني، دون تاريخ النشر .
- 188- علي، وتوت، الديمقراطية و حقوق الإنسان من منظور إجتماعي، دون ط، بغداد، العراق، 362 .
- 189- عمر، سعد الله، حقوق الإنسان وحقوق الشعب، دون ط، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دون تاريخ النشر .
- 190- عينات، عبد الكريم، نيتشه و الإغريق، إشكالية أصل الفلسفة، دون ط، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، دون تاريخ النشر .
- 191- غالغي، روبرت جيمس، خرافة التطور، تر: فداء ياسر الجندي، ط1، المملكة العربية السعودية، مركز الفكر المعاصر دار الوعي للنشر و التوزيع، 1931 .
- 192- غالي، بطرس، خيرى محمود عيسى، المدخل في علم السياسة، ط1، القاهرة، المكتبة الأنجلو مصرية، 1922 .
- 193- _____، مدخل إلى علم الاجتماع السياسى، دون ط، القاهرة، المكتبة الأنجلو مصرية ، 1983 .

- 194- غرانييه، جان، نيتشه، تر: علي بوملحم، ط1، بيروت، لبنان، مجد للدراسات و النشر و التوزيع، 2008 .
- 195- غرتونن، برنار، فلسفة الثورة الفرنسية، تر: عيسى عصفور، ط1، بغداد، منشورات البحر المتوسط، دون تاريخ النشر .
- 196- غلاب، محمد، الفلسفة الإغريقية، ط2، القاهرة، المكتبة الأنجلو المصرية، دون تاريخ النشر .
- 197- غيبل، بنيامين، أدولف هتلر من القوة إلى الإنهيار، تر: فؤاد نخلة عدة، ط1، بيروت، 1968 .
- 198- فؤاد، شكري محمد، ألمانيا النازية، دراسة في التاريخ الأوروبي المعاصر، 1939، 1945، دون ط، بيروت، دار الفكر العربي، 1945 .
- 199- فؤاد، عصام، جنرالات هتلر، ط1، القاهرة، مكتبة ابن سينا، 2016 .
- 200- فاتيمو، جاني، نهاية الحداثة، تر: نجم بوفاضل، ط1، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، 2014 .
- 201- فالترز.ر، أفلاطون، تر: إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسين عثمان، ط1، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1983 .
- 202- فخري، ماجد، تاريخ الفلسفة اليونانية، من طاليس إلى أفلوطين، ط1، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 1991 .
- 203- فرج، مرتضى، الداروينية، ط1، العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، 2017 .
- 204- فروم، إيريك، جوهر الإنسان، تر: سلام خيريك، ط1، سوريا اللاذقية، دار الحوار للنشر و التوزيع، 2011 .

- 205- فرويد، سغmond، قلق في الحضارة، تر: جورج طرابيشي، ط3، بيروت، لبنان، دار الطليعة للطباعة و النشر، دون تاريخ النشر .
- 206- _____، محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي، تر: أحمد عزت راجح، الجزء الثالث، دون ط، القاهرة، المكتبة الأنجلو مصرية، 1966 .
- 207- فرنار، جان بيار، أصول الفكر اليوناني، تر: سليم حداد، ط1، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، 1987 .
- 208- فوزيه، فرانسوا، الثورة الفرنسية في مواجهة الفكر، تر: رباب العابد، دون ط، دمشق، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية السورية، 1999 .
- 209- فوكو، ميشيل، جينالوجيا المعرفة، تر: أحمد السطائي، عبد السلام بنعبد العالي، ط1، المغرب، دار توبقال للنشر، 1988 .
- 210- _____، نظام الخطاب، تر: محمد سيلا، ط1، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، 2007 .
- 211- _____، هم الحقيقة، تر: مصطفى المسناوي، مصطفى كمال، ط1، الجزائر، منشورات الاختلاف، 2006 .
- 212- فوكوياما، فرانسيس، الإستراتيجية مستقبلنا بعد البشري، عواقب ثورة التقنية الحيوية، تر: إيهاب عبد الرحيم محمد، ط1، الإمارات، مركز الإمارات للدراسات و البحوث، 2006.
- 213- _____، نهاية التاريخ، الإنسان الأخير، تر: فؤاد شاهين جميل، قاسم رضا الشابي، دون ط، بيروت، لبنان، مركز الإنماء القومي، 1993.
- 214- فيبر، ماكس، العلم و السياسة بوصفهما حرفة، تر: جورج كتورة، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2011 .

- 215- قربان، ملحم، المنهجية و السياسة، ط2، بيروت، دار الطليعة للطباعة و النشر والتوزيع، 1969 .
- 216- قمر، حسني، حقوق الإنسان في مجال نشأة الحقوق السياسية وتطورها وضماناتها، دراسة تحليلية، دون ط، مصر دار الكتب القانونية، 2007 .
- 217- قطب، خالد، فلسفة العلم التطبيقية، الفلسفة تبحث عن آفاق جديدة داخل العلم، ط1، مصر، المكتبة الأكاديمية، 2014 .
- 218- قطب، محمد، الإنسان بين المادية و الإسلام، ط9، بيروت، لبنان، دار الشروق، 1988 .
- 219- قنصوة، صلاح، نظرية القيم في الفكر المعاصر، دون ط، بيروت، لبنان، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، 2010.
- 220- _____، فلسفة العلم، دون ط، القاهرة، دار الثقافة للطباعة و النشر، 1981 .
- 221- قمر، يوحنا، نيتشه نبي التفوق، دون ط، بيروت، لبنان، منشورات الشرق، 1986 .
- 222- كار، وليام، اليهود وراء كل جريمة، تر: خير الله الطلفاح، ط2، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، 1982 .
- 223- كامل، فؤاد، أعلام الفكر الفلسفي، ط1، بيروت، دار الجيل، 1993 .
- 224- كامل، مجدي، وراء كل ديكتاتور طفولة بائسة، بداية ظالمة و نهايات مأساوية، دون ط، دمشق، القاهرة، دار الكتاب العربي، 2007 .
- 225- _____، فريدريك نيتشه، شيطان الفلسفة الأكبر، ط1، دمشق، القاهرة، دار الكتاب العربي، 2011 .

- 226- كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، دون ط، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013 .
- 227- _____، تاريخ الفلسفة الحديثة، دون ط، القاهرة، دار المعارف، دون تاريخ النشر.
- 228- _____ . تاريخ الفلسفة اليونانية، دون ط، مصر، لجنة التأليف و النشر والترجمة، 1936.
- 229- كوبلستون، فريدريك، تاريخ الفلسفة، المجلد السابع، من فشته إلى نيتشه، تر: إمام عبد الفتاح إمام، محمود السيد أحمد، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2016 .
- 230- كولن، محمد فتح الله، حقيقة الخلق و نظرية التطور، تر: أورخان محمد علي، ط2، القاهرة، دار النيل للطباعة و النشر، 2006.
- 231- كلارك، جيجي، التنوير الآتي من الشرق اللقاء بين الفكر الآسيوي و الفكر الشرقي، تر: شوقي جلال، دون ط، عالم المعرفة، ديسمبر، 2007 .
- 232- لوبون، غوستاف، حياة الحقائق، تر: عادل زعيتر، دون ط، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، 2013 .
- 233- لوفيت، كارل، من هيغل إلى نيتشه، التفجير الثوري في فكر القرن التاسع عشر، تر: ميشل كيلو، دون ط، دمشق، منشورات وزارة الثقافة السورية، 1988 .
- 234- لوكاش، جورج، تخطيم العقل، الجزء الرابع، السوسيولوجيا الألمانية، الداروينية الإجتماعية و العرقية و الفاشية لاعقلانية بعد الحرب، تر: إلياس مرقص، ط1، بيروت، لبنان، دار الحقيقة للطباعة و النشر، 1983 .
- 235- _____، تخطيم العقل، الجزء الأول، الظاهرة الدولية، تاريخ ألمانيا شيلينغ، تر: إلياس مرقص، ط1، بيروت، لبنان، دار الحقيقة للطباعة و النشر، 1983 .

- 236- لوم، إيان، العنصرية و التعصب العرقي، من التمييز إلى الإبادة الجماعية، تر: عاطف معتمد، كرم عباس، عادل عبد الحميد، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2015 .
- 237- لويس.د.ل، سيندر. أدولف هتلر الرجل الذي أراد عمليا إحتلال العالم، تر: طارق السيد خاطر، ط3، القاهرة، مكتبة ابن سينا للطبع و النشر والتوزيع، 2001 .
- 238- ليشابزجر، هنري، نيتشه، تر: خليل الهنداوي، دون ط، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1954 .
- 239- ليفي شتراوس، كلود، العرق والتاريخ، تر: سليم حداد، دون ط، بيروت، مجد للدراسات و النشر والتوزيع، دون تاريخ النشر .
- 240- ليلة، محمد كامل، النظم السياسية، الدولة والحكومة، دون ط، بيروت، دار النهضة العربية، 1969.
- 241- ماركوز، هريوت، العقل و الثورة، تر: فؤاد زكرياء، ط2، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1979 .
- 242- ماير، ستيفن، شك داروين، النشوء المفاجئ لحياة الكائنات وحجة التصميم الذكي، تر: موسى إدريس، مؤمن الحسن وآخرون، ط1، الإسماعيلية، مصر دار الكتاب للنشر والتوزيع، 2016 .
- 243- مجاهد، عبد المنعم مجاهد، مدخل إلى الفلسفة، الأعمال الكاملة 19، القاهرة، دار الثقافة للنشر و التوزيع، دون تاريخ النشر .
- 244- مجموعة مؤلفين، البيوتيقا و مهمة الفلسفة، ط1، الجزائر، منشورات الاختلاف، 2014.
- 245- مجموعة مؤلفين، الفعل السياسي بوصفه ثورة، دراسة في جدل السلطة و العنف عند حنة أرندت، ط1، بيروت، دار الفارابي، 2013 .

- 246- _____، موجز تاريخ الجنون، تر: توفيق سلوم، ط1، بيروت، دار الفارابي،
دون تاريخ النشر .
- 247- محفوظ، نجيب، حول الأدب والفلسفة، ط1، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2003.
- 248- محمود، زكي نجيب، قصة الفلسفة الحديثة، دون ط، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف
والنشر، 1936 .
- 249- . _____، من زاوية فلسفية، ط2، بيروت، القاهرة، دار الشروق، 1985 .
- 250- محمود، مصطفى، سفاحون عبر التاريخ، دون ط، الجزائر، دار المجد للنشر والتوزيع،
2017 .
- 251- مرحبا، محمد عبد الرحمن، المسألة الفلسفية، ط3، باريس، بيروت، منشورات عويدات،
1985 .
- 252- . _____، مع الفلسفة اليونانية، ط3، بيروت، منشورات عويدات،
1988 .
- 253- مطر، حلمي، أميرة، في فلسفة السياسة، دون ط، القاهرة، دار الثقافة للطباعة و النشر،
1978 .
- 254- مفرح، جمال، الإرادة والتأويل، تغلغل النيشوية في الفكر الغربي، ط1، بيروت الدار
العربية للعلوم ناشرون، 2009 .
- 255- مكاي، عبد الغفار، أرسطو دعوة للفلسفة، دون ط، بيروت، لبنان، دار التنوير للطباعة
والنشر و التوزيع، دون تاريخ النشر .
- 256- _____، لم الفلسفة، دون ط، الإسكندرية ، منشأة المعارف، 1981 .

- 257- موران، إدغار، ثقافة أوروبا و بربريتها، تر: محمد الهلالي، ط1، المغرب، دار توبقال للنشر، 2007 .
- 258- موسى، سلامة، نظرية التطور وأصل الإنسان، دون ط، مصر، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012 .
- 259- _____، هؤلاء علموني، ط2، القاهرة، دار المعارف، دون تاريخ النشر .
- 260- موسمانو، ميكائيل، عشرة أيام بين هتلر و الموت، تر: باسيل دقاق، دون ط، بيروت، منشورات مكتبة بيروت، 1951 .
- 261- موريسون، كريسي، العلم يدعو إلى الإيمان، تر: محمود صالح الفلكي، أحمد الباقوري، ط1، بيروت، لبنان، دار وحي القلم، 2013 .
- 262- مونتيلو، بيير، نيتشه وإرادة القوة، تر: جمال مفرح، ط1، بيروت، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دون تاريخ النشر .
- 263- ميرلوبنتي، موريس، ثناء على الفلسفة، دون ط، باريس، جاليمار، 1960 .
- 264- ميدايرل، إدوارد وآخرون، رواد الإستراتيجية الحديثة، الفكر العسكري من ميكيا فيلي إلى هتلر، تر: محمد عبد الفتاح إبراهيم، الكتاب الثاني، دون ط، دون تاريخ النشر .
- 265- ميكيا فيلي، نيقولا، الأمير، تر: فاروق سعد، بيروت، دار الأفاق الجديدة، 1983 .
- 266- _____، مطارحات، تر: خير الدين حماد، ط3، بيروت، دار الأفاق الجديدة، 1982 .
- 267- ناصيف، دعاس، داروين بمنظار العلماء المؤيدين و المعارضين، ط1، بيروت، لبنان، دار الفارابي، 2015 .

- 268- نجم، زيد الدين عابدين، تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر، دون ط، الأردن، دار الميسرة للنشر و التوزيع و الطباعة، 2012 .
- 269- نعيم، فرح، الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، ط2، دمشق، منشورات جامعة دمشق، 2001 .
- 270- نوار، عبد العزيز سليمان، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، دون ط، الكويت، دار الفكر العربي، 1999 .
- 271- _____، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دون ط، مصر، دار الفكر العربي، 1990 .
- 272- _____، التاريخ المعاصر لأوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دون ط، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية، دون تاريخ النشر .
- 273- نور الدين، حاطوم، تاريخ الحركات القومية الاشتراكية، الجزء الخامس، ط1، دمشق، دار الفكر، 1982 .
- 274- نويمان، فرانزليوبود، البيموت، بنية الاشتراكية القومية النازية وممارستها، تر: حسني زينة، دون ط، قطر، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، دون تاريخ النشر .
- 275- نيوف، صلاح علي، مدخل إلى الفكر السياسي الغربي، الجزء الأول، دون ط، الدانمارك، دون تاريخ النشر .
- 276- هانت، لين، نشأة حقوق الإنسان، تر: جرجس حنا، ط1، القاهرة، كلمات عربية للترجمة والنشر، 2013 .
- 277- هوبز، باوم إيريك، عصر الثورة في أوروبا (1789-1848)، تر: فايز الصباغ، الأردن، المنظمة العربية للترجمة، 2007 .

- 278- هنتجتون، صمويل، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، تر: طلعت الشايب، ط2، نيويورك، 1998 .
- 279- هبير سوفرين، بيار، زرادتش نيتشه، تر: أسامة الحاج، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، 1994 .
- 280- هيرمان، آرثر، الإضمحلال في التاريخ الغربي، تر: طلعت الشايب، دون ط، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2000 .
- 281- هيغل، في الفرق بين نسق فيشته ونسق تسلنغ في الفلسفة، تر: ناجي العوفي، ط1، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2007 .
- 282- —، مبادئ فلسفة الحق، تر: تيسير شبح الأرض، دون ط، دمشق، مطبعة ووراقة الثقافة، 1974 .
- 283- واربورتين، بنغيل، الفلسفة الأسس، تر: محمد عثمان، دون ط، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، 2009 .
- 284- ووغنر، وولف، كيف تعمل السياسة؟ تر: شفيق بساط، دون ط، لندن، دار الحكمة، 2009 .
- 285- وقيع الله، أحمد، مدخل إلى الفلسفة الإسلامية، ط1، دمشق، دار الفكر، 2015 .
- 286- ولد أباه السيد، التاريخ و الحقيقة لدى ميشيل فوكو، دون ط، بيروت، لبنان، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، 1994 .
- 287- ولز، معالم تاريخ الإنسانية، المجلد الثالث، تر: عبد العزيز توفيق الجويد، ط3، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة و النشر، 1973 .
- 288- ويلز، جوناثان، أيقونات التطور علم أم خرافة؟، تر: موسى إدريس، أحمد ماحي، محمد القاضي، ط1، الإسماعيلية، مصر، دار الكاتب للنشر و التوزيع، 2014 .

289- ويليام، شيرر، تاريخ ألمانيا الهتلرية، نشأة وسقوط الرايخ الثالث، الجزء الأول، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1962 .

290- ياسبرز، كارل، عظمة الفلسفة، دون ط، بيروت، لبنان، دار عويدات، للنشر والتوزيع سلسلة زدني علما، دون تاريخ النشر .

291- يالوم.د.أرفين، عندما بكى نيتشه، تر: خالد الجبيلي، ط1، بيروت، لبنان، منشورات الجمل، 2015 .

292- يحي، هارون، الأمم البائدة، تر: ميسون نهلوي، أورخان علي، دون تاريخ النشر .

293- يلماز، عرفان، التطور نظرية علمية أم إيديولوجيا، تر: حسن رشا، محسن هويدي، ط1، القاهرة، مصر، دار النيل للطباعة و النشر، 2013 .

294- يوجنسكي، جوزيف، مدخل إلى الفكر الفلسفي، تر: محمود حمدي زقزوقي، ط3، القاهرة، دار الفكر، دون تاريخ النشر .

295- يوسف، محمد علي، مصرع الداروينية، ط1، جدة، المملكة العربية السعودية، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1983.

296- يونغ، كارل غوستاف، النازية في ضوء علم النفس، تر: نهاد خياطة، ط1، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1992 .

4/- المراجع باللغة الفرنسية:

1- Arendt Hannah .qu' est-ce que la politique ? .traduction sylvie courtine denamy éditions du seuil.1995 .

2-_____.la condition de l'homme moderne .éditions calmann lévy.1983.

3- _____, sur l'antisémitisme , traduit de 28 l'anglais par michelin ponteau edition calman lévy ,

- 4- Alain, echec de la force, N.R.F.
- 5- Barker, SIR Ernest. Greek political theory. London. (University paperback). 1960.
- 6- Bréhier, C F E. transformation de la philosophie française. Paris, Le Livre de Poésie, 1950.
- 7- Bevilacqua, "les philosophes et leur langage", op. cit.
- 8- Bondel, Cited in Eric, Nietzsche, le cinquième évangile ? sur toutes ces questions, entre autres l'ouvrage est très bien documenté : quant aux traductions elles sont un modèle d'usage.
- 9- Cant, August. Cours de philosophie positive leçon. 1-2 (Tunis. Ceres. 1999)
- 10- Hofstadter, Freder. Hitherto official programme and its fundamental ideas George Allen and Unwin, 1934.
- 11- Darwin, Francis, (ed) The autobiography of Charles Darwin and selected.
- 12- Derrida Jacques. L'écriture et la différence, Paris. Seuil. 1967.
- 13- ————, Marges de la philosophie, Paris. Minuit. 1972.
- 14- Deleuze, Gilles, Pensée nomade, in Nietzsche, aujourd'hui ? , l'Intensité 10/18, 1973.
- 15- David, Jerome. Business and the Church, The Century Co, New York, 1926.
- 16- Ertrand Verger. Les philosophes du moyen âge et de renaissance. Ed Aubin Imprimeur. France la 2003.
- 17- Freyer (A). Einteilung in die Soziologie, 1931, p136, in Budeau (G) traité de (3) science politique, Paris L.G.D.J 3^e ed, 1980.

- 18- Jaspers ,Kar ,NIETZSCHE ,(introduction à sa philosophie) ,trad ,Henri Viet , "tel gallimard " ,paris ,1978 .
- 19- hardt ,Rein R F .the exisentialist revolt ,new york .1960.
- 20- Herder ,Jehann Gohfried. outlines of a philosophy of the history of man, trans by t.o chinchill london.l.Hansard .1800.
- 21-Heiddegger, Martin , chemins qui ne mènent nulle part ,op cit .
- 22- Hein ,mark .k. Ideology and utopia ;NEW York ,Oxford university ,press ,1976 .
- 23- Hitching ,francis, the neck of giraffe, when darwin went wrong new york,thichnow and fields 1982.
- 24- Hunes ,d,(ed) Dictionnaire of philosophy , Ahelis book , published by rouma publishers totowa m,j illen 1984 evolutionism,
- 25- list ,friedrich, the national system of political,economy ,trans by sampsan ,s lloyd with an introduction by j , shield nicholson ,(London , new York long mans , Green and 1909 .
- 26- Marietti ,Angéle Kremer ,unité et masques ,in bulletin de la société française d'études NIETZSchéennes ,n°2 ,mars,1963 .
- 27- Michel,Haar ,Nietzsche et la métaphysique,Gallimard 1993 .
- 28- Nair,s.kader, pouvoir et politique. Oron cahier du cridssh, 1954.
- 29- Paul.l. fatherless children wiley series in childmental Health,John willy, 1980, new York
- 30- perry ,R.P. .the Approach to philosophie,ch .1 .Gwatts curnugs han.problems of philosophy,ch,
- 31- philip ,barker (1989) , Basic child psychiatry . london .Black well scientific publication ,th edition oxford,london .

- 32- Pirages et Dennis. (1976) ,managing political conflict praeger publishers. new York,
- 33- Robin ,L.la pensée grecque et les origines de l'esprit scientifique ,1912 .
- 34- rousseau ,Jean jacques. contrat social, presenter par madjijsfir (mag edition alger .2011).
- 35- rifkin ,jeremy , algey , new word , a new word , (penguim , 1984).
- 36- serres, Michel .Genèse ,paris .Grasset et fasquelle .1982 .
- 37- Strauss, G L .Race et historie ,paris .pemoel .1987 .
- 38- strauss,Léo.qu' est -ce que la philosophie politique ? .p.u.f. paris .1999 .
- 39- Strauss Leo Strauss .thoughts in machiavelli.cc leoncoe .m .1958 .
- 40- socio ,Douglaish , :AR chetypeswisdon ,AN introduction to Philosophy ,fifthedition ,U.S.A ,2004.

5- المجالات :

- 1- أبوحب الله، "السينما واللاوعي بالخطاب الشعبي للإلحاد"، مجلة براهين، العدد2، دورية فصلية تصدر عن مركز براهين لدراسة الإلحاد من منظور علمي فلسفي، ماي، 2014 .
- 2- العادي، سالم حسين، "فلسفة الحرب عند فريدريك نيتشه"، المجلة الجامعة، المجلد الأول، العدد الخامس، 2013 .
- 3- العنزي، مياح غانم،"كل التفسيرات المنطقية تقول أنها دكتاتورية"، مجلة المنبر، العدد6803، 2011 .
- 4- المحجوبي، علي بن حسين، "حقوق الإنسان بين النظرية و الواقع"، عالم الفكر، المجلد13، الكويت، العدد04، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2003 .

- 5- أنطوان، فرح، "الفيلسوف نيتشه و فلسفته"، مجلة الجامعة، الجزء الثالث، السنة السادسة، نيسان، أبريل، 1908 .
- 6- أمين، سيد، "أمريكا الميكيفيلية"، مجلة الحوار المتمدن، العدد 2884 .
- 7- حرب، علي، "الجنون من فرط العقل أومحنة الإنسان الأعلى"، السفير الثقافي، الجمعة 23 حزيران، 2001 .
- 8- حنفي، حسن، "بين ياسبرز ونيتشه"، مكتبتنا العربية، تيارات فلسفية، العدد 56، أكتوبر، 1969 .
- 9- ريكور، بول، "النص والتأويل"، تر: منصف عبد الحق، مجلة العرب و الفكر العالمي، العدد 3، 1998 .
- 10- شاتلي، ف، "الوضع الراهن لمسألة التاريخ والفلسفة"، تر: جمال الدين العلوي، مجلة أفاق، العدد 2، السلسلة الجديدة .
- 11- شاكر، سامي شهيد، "أصل الدولة عند أصحاب نظرية العقد الإجتماعي لوك، هوبز، روبرو و أثرها في الفكر المعاصر"، العراق، جامعة الكوفة .
- 12- زيادة، رضوان، "معنى الحقيقي من خطاب مابعد الحداثة"، مجلة يتفكرون، المملكة المغربية، الرباط، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، العدد 3، 17-12-2014 .
- 13- صادق، جهاد تقي، "الفكر السياسي العربي الإسلامي الحديث"، جامعة بغداد، 1989، 1990 .
- 14- صالح، هاشم، "فيلسوف القاعة الثامنة"، مجلة الكرمل، يوليو، 1984 .
- 15- عمر، إبراهيم، "جويو ضد نيتشه"، مجلة إبداع، العدد 9، سبتمبر، 2001 .

16- فازيو، نبيل، "النقد و النزعة النقدية العربية"، الرباط، المملكة المغربية مؤسسة مؤمنون بلا حدود، صالون جدل الثقافي، قسم الندوات .

17- فرج، كريم عبد الحسن، "من مراحل تكوين الثقافة العربية"، إهمال الموازين الأخلاقية وسيلة في المطارحات، مجلة المأمون، العدد الإلكتروني الأول .

18- فلينتيكو، أليكس، "نيتشه فيلسوف الحياة"، تر: بدر الدين عرودي، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 134-135، شتاء، 2006 .

19- مكاي، عبد القادر، "نيتشه و التحليل النفسي"، مجلة الملتقى، 16 ماي، 2007 .

20- منصور، أشرف حسن، "التأثير النيتشوي على مدرسة فرانكفورت، رؤية هابرماس"، مجلة الملتقى، 16 ماي، 2017 .

21- ناصيف، مصطفى، "نظرية التأويل"، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 2000 .

22- نافع، عبد المجيد، "ألمانيا بين نيتشه وهتلر"، مجلة الرسالة، العدد 340، 08-01-1940 .

23- نجيب الدين، عدنان، فلسفات عصرنا، مجلة فصلية، بيروت، العدد الأول، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر .

6/- المعاجم :

1- أبو جابر، فايز صالح، الفكر السياسي الحديث ، الموسوعة السياسية العالمية ، دون ط، بيروت ،دار الجيل ، 1985 .

2- إسماعيل، محمد محمود ربيع، مقلد ، صبري، موسوعة العلوم السياسية ، دون ط، الكويت، دار الوطن، 1994 .

3- الجراد ،خلف، معجم الفلاسفة المختصر، ط1 ، بيروت ،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات
، 2007 .

4- بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، ط1، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات
والنشر، 1984 .

5- جورج، دريفوس، فرانسوا وآخرون، موسوعة تاريخ أوروبا من عام 1789 إلى يومنا هذا ،
تر، حسين حيدر، ط1، بيروت، باريس، منشورات عويدات، 1995.

6- حنفي، عبد المنعم، الموسوعة الفلسفية، الجزء الأول، ط2، القاهرة، مكتبة مدبولي ، 1999.

7- سعيد، جلال الدين، معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية، دون ط، تونس، دار الجنوب
للنشر، 2004 .

8- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دون ط، بيروت، لبنان، دار الكتاب
اللبناني، 1985 .

9- طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، ط3، بيروت، دار الطليعة للطباعة و النشر،
يوليو، 2006 .

10- عبد الحميد، جابر، علاء الدين، كفاكي، معجم علم النفس و الطب النفسي، الجزء
الثاني، دون ط ، القاهرة، دار النهضة ، 1992 .

11- عبد الفتاح، إسماعيل، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، عربي، إنجليزي .

12- مجموعة مؤلفين، الموسوعة الميسرة العربية، المجلد الأول، ط1، بيروت، معهد الإنماء
القومي، 1917 .

13- مذكور، إبراهيم، المعجم الفلسفي، دون ط، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون مطابع الأميرية،
1983 .

14- لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، الجزء الأول، تر: خليل أحمد خليل، ط1، لبنان، باريس، منشورات عويدات، 1996 .

15- يودين، ب، روزنتال، الموسوعة الفلسفية، تر: سمير كرم، ط1، لبنان، دار الطليعة للطباعة و النشر .

7/- مقالات باللغة الفرنسية :

1- Althusser ,Leuais . "réponse a john lewis" .paris,F.M .1973 .

2- babington ,Macaulay .thomas ."machiavelli in critical and historical" .ESSays .ed .A.J .Grieve.2vols(london 1907).

3- Heidegger ,Martin , "le dépassement de la métaphysique" ,in essais et conférences ,paris ,gallimard ,

4-Quoted in johann hari , " peter singer" , some people are more equal than others , the independent .july-1-2004 .

8/- الرسائل الجامعية:

1- صالح، إسحاق، "بامبا صالح، الإلحاد و آثاره في الحياة الأوروبية الحديثة"، رسالة مقدمة لنيل درجة التخصّص الأولى الماجستير، 1401هـ، جامعة مملكة عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية .

9/- الروابط الإلكترونية:

1- powred by ubulletin@copyright©2000-2017 .jelsok entreprise ltd

2- www.aljezeera.net-indepth./fights2101htm

3- <http://www.amason.com/zoomonia.origin.life.illustrated edition>

idp/1406829234 .

4- <http://www.arabsynet.com>

5- haithem-srour-@.yahoo.com.montaqid.a.yahoo.com

6- www.pdfactory.com